الوعي الإسلامي

AL- WA E I AL- ISLA MI

اسلامية شهرية جامعة

العدد ٣٦٣ - ذو القعدة ١٤١٦هـ - ابريل (نسان) ١٩٩٦م



التنمية في إطار تجديد الفكر الاسلامي

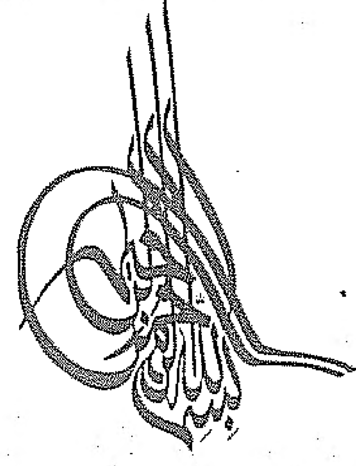


الغارة على الاسلام والعدوان على التاريخ

دعائم العلاقات الدولية في الاسلام

الجزية في النظام الضريبي الاسلامي

ملتقى التجربة الماليزية في العمل المصرفي الاسلامي



الوعي الإسلامي
AIWEI AL-ISLAMI

اسلامية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٦٣ – السنة الثانية والثلاثون – ذو القعدة ١٤١٦هـ/ ابريل ١٩٩٦م

المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami

P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT:1005
FAX: 965-2431740

هـاتف:

بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥) داخلي(١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

وكيل التوزيع:

شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب: ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر
ت: ٤٨١٦٨٨٤/٥ - ٤٨٣٥٠٤٧

طبع في مطابع دار السياسة

كلمة العدد

لبنة طيبة في البناء الحضاري

عزيزي القارىء الكريم :

بعد أن وضعت ندوات مستجدات الفكر الإسلامي التي عقدت على مدار السنوات الاربع الماضية الاطار العام لحركة التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر وأصّلت هذا الفكر في صيغته المعاصرة انتقلت هذا العام إلى مرحلة البحث في محاور المشروع الحضاري الاسلامي النهضوي المعاصر فقامت بمناقشة وتأصيل أول هذه المحاور وهو محور التنمية والتجديد في الفكر الاسلامي باعتباره من اكبر التحديات التي تواجهها الأمة في حاضرها ومستقبلها.

إن أمتنا اليوم تعيش أشكالا مختلفة من التخلف في كل مجال من مجالات الحياة في الاقتصاد، في الاجتماع، في الفكر والثقافة، في التعليم، ولقد اثبتت الوقائع والأحداث ان الخروج من شرنقة التخلف في اطار حركة التنمية اذا اريد لها النجاح يجب ان تكون منبثقة من تراث الأمة وتاريخها وصميم تجاربها ولاتفلح معها أبداً كل الوصفات السحرية المستوردة.

من هنا جاءت هذه الندوة لتساهم مع الآخرين في وضع لبنات خيرة في البناء الحضاري المنشود المستند إلى قيمنا وتراثنا والمواكب للمتغيرات الدولية والاقليمية الجارية على الساحة العالمية فإلى المزيد من هذا العمل الطيب المثمر والله من وراء القصد.

الوعي الاسلامي

الاشتراكات

داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير ــ للمؤسسات ١٠ دنانير ــ
الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية(أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ١٢ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها) ـ
دول العالم: للافراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) ــ للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً(أو مايعادلها)
* ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع جنيه مصري واحد ـ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير ـ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ـ المغرب ٦ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ــ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما

في هذا العدد

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
بدر سليمان القصار
Bader Al-Qassar

المشرف الاداري و المالي
ADMINISTRATOR & FINANCIAL DIRECTOR
خالد عبد اللطيف بو قماز
Khaled.A.Buqammaz

الاشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
S. M. Saleh



التجربة الماليزية في العمل المصرفي الاسلامي.

اقرأ في الأعداد القادمة

الشيشان: الامبراطورية تشن هجوماً معاكساً
د. بوجدان تشاكوسكي

الصلح في الاموال
د. نزيه حماد

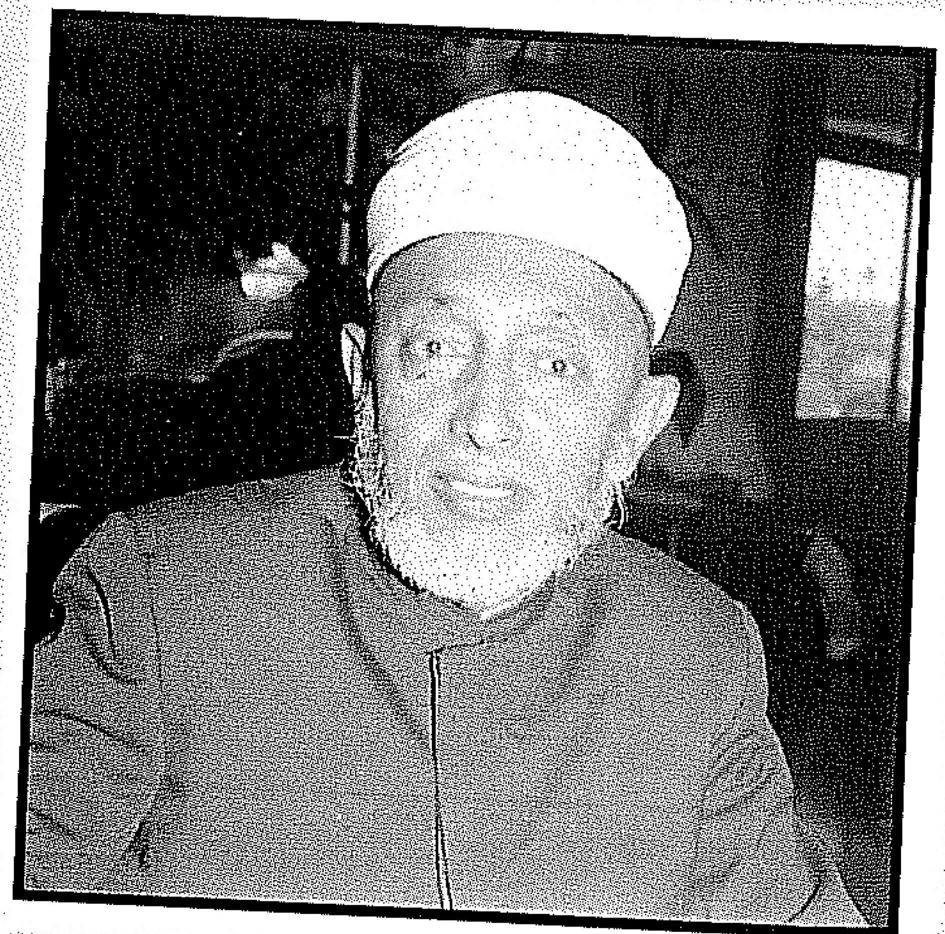
المسرح الاسلامي بين ماهية الدور وضرورة التواجد
د. سمير احمد الكفراوي

عقوبة سارق الأعضاء البشرية في الشريعة الاسلامية
د. رضا عبد الحكيم اسماعيل.

اوروبا والمخدرات ونظرة من الداخل
قاسم القادري

الاسرة المسلمة والاسرة الغربية
كمال عبد المنعم محمد خليل

حوار مع الشيخ الامين عثمان الامين مفتي أرتيريا وقضايا المسلمين في أرتيريا



○الشيخ الامين عثمان الامين مفتي أرتيريا

تنويه: إلى السادة القراء في جمهورية مصر العربية
بسبب ظروف اضطرارية قررت إدارة المجلة رفع سعر المجلة في جمهورية مصر العربية إلى جنيه مصري واحد يرجى أخذ العلم والله الموفق لما فيه الخير

عندما نضع الانسان في مقدمة مخططاتنا

وضع الاسلام الانسان على رأس خانة متطلبات مجتمعاتنا المستقبلية لأن كل شيء يسهل إذا أعددنا المخلوق البشري الإعداد النفسي والمعرفي.

٣٥

العالم الاسلامي وشروط النهضة كما يراها مالك بن بني

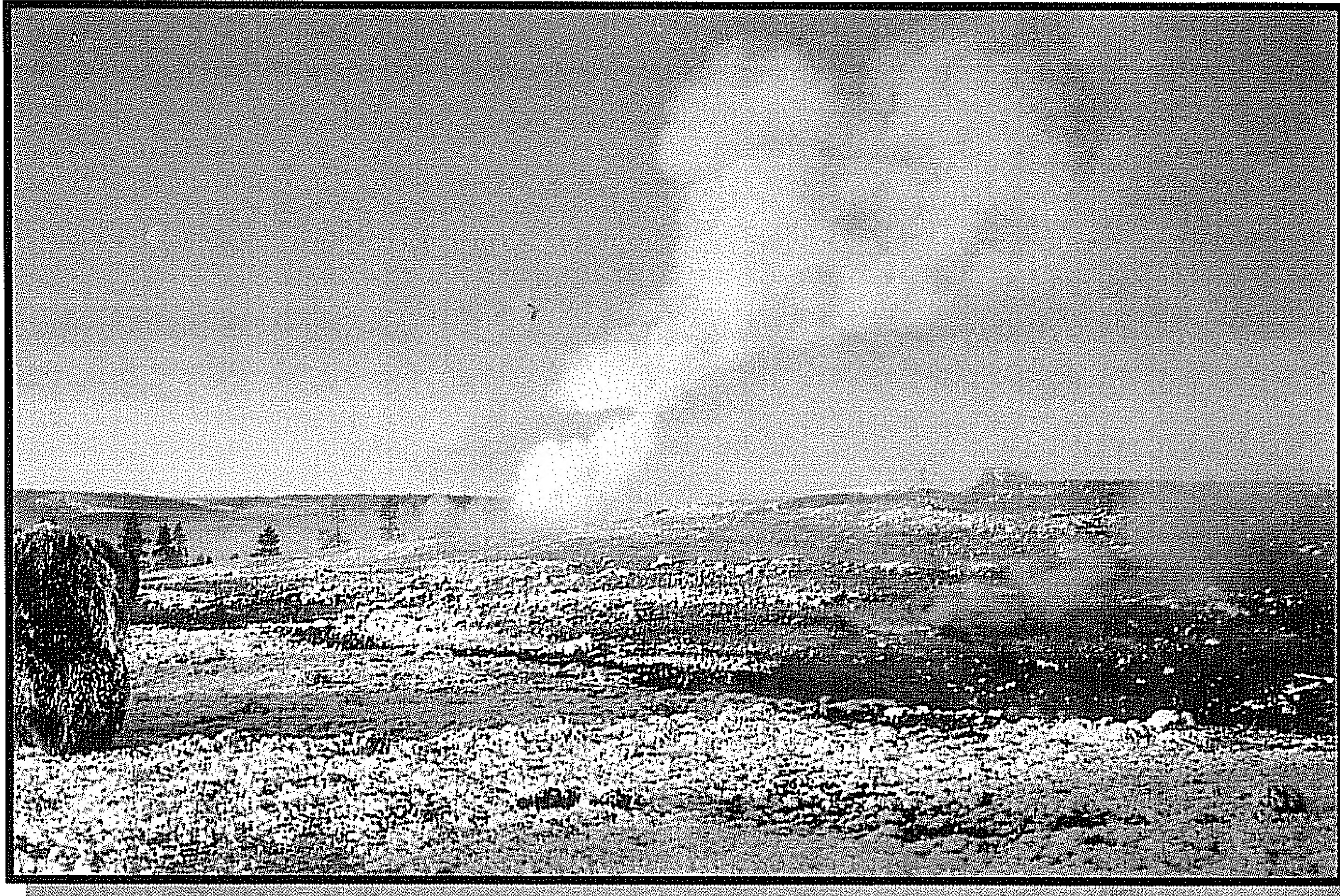
إذا كان المسلمون في الماضي قد تمثلوا اسلامهم على حقيقته تمثلاً صادقاً فكانوا بذلك صانعي إحدى الحضارات الكبرى التي سجلها التاريخ فإن بإمكانهم اليوم ان ينهضوا من كبوتهم اذا ماتمثلوا الاسلام في ثوابته ومتغيراته مع عدم إغفال منجزات العصر.

٥٣

النعمة بين الشكر والكفر

حتى يظل المسلم راغباً في نعمة الوصول الى الحق دائماً شاكراً الحق تعالى عليها فلابد له من ثقافة عالية وارادة عصية على الاهواء يتخلص بها من حظوظ النفس المعارضة للحق، واذا كان الحق تبارك وتعالى ينعم عليك على قدره فعليك ان تشكره سبحانه وتعالى على قدرك كبشر.

٧٨



مناهج بيئية في آيات قرآنية

ترجع الى عوامل مادية وعلمية والاسلام كدين جامع لامور الدنيا والآخرة أرسى الكثير من المبادىء والاحكام التي تنظم وتضبط علاقة الانسان بالبيئة وبمواردها.

٢٦

الفهرس

الافتتاحية

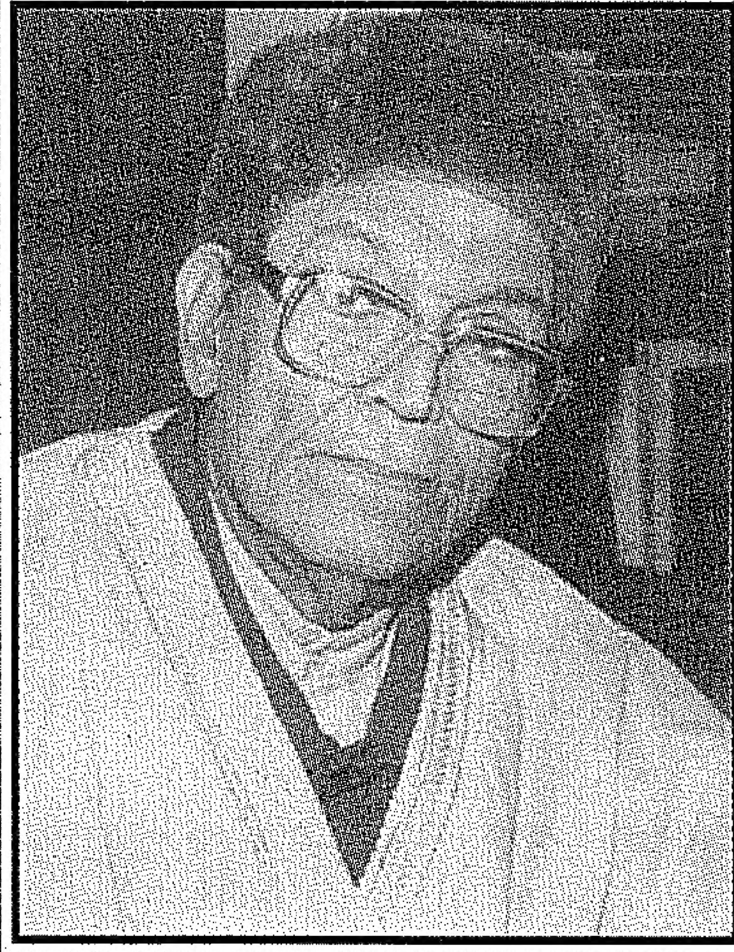
كانوا

ثلاثة نفر...
الأول منهم: اشتهر بأنه مفكر، وكاتب إسلامي، له طابع خاص.
والثاني: كان داعية للإسلام رافعا لواء الحق، تعرض للمحن فمازادته إلا صلابة.. وكان سيفا مسلطا على رقاب أعداء الإسلام والمسلمين.
أما اللاحق بصاحبيه: فكان ذا صفة رسمية، وشرعية.. اشتهر بالفقه، والورع، فما داهن ولا مالأ أحدا، تمسك بالحق مهما كلّفه، وابتعد عن الباطل رغم زخارفه.. اعتلى صرح الإسلام والعروبة، فكان شيخ الأزهر.. الرافض للباطل مهما كان أتباعه والناصر للحق وإن قل أعوانه.
وكأن الثلاثة كانوا على موعد.. فرحلوا الى رب كريم.. يغفر الذنب، ويستر العيب، ويعفو عن السيئة ويضاعف الحسنات..

الأستاذ: خالد محمد خالد

سابق الثلاثة هو الاستاذ :خالد محمد خالد أجرت جريدة «الأنباء» الكويتية حواراً معه قبل رحيله بأيام قال فيه: يسعدني أن ألقى ربي وأنا مؤمن بالإسلام مدافع جسور عن الديموقراطية.
والحق أن الرجل كان ذا فكر وقلم اعملهما في خدمة قضايا أمته والدفاع عن دينه والوقوف الى جانب المظلوم، والتصدي للطواغيت.

وقد عبر عن رأيه في «التطرف» كظاهرة فقال: «الإسلام يثير مخاوف الغرب لانه يسير كالسكين في الزبد، وهو الدين الوحيد الديناميكي، والصحوة الاسلامية بدأت من داخله، لكن التطرف سيظل ابشع جريمة ترتكب ضده».



وللاستاذ خالد محمد خالد اكثر من ثلاثين كتاباً، كما كانت له احاديث ومقالات شغلت مساحة واسعة في الصحافة العربية والإسلامية، وكانت له أفكار خالفه فيها علماء أجلاء من ذلك كتابه« من هنا نبدأ» الذي قابله الشيخ محمد الغزالي- رحمهما الله- بكتابه« من هنا نعلم».
انه جيل العمالقة الحجة تقارع بالحجة، والفكرة تواجه بالفكرة «ولكل وجهة هو موليها»
ومما يذكر للاستاذ خالد محمد خالد انه تصدى للمقولة التي ترى« انه لاسياسة في الدين ولادين في السياسة» فقال:« ان السياسة والدين توأمان، لاينفصلان» مستنداً الى حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».
وإن من اشهر مؤلفات الرجل« مواطنون لارعايا» و«هذا أو الطوفان» و«الدولة في الاسلام» و«معا على الطريق» و«محمد والمسيح» ومن منا لم يقرأ كتابه الأشهر« رجال حول الرسول»؟
ولقد شاء الله للاستاذ خالد محمد خالد ان يؤرخ لحياته بنفسه فكتب كتابا بعنوان قصتي مع الحياة».
ومن الوفاء للرجل، وتقديرا لمواقفه الشجاعة ومناصرته لقضايا الحق والعدل ووقوفه بفكره وقلمه الى جانب الحق الكويتي في مواجهة اعتداء النظام العراقي الغشوم، نعته الهيئة الخيرية العالمية في الكويت كما أشادت بدوره الرائد الصحافة الكويتية المحلية.كما طالب أحد أعضاء مجلس الأمة الكويتي بإطلاق اسمه على أحد المرافق الدينية أو التعليمية أو الثقافية تقديراً لمكانته، وعرفانا بفضله.
وقد أفضى الرجل الى ربه ،وليس له من زادٍ إلا عمله.. الذي نأمل أن يكون في ميزان حسناته.. ولقد صدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم– القائل:«خيركم من طال عمره وحسن عمله».
رحم الله خالد محمد خالد، وأنزله منازل

حماة حصون ومرابطون على ثغور

الصالحين وعوض الأمة الإسلامية عنه خيراً،،

الشيخ: محمد الغزالي

وعلى الدرب نفسه درب الصالحين سار الشيخ محمد الغزالي.

فقد كان الشيخ حتى آخر لحظات عمره المبارك ملء سمع عالمه الإسلامي والعربي وبصره.. في «الجنادرية» مهرجان الإبداع الفكري وعلى ارض «الرياض» في «المملكة العربية السعودية» كان الشيخ يحاور ويناقش ويتابع ويعقب على مايحتاج الى تعقيب.

وعلى الرغم مماكان يعانيه الشيخ الداعية من مرض إلا انه كان دائماً يقظاً متوثبا للدفاع عن الإسلام وقيمه السامية، وللشيخ - رحمه الله - معارك ضارية ضد خصوم الإسلام، واعدائه لم تلن له قناة، ولم تضعف له عزيمة..

وقد كان الشيخ واسع الثقافة، قوي الحجة، ذا قلم سيّال، وفكر راق، كما كانت له اجتهاداته التي ناضل في سبيلها، وتعرض للإيذاء بسَببها من الطواغيت والظالمين، كما عارضه بعض اصحابه ومعاصريه.. ولكنه كان دائما يردد: «يُعَرفُ الرجالُ بالحق، ولايُعْرَفُ الحق بالرجال»

كانَ شيخاً خطيبا مفوهاً.. عباراته رصينة منتقاة، ربّى الدعاة الى الله على منهج الوسطية، حيث لاإفراط ولاتفريط.

كما عرف عن الشيخ انه لايهادن احداً في الحق.. ولقد حملته جماهير المصلين في المسجد الأزهر يوما على الأعناق، بعد ان خطب فيهم خطبة الجمعة وأمهم في الصلاة، ولكنه رفض التظاهر حتى لاتخرج الامور عن حدود السيطرة، وحتى لايندس بين الصفوف أصحاب الأهواء.

وشيخنا- عليه رحمه الله له مؤلفات تربو على الثمانين في شتى القضايا الاسلامية والانسانية، ترجم الكثير منها الى لغات أجنبية.

وقد كانت أحاديثه الإذاعية تجذب جماهير المستمعين على مستوى العالم العربي والإسلامي.

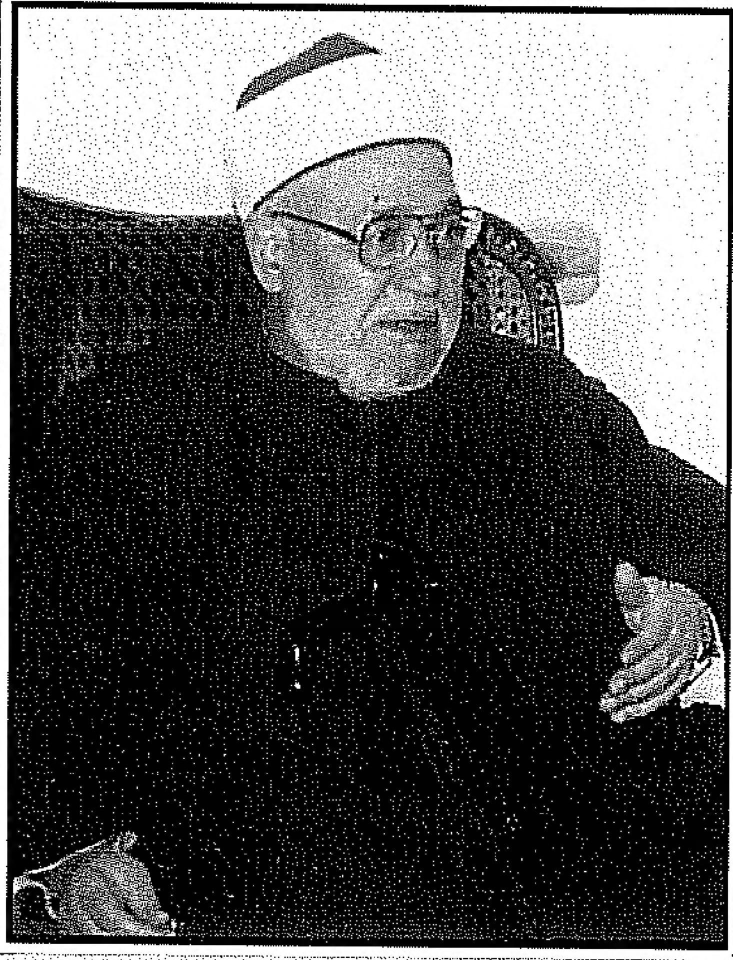
وكتاباته في الصحافة الاسلامية والعربية تحقق رواجا وانتشارا للصحيفة.

وقد سعدت «الوعي الإسلامي» به كاتبا منذ صدور عددها الاول، والشيخ الغزالي شارك في إنشاء جامعات اسلامية، وحاضر فيها، وتتلمذ على يديه كثيرون.

والشيخ كان يتمتع بحماس الشباب، وروح الجهاد، وإن اتكأ على عصاه، ففي آخر حديث صحفي له، اجرته معه جريدة «الشرق الاوسط» في الرياض قال: «الإسلام دين الرحمة، ويرفض العنف».

قال محاوره: ان الفكرة الاساسية في مهرجان «الجنادرية» هي: «الإسلام والغرب» وهنالك الكثير ممن يرون ان الاسلام والغرب في تصادم فمارؤيتكم انتم؟

قال الشيخ: «هذه قضية مركبة إن موقف بعض القوى الغربية المعادية لديار الاسلام قد ولّد التوتر والتصادم على مدار قرون، ويمكن إيراد أمثلة كثيرة عن الجور او الظلم الذي انزله الاستعمار الغربي بالشعوب المسلمة. آخر الامثلة كفاح الجزائر للتحرر من ربقة الاستعمار الفرنسي وكفاح الشعب الفلسطيني لاستعادة حقوقه المغتصبة»



ثم يقول المحاور: يقول بعض الجزائريين: ان مواعظك وارشاداتك في بلادهم خلال عقد السبعينات بذرت بذور الاصولية هناك.

قال الشيخ- رحمه الله- في جدّتة المعهودة: «هذا زعم مشين، ترى أي دليل دامغ اسوقه اكثر من ان مواعظي واحاديثي ماتزال تذاع من إذاعة الجزائر الحكومية إن من يصغي جيداً لما ينبغي أن نقول سينأى بعيدا عن العنف، إن الاسلام دين الرحمة والبركة»

ثم قال الشيخ في رده على سؤال عن «الديموقراطية» وهل هي الحل؟:

هذا مايدعيه الغرب، وبعض المتغربين في العالم الاسلامي ولكن رأينا في الجزائر ان الديموقراطية عندما أفضت الى نشوء اغلبية لا يحبها الغرب والمتغربون، ضرب بقواعدها عرض الحائط، ان الاسلام لايحتاج الى ديموقراطية على الطراز الغربي.

وهكذا كان الشيخ في كل أحاديثه صريحا، شجاعا، لايخشى في الحق لومه لائم.

يقول عنه الدكتور/ عبد الحليم عويس- الاستاذ بجامعة الازهر- وقف الشيخ الغزالي طوال نصف قرن يجاهد في جبهة ترتكز على ركيزتين هامتين: إحداهما إحياء الاسلام الصحيح، وتجديد وسائل نهضة المسلمين، وقد اقتضى منه ذلك ان يكتب كتابات كثيرة حول« عقيدة المسلم» و«خلق المسلم» و«فقه السيرة» و«كيف نفهم الإسلام» و«الإسلام والاوضاع الاقتصادية» وغيرها.

أما الركيزة الثانية: فهي مواجهة محاولات تذويب الأفكار الوافدة في المجتمعات المسلمة.

وقد تصدى للغزو الفكري لديار المسلمين، فدخل معارك كثيرة تشير اليها مؤلفاته التي منها« معركة المصحف» و«الزحف الأحمر» و«دفاع عن العقيدة والشريعة» و«صيحة تحذير».

وكان للشيخ الغزالي اجتهاداته في تفسير القرآن الكريم« كيف نتعامل مع القرآن الكريم». و«السنة النبوية بين أهل الفقه والحديث».

وهذا الكتاب الأخير أثار جدلا واسعا في أوساط العلماء والمثقفين.

ولاننسى ان شيخنا وقف الى جانب الكويت في محنتها القاسية، واشاد بدورها في العالم الاسلامي ولذا لاغرابة ان تنعيه« اللجنة الخيرية العالمية» و«لجنة العمل على استكمال تطبيق الشريعة الاسلامية» ووزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، كما بعث سمو ولي العهد الشيخ سعد العبد الله الصباح رئيس مجلس الوزراء، ببرقية عزاء إلى اسرته، وكان مقدرا للشيخ ان يشارك في «ندوة التنمية في إطار تجديد الفكر الاسلامي» التي عقدتها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في دولة الكويت مؤخرا، إلا أن الشيخ محمد الغزالي استجاب لنداء ربه، فهو يعلم:«ان الله يحول بين

المرء وقلبه»
يقول عنه الشيخ يوسف القرضاوي - الذي كتب كتابا عن الشيخ الغزالي بعنوان: «الشيخ الغزالي كما عرفته خلال نصف قرن» يقول الشيخ القرضاوي- مدّ الله في أجله- كان الشيخ الغزالي كثيرا مايردد قول الشاعر:

أنا إن عشت لست أعدم قوتاً
وإذامت لست أعدم قبراً
همتي همة الملوك ونفسي
نفس حر، ترى المذلة كفرا

بل قد وجد شيخنا الغزالي في ثرى «البقيع» الحاني - جنة السابقين الأولين- محصنا له في المدينة المنورة على صاحبها افضل الصلاة والتسليم رحم الله الشيخ وأثابه عن الإسلام والمسلمين خيراً.

الشيخ: جاد الحق علي جاد الحق

أما اللاحق بصاحبيه.. فكان ابن الازهر صغيرا، وشيخه كبيرا. تخرج من كلية الشريعة وتقلد مناصب عدة في القضاء.. فكان مثالا للعدل والنزاهة.. ثم عمل في دار الإفتاء مساعدا للشيخ المشهور/ حسنين مخلوف- رحم الله الجميع- ثم تقلد منصب المفتي.. ثم عمل وزيراً للأوقاف.. وكان آخر المشوار شيخاً وإماماً للأزهر الشريف.. عاد بالأزهر المعمور سيرته الأولى فحفظ له هيبته ومكانته، وحرص على رفع مستوى طلابه والمنتسبين إليه.. وكيف لا؟! وهو الفقيه العالم، الذي اشتهر بالحق والتمسك به والدفاع عنه، فكان له من اسمه نصيب فهو «جاد الحق».

وخاض- رحمه الله- معارك على شتى الأصعدة..وجهر برأيه في جرأة وشجاعة- هي في ميزان حسناته عند الله كما نحسب.

فقد رفض التطبيع مع اسرائيل أو السفر إليها مادامت تحتل الأراضي العربية ودون ان يتحقق السلام الشامل والعادل في المنطقة.

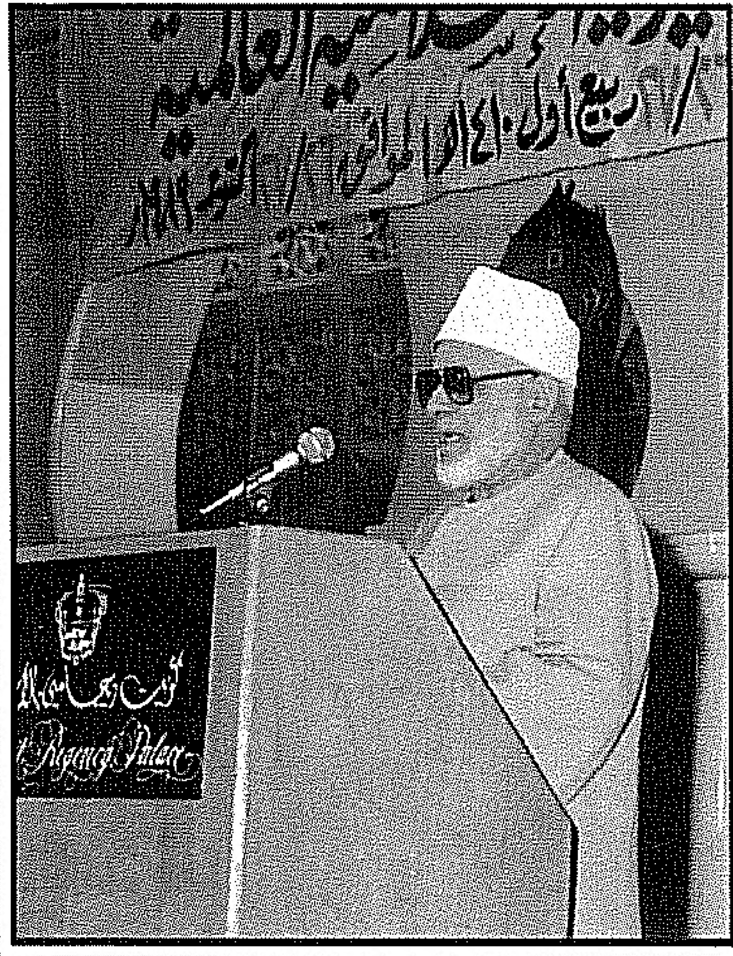
وقاد شيخ الازهر معركة شرسة ضد بعض بنود مسودة إعلان مؤتمر القاهرة الدولي للسكان والتي كانت تبيح قضية الإجهاض، وتبيح تشكيل الأسرة دون زواج شرعي.

وشيخ الأزهر أعلن مراراً ان القدس عاصمة إسلامية ودعا إلى نصرة قضايا المسلمين في البوسنة والهرسك، والوقوف الى جانب الأقليات المسلمة.

وفتح باب الأزهر واسعا امام الطلاب الوافدين من الوطن الإسلامي وخارجه وزاد من المنح الدراسية لهم حتى يعودوا إلى أوطانهم دعاة للإسلام.

ووقف شيخنا موقفا لايعرف الهوادة ضد النحل الضالة، والمبتدعة والتطرف، وأبان سماحة الإسلام ودعوته القائمة على الحكمة والموعظة الحسنة.

وله رأيه القائم على الدليل الشرعي في قضايا الامة المعاصرة وماستجد في حياة الناس من مشكلات سواء أكانت أسرية، أم اجتماعية، أو اقتصادية، أم طبية، أو غير ذلك مما تشهد به مؤلفاته العديدة التي لايتسع المجال لذكرها، وقد أصدر عن الأزهر كتابا في جزأين بعنوان« هذا بيان للناس» كما أصدر عن دار الإفتاء كتابا عن الفتاوى الصادرة عنها.. وسيتتابع الإصدار من بعده.



كما أشرف شيخ الأزهر على العديد من المؤتمرات التي استهدفت الحفاظ على هوية الأمة الإسلامية وقد اختير الشيخ جاد الحق رئيسا للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة بإجماع الدول الإسلامية عام ١٩٨٨م.
وهو صاحب شعار: معهد ديني في كل قرية

هذا وقد نعاه الى الأمة الإسلامية رئيس جمهورية مصر العربية.. و قام بواجب العزاء فيه كل من عرف مكانته وفضله على المستوى الرسمي، والشعبي ولما كانت الكويت بلد العروبة والإسلام- رغم غدر الصديق- واعتداء الجار - تعرف للرجال أقدارهم، وللعلماء منزلتهم فقد قال الدكتور: علي فهد الزميع - وزير الاوقاف والشؤون الإسلامية:« تنعي الكويت حكومة وشعبا إلى الأمة الإسلامية فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الجامع الأزهر، الذي خسرت الأمة الإسلامية بوفاته عالما من خيرة أبنائها، عرف بتقواه، وورعه، وسعة علمه، وغزارة مساهماته في العلوم الإسلامية، وصلابته في الحق، وتمسكه بوحدة الأمة.

وقد جاء هذا الحدث الأليم في وقت اصبحت فيه الأمة الاسلامية في اشد ماتكون حاجة إلى امثاله من الأئمة وقادة الرأي والفكر، وان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في دولة الكويت اذ تحتسب عند الله احد فرسان الفكر الاسلامي العاملين من اجل الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجاهدين في ميداني الفكر والعمل فإنها تتقدم بخالص العزاء للامة الاسلامية ولرجال الدعوة وللحكومة المصرية والشعب المصري الكريم ولمشيخة الازهر الشريف ولأسرة الفقيد العزيز.

نسأل الله سبحانه ان يجزي الفقيد عن دينه وأمته خيرالجزاء وان يجعل الجنة مثواه وان يعوض الأمة عنه بجيل من ابنائها يحملون الرسالة ويواصلون المسيرة»

وإن مما يؤثر عن الشيخ قوله في اكثر من مناسبة: ان على رجال الدعوة ان يعملوا على اعادة صنع أمة ذات رسالة وكلمة مسموعة مهابة الجانب من خلال تعاليم الاسلام وصيانة الحقائق والمفاهيم الاسلامية من التحريف والحرص على أبراز السمات الاسلامية والحفاظ عليها مع البعد عن اخضاع حقائق الاسلام ومفاهيمه لمصطلحات غربية لاتتفق مع روح الإسلام واصوله.

و«الوعي الإسلامي» لايسعها إلا ان تقول رحم الله علماءنا الذين رحلوا الى دار الخلود وبقيت مآثرهم تدل على أنهم كانوا حماة حصون، ومرابطين على ثغور، مجاهدين في سبيل الله.عوض الله سبحانه الأمة الإسلامية عنهم خيرا.

وأعان الله «الخلف» على حمل الأمانة من بعدهم. ■

التنمية في إطار تجديد الفكر الاسلامي

د. علي الزميع: لابد من ايجاد مشروع حضاري يرتكز على فكر إسلامي تجديدي واقعي للخروج بالأمة من حالة التردي

إن الجيل القادم سيشهد الكثير من المتغيرات في ظل التغير العالمي السريع وهو يختلف عما شهدته الاجيال الماضية في أحقاب زمنية عديدة

كتب : تمام أحمد

في إطار تجديد الفكر الاسلامي، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية عقدت ندوتها السنوية الخامسة تحت عنوان: التنمية في إطار تجديد الفكر الاسلامي.

إن المأزق الحقيقي الذي تعيشه الأمة الاسلامية هو في واقعها المتخلف في جميع المجالات والميادين الحياتية وإنّ الخروج من هذا المأزق يكمن في تجديد الفكر الاسلامي كمحور أولي للمشروع الحضاري الاسلامي المعاصر هذا ماجاء في كلمة السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور علي فهد الزميع في حفل افتتاح الندوة الاولى للتنمية في اطار تجديد الفكر الاسلامي التي «عقدتها الوزارة» خلال الفترة مابين ٢١-٢٣ شوال ١٤١٦هـ الموافق ١١-١٣ مارس ١٩٩٦م في قاعة الاحتفالات الكبرى في فندق شيراتون الكويت تحت رعاية سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح .

المطلوب واقع مستقبلي أكثر ايجابية

افتتح الحفل بـآيات من الذكر الحكيم تلاها المقرىء أحمد الطرابلسي ثم عرض فيلم تسجيلي حول التنمية والفكر الاسلامي ثم القى السيد وزير الاوقاف كلمته مؤكداً على اهمية مثل



○ وزير الاوقاف يلقي كلمة الافتتاح

هذه الندوات التي تقيمها الوزارة سنوياً من اجل انتشال الأمة الاسلامية من واقع التخلف الذي تعيشه وشدد على ضرورة ايجاد مشروع حضاري يرتكز على فكر اسلامي تجديدي واقعي للخروج بالأمة من حالة التردي التي تعيشها، وسط اشكالات عديدة منها اشكالية الخلط بين النص الديني والاجتهادات البشرية وعدم وضوح ومفهوم ومنهاجية عملية التجديد وعدم وضوح النصوص التاريخية وارتباطها بالصراع السياسي وعدم مواكبة المؤسسات الاسلامية للمتغيرات على الساحة المعاصرة وحذر السيد الوزير من ان عدم الوضوح هذا قد يستخدم كاداة لتغريب الاسلام نفسه وطالب بأن تعاد كتابه التاريخ الاسلامي بشكل يتناسب مع واقعنا المعاصر على أن يرتكز على بعد سياسي وحينها تظهر أبعاده الحضارية من حيث القيم والمبادىء الدينية.

وطالب د. الزميع -المؤسسات الاسلامية بشكل عام والرسمية منها بوجه خاص- بإعادة النظر في صياغتها بشكل يناسب الواقع حتى لاتصبح اداة لإدارة المجتمعات في اتجاهات مختلفة نافيا عن الاسلام قضية «الكهنوت المؤسسي» والذي يحصر الدين في مؤسسة ضيقة تترك بعدها الساحة فارغة فيحدث مالاتحمد عقباه.

وأشار إلى أن تلك المؤسسات بحاجة ماسة إلى إعادة الترتيب لمواجهة المتغيرات المعاصرة مبينا انه من الظلم محاسبة هذه المؤسسات دون توجيه أو نقد ذاتي على المستويين الخاص والعام.

وبين د. الزميع في كلمته ان قضية الفكر بدأت كمعاناة للشعب الكويتي نتيجة الاحتلال الغاشم وبدأت كمحاولة للتخلص من سلبيات الفكر حتى غدت تحمل شعارات اكثر اتساعا واصبحت قضية تشغل بال كل المخلصين والمفكرين بل والمعركة الحقيقية لكل مخلص لدينه ومحب لأمته.

وقال: إن الجيل القادم سيشهد الكثير من المتغيرات في ظل التغير العالمي السريع وهو يختلف عما شهدته الاجيال الماضية في أحقاب زمنية عديدة مطالبا بإيجاد السلاح الكافي من الفكر



د. التويجري: علاقة وثيقة بين تجديد الفكر الاسلامي وبين التنمية في المجتمعات الاسلامية

الناضج لتحصين هذه الاجيال ضد المتغيرات.

وبين د. الزميع أن بعض المدارس الفكرية اهتمت بجزئيات بسيطة، مما أوجد تباينا تاريخيا في الاجتهادات الفكرية بعيداً عن الواقع المعاصر وعليه فقد قامت هذه المدارس بتوسعة الفكر بعيدا عن شمولية الاسلام ومعالجة أزمات الأمة فجاءت النظريات والبرامج قاصرة عن تحقيق الهدف المنشود وذلك لانها ركزت على البعد السياسي للاسلام تركيزا تنقصه الأبعاد التاريخية والنظرية لان التفاعل جاء مبتورا وبعيدا عن محاور النظرية الاسلامية.

وأكد الوزير الزميع أنه لاخروج لأمتنا الاسلامية من حالة التخلف والتردي التي تعيشها إلا من خلال مشروع حضاري ذي نظرة شمولية تنطلق من فكر اسلامي تجديدي يتجاوز في نطاق اهتماماته نمط التفكير التجزيئي القاصر الذي تتسم به معظم البرامج الحالية.

الغزالي شهيد فكر

واشاد في الختام بشهيد الفكر الاسلامي الشيخ «محمد الغزالي» الذي وافته المنية وهو يؤدي دوره في التوعيه الفكرية في إحدى فعاليات مهرجان الجنادرية في المملكة العربية السعودية معربا عن اعتزازه بالدور الاسلامي الكبير الذي قام به المرحوم خلال مسيرته الخيرة ومؤكدا على الرعاية التي لقيها الفقيد وأسرته داعيا له بالرحمة والمغفرة ولأهله بالصبر والسلوان.

الندوة تلبي مطالب مشروع التغيير الحضاري

هذا وقد اكد الدكتور «عبد العزيز التويجري» المدير العام للمنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» في كلمته التي القاها نيابة عن المشاركين في الندوة ان تجديد الفكر الاسلامي قضية نظرية مجردة ولكنه عمل مرتبط بحياة المجتمعات الاسلامية في كافة المجالات وذو تأثير بالغ الاهمية على واقع المسلمين ومستقبلهم لأن التجديد، أياً كان مجاله وموضوعه لايقصد ذاته وإلا كان الجهد المبذول في هذا الميدان ترفا فكريا، وانما التجديد المطلوب للفكر الاسلامي ينبغي أن يعنى بتجلية المفاهيم وتأصيلها، وايجاد التناسب المحكم بين مقتضيات هذا الفكر وبين نوازل العصر وقضاياه المختلفة، ليكون تجديداً نافعاً للأمة الاسلامية وللبشرية جمعاء.

وأضاف: من هنا تأتي العلاقة الوثيقة بين تجديد الفكر الاسلامي وبين التنمية في المجتمعات الاسلامية فالتنمية في جوانبها المتعددة هي نتيجة فكر متجدد ومعرفة شاملة بحاجات المجتمع وتخطيط محكم لحركة التغيير والتطوير الضرورية لتحقيق السعادة والرفاه للانسان.

وقال: ليس من شك في أن هذه الندوة ستكون إحدى الوسائل العلمية الكفيلة بمعالجة هذه القضية الثقافية المطروحة على بساط البحث والنظرة المعالجة الوافية بالقصد، والمستجيبة لطموح شعوب امتنا، والآخذة في الاعتبار المتغيرات الدولية المحيطة بنا والمستجدات العالمية التي تمتد آثارها إلينا سواء على المستوى الفكري والثقافي، أو على المستوى السياسي والاقتصادي.

معرضان فنيان

وأختتم الحفل بافتتاح معرضين فنيين الأول حول الكتب والمؤلفات الاسلامية والآخر حول الرسوم

إن الجيل القادم سيشهد الكثير من المتغيرات في ظل التغير العالمي السريع وهو يختلف عما شهدته الاجيال الماضية في أحقاب زمنية عديدة

الكاريكاتورية للفنان مسلم الزامل وصور فوتوغرافية للفنانة «تهاني الايوب» وكلا المعرضين يخدمان موضوع التنمية الاسلامية.

محاور الندوة.

من جهة أخرى وضمن فعاليات الندوة تمت مناقشة ثمان أوراق علمية، حول التنمية والتجديد في الفكر الاسلامي من خلال محاور رئيسية شملت التنمية السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية شارك فيها اكثر من أربعين مفكراً من مصر والسعودية والامارات والمغرب و ايران وسلطنة عمان وقطر والولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا ولبنان والكويت.

الجلسة الأولى

هذا وقد بدأت الندوة جلستها الأولى بورقتين قدم الاولى د. نصر عارف عن نظريات التنمية في الفكر الانساني والمنظور الاسلامي تناول فيها الانموذج المعرفي الكلي ورؤية العالم وفلسفة التنمية والتطور وطبيعة الحركة التاريخية، اضافة لطرق التطور من الداخل والنقل من الخارج وبين د. عارف على من يقع العبء الاكبر في تحقيق التنمية من الدولة والمجتمع.

أما د. تركي الحمد فقد تناول التنمية السياسية في المنظور الاسلامي، وبين فيها زئبقية مفهوم التنمية السياسية ومداخلات العملية الاجتماعية والتاريخ المقارن وطرح د. الحمد نظريات التغيير السياسي وموقع المسلمين منها ونظام الحكم في الاسلام وعصمة الجماعة فيه ومايترتب على هذه العصمة اضافة للمبادىء والمفاهيم العامة.

وقد أثارت هذه الورقة عاصفة من النقد من المشاركين المعقبين والحضور نظراً للجوانب التي تطرق اليها الباحث فقد عقب كل من د. محمد عمارة بقوله: ان هناك خلطا في المفاهيم باختلاف المذاهب والفلسفات لكن يجب البحث عن المسؤول عن هذا الخلط.

د. بشير الرشيدي: الاسلام سبق الفكر التنموي المعاصر بضرورة مراعاة الواقع الاجتماعي للتنمية

وقال فهمي هويدي: انه توجد بالبحث مراجع بعضها صادر عن اطراف مخاصمة للاسلام وليس بها حياد علمي.

وانتقد د. نصر عارف الاجراءات المنهجية للورقة وافتقادها المصدر المعرفي وخلوها من الاطار المنهجي الفكري وتناقض عباراتها.

ورأى د. وائل الحساوي ان الباحث فرغ الاسلام من كل مافيه كالثوب الفضفاض، وانتهى الى نتائج خاطئة.

كما طالب عبد المحسن العثمان بالبحث عن الاسباب التي جعلت واقعنا السياسي بهذا المستوى.

ووصف وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية د. علي فهد الزميع هذه الظاهرة بأنها ايجابية، وألقى باللائمة على المفكرين الاسلاميين لإهمالهم المحور السياسي في التنمية.

وقال: ان التنمية السياسية رغم ذلك لها ابعاد سياسية تحمل معنى ذا حساسية مفرطة.

المؤسسية ودورها في العملية التنموية

وفي بداية الجلسة الثانية الصباحية قدم الدكتور «حسين القزاز» ورقته تحت عنوان:

«المؤسسية ودورها في العملية التنموية» والتي اكد من خلالها على ان المشروعات التنموية الاسلامية بحاجة ماسة الى ان تستنير برؤى استراتيجية تعينها على فهم تحديات بيئتها واستشراف مستقبلها وعلى ترتيب اولوياتها وتنسيق برامجها ولا يتيسرانتقاء أطر مؤسسية ملائمة لهذه المشروعات إلا بالاسترشاد بمثل تلك الرؤى، موضحا ان الخصائص المطلوب توافرها في الجهات التي تعنى بتلك الامور، هي أن تكون مؤسسات راسخة ومستقرة ولها قاعدة موارد محترمة وذاكرة مؤسيسة تسمح لها بأن تستفيد باستمرار من أبحاثها وأن تستفيد من عطاء نوعين من المساهمين والمفكرين والباحثين المتخصصين.

واقترح د. القزاز لمواجهة أوجه قصور المؤسسات الفكرية الاسلامية ان يتم توجيه الجهد المستقبلي القريب الى تأسيس نوعين من الوحدات بالاضافة الى ماهو قائم هما: مركز الدراسات الاستراتيجية، ومراكز التدريب والاستشارات الفنية مشددا على ضرورة تمويل نشاط مؤسسات اساسية بنظام المشروعات لابنظام الارتباط العضوي بجهة محددة وان تتفق المنظمات الاغاثية الرئيسية على توجيه نسبة من الاموال المتاحة لها باستمرار الى النشاط الاستشاري مع توعية جمهورها تدريجيا بأهمية هذا النشاط.

المنهج الإسلامي للتنمية الاقتصادية

اما الدكتور عبد الحميد الغزالي فقدم ورقة بعنوان:

«المنهج الاسلامي للتنمية الاقتصادية»

أبدى من خلالها بعض الملاحظات التي تعد خلفيات ضرورية لفهم أعمق للمنهج الاسلامي وهي الركيزة الاخلاقية للاقتصاد الاسلامي وانفتاح هذا الاقتصاد على التراث الانساني وضرورة التخلص من موقف الدفاع عن الاقتصاد الاسلامي وغياب هذا الاقتصاد وما تسبب به من تخلف وسلفية الاقتصاد الاسلامي ابداعية مستنيرة وتحقيق تمام الكفاية. كفاية للاقتصاد الاسلامي.

وارجع د. الغزالي الانخفاض النسبي في مستوى النشاط الاقتصادي ومماينجم عنه من انخفاض في دخل الفرد الحقيقي الى عدة اسباب من اهمها: محدودية الموارد الانتاجية والاستخدام الرديء للموارد الانتاجية

الثقافة اليوم هي حجر الزاوية في بناء المستقبل الثقافي للعالم الاسلامي.

المتاحة والخصائص السلبية للبيئة المحيطة بالعملية الانتاجية، والآثار السلبية لظاهرة التسيب الدائري والآثار السلبية للعلاقات الاقتصادية الدولية وازدواجية الاقتصاد القومي.

وأكد على محاربة النظام الاسلامي للفقر عملا وذمه فكرا، مشيرا الى ماقام به هذا النظام من معالجة جذرية له، فجعل العمل جزءاً أصيلا من العبادة والتكافل الاجتماعي أصلا من اصوله الثابتة تحقيقا لتمام الكفاية.

واوضح ان المنهج الاسلامي للتنمية جاء ليعيد الاشياء في المجتمع الانساني الى طبيعتها وليرد منهاج قضية التنمية الى عمادها وهو الانسان.

المرأة والتنمية في المنظور الإسلامي

وفي الجلسة المسائية تحدث فهمي هويدي عن موضوع «المرأة والتنمية في المنظور الاسلامي» حيث بين الاستاذ هويدي بأن بعض كتب التراث الاسلامي ظلمت المرأة ظلما بيّنا وقال: ان المفاهيم الواجب تصحيحها تنصب على المفاهيم التي تتعامل بها مع الموضوع وهي في شقين : الشق الاول: يتعلق بموقع المرأة في التصور الاسلامي الذي يعرف الآن بقضية المرأة.

والشق الثاني: يتعلق بمفهوم المرأة العاملة.

وفي سؤال عن موقع المرأة في الرؤية الاسلامية؟ أجاب هويدي بأن المرأة اخت الرجل حيث تنسب واياه الى اب واحد وام واحدة وأنها انسان مثله مساوية له في الانسانية وأن الاثنين يتحملان المسؤولية امام الله عن النهوض بالواقع واصلاحه من خلال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان المساواة لاتنفي اختلاف الطبيعة الانسانية لكل منهما.

وقال: انه لكي تنهض المرأة بالمسؤولية الملقاة على عاتقها كشريكة أصيلة في المجتمع يجب تكليفها بمسؤولية اصلاح المجتمع وتقويمه ومن ثم النهوض به.

ومن جانبه تحدث الدكتور عبد العزيز التويجري في الورقة السادسة عن التنمية الثقافية في المنظور الاسلامي.

وقال: ان التنمية الثقافية مفهوم مبتكر من مفاهيم العمل الاجتماعي في مدلولاته الشاملة التي تتسع لشتى انشطة الحياة الانسانية.

وأضاف التويجري بأن التنمية مفهوم واسع في نظام التنمية الشاملة مشيرا الى أن الاستراتيجية الثقافية للعالم الاسلامي اشتملت على الاسس الثابتة والتوجهات العامة للتنمية الثقافية في البلدان الاسلامية وأنها تعد الاطار العام الذي يساعد على وضع السياسات الثقافية الهادفة الى ايجاد المناخ المناسب والبيئة الملائمة والامكانات القادرة على تنشيط الدورة الثقافية في جسم المجتمع الاسلامي واشار التويجري الى مستقبل الثقافة في العالم الاسلامي وقال: انها مرهونة بإرادة البناء الحضاري التي تتوفر لابنائه، وأن الثقافة اليوم هي حجر الزاوية في بناء المستقبل الثقافي للعالم الاسلامي.

فهمي هويدي: المرأة اخت الرجل وهي مساوية له في الانسانية وكلاهما يتحمل المسؤولية امام الله

الطفولة والشباب

وفي الجلسة الختامية للندوة قدمت ورقتان :

الاولى قدمها الدكتور «صلاح عبد المتعال» حول الفئات المهمشة في العملية التنموية« الطفولة والشباب» والتي أكد من خلالها ان الاطفال والشباب هم المخزون البشري لأي مجتمع. يحقق بشبابه متطلبات واحتياجات حاضره وبأطفاله آمال وتطلعات مستقبله ويفيد مسار الحضارات الانسانية انها انطلقت بطاقة شبابها وجهود رجالها وحكمة شيوخها واستمرت بحسن اعداد وصناعة اطفالها لتحمل مسؤولياتهم في شبابهم وكهولتهم.

وقد تطرق الدكتور عبد المتعال للحديث حول المنظور الاجتماعي لإعمار الطفولة والشباب من الخريطة السكانية حيث اكد ان الاطفال والشباب يشكلون مابين(٦٠- ٧٠٪) من مجموع سكان العالم العربي والاسلامي اي مايقارب من ثلثي حجم هذه التجمعات وقال: إن تحقيق معدل مناسب للتنمية بوجه عام وتوفير احتياجات الطفولة بوجه خاص يمثل المعادلة الصعبة التي ليس من السهل حلها حيث ارتفعت نغمة سياسة الحد من معدل النمو السكاني المرتفع لبعض البلاد وقال إن العالم العربي والاسلامي زاخر بالتناقض بين قطبي الوفرة السكانية والندرة الاقتصادية والقدرة السكانية وحول أهم قضايا ومشاكل الشباب في بعض الدول العربية اكد ان المشاكل التعليمية والاسرية والاقتصادية تربعت على باقي المشاكل الاخرى كما يعاني الشباب من زيادة معدل الخلافات الأسرية وإهمال الوالد للاسرة عند بعضهم ويشتكون من إهدار وقت فراغهم في الشوارع والمعاناة من الاضطرابات الجنسية ومشاكل المراهقة والشباب في نفس الوقت.

وأكد الدكتور عبد المتعال ان العوامل الاقتصادية من أهم العوامل المساعدة التي تدفع الشباب الى الانحراف والجريمة وذلك بفعل الحاجة الى الضروريات الاساسية للحياة وقال: إن البلاد المتقدمة والغنية لم تنحسر فيها المخاطر المحدقة بالشباب بل اخذت جرائم انحراف الشباب في الانتشار في كثير من هذه البلدان.

التنمية الاجتماعية في المنظور الإسلامي

وعقب ذلك قدم بشير الرشيدي الورقة الثانية في الجلسة الختامية والثامنة التي اختتم بها اعمال ندوة التنمية والتي ناقش من خلالها

التنمية الثقافية مفهوم مبتكر من مفاهيم العمل الاجتماعي في مدلولاته الشاملة

موضوع التنمية الاجتماعية في المنظور الاسلامي حيث بين فيها أن الاسلام سبق الفكر التنموي المعاصر بضرورة مراعاة الواقع الاجتماعي للتنمية بحيث يرتبط به وتهيئته على نحو تدريجي فاعل في الاتجاه الصحيح الذي يمكن العمل فيه للوصول للهدف المنشود الى جانب الخصائص الاخرى في التشريع الاسلامي التي تجعله يتفاعل ايجابيا مع الواقع النفسي والاجتماعي بما يهيء أفضل السبل للتغيير الى الافضل.

وقال الدكتور الرشيدي: إنَّ الجوانب الاساسية للتنمية الاجتماعية حسب المفهوم الاسلامي تتم من خلال ثلاثة مستويات الفرد والاسرة والمجتمع واكد في طرحه على المبادىء الاساسية والخطوط العريضة مدعمة بآيات قرآنية وأحاديث نبوية وبعض الافكار التي جاء بها علماء المسلمين وقال الدكتور الرشيدي: ان العلاقات الاجتماعية السليمة يتم ترسيخها عن طريق المنهج الاسلامي وافتقاد المجتمع لها يهوي بجهود التنمية ويستنزف امكاناته وموارده.

واستعرض الرشيدي كافة الآداب العامة التي حثَّ عليها الدين الاسلامي والنواهي التي من شأنها تعكير صفو العلاقات الاجتماعية وأشار الى اهتمام الاسلام بتأكيد مبدأ التكامل الاجتماعي وترسيخ دعائمه في اطار استراتيجية شاملة ترتكز على اعمدة قوية غايتها تحقيق السعادة للفرد والجماعة والمجتمع ودفع عجلة الحياة الاسلامية الى الامام واضاف ان الضياع والتناقض اللذين تعيشانه المجتمعات الغربية يرجع في أساسه إلى افتقاد المنهج المتكامل والشامل في تنظيم حياة البشر. المنهج الذي يتضمن اصلاح الحياة في بعدها الروحي والمادي من كافة الجوانب وهو ماجسده المنهج الاسلامي مشيرا الى ان التخلف الذي تعايشه بعض المجتمعات الاسلامية سببه التخبط في الأخذ بهذا المنهج التنموي الذي يعتبر اقوى الاسلحة والتي علينا ان نستخدمها في الحرب ضد التخلف.

د. صلاح عبد المتعال: العوامل الاقتصادية من اهم العوامل المساعدة التي تدفع الشباب الى الانحراف

سمو ولي العهد يستقبل المشاركين في الندوة

هذا وقد استقبل سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح المشاركين في الندوة وذلك بحضور المستشار بديوان سموه عبد الله العثمان ووزير الاوقاف والشؤون الاسلامية د. علي فهد الزميع ووزير الصحة العامة ووزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء وزير التخطيط بالنيابة د. عبدالرحمن صالح المحيلان ووكيل وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ خالد الزير وفي مستهل اللقاء رحب سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء بالمشاركين في الندوة ثم القى سموه الكلمة التالية:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

يطيب لي أيها الاخوة أن أغتنم هذه المناسبة الطيبة لأرحب بكم جميعاً بمناسبة تواجدكم وحضوركم مؤتمر التنمية في اطار تجديد الفكر الاسلامي ولقد اطلعت على أكثر الاوراق والابحاث والدراسات التي قدمت ونوقشت في هذا المؤتمر ولاشك عندي ايها الأخوة الاعزاء بأننا نعيش في عصر يتطلب منا جميعا التعمق في بحث هذه الموضوعات والأهداف المرجوة من هذه الدراسات من أجل أن تنيروا السبل أمامنا لتحقيق هذه الأهداف والغايات فكلي أمل ورجاء بأن تستمر مثل هذه اللقاءات الجيدة وأن تستمر مثل هذه الدراسات من أجل إيجاد الطريق أو الطرق المؤدية لتحقيق هذه الأهداف وتذليل المشاكل التي تعترض في بعض الأيام بعض الأمور من أجل غايات وأهداف بعيدة كل البعد عن تعاليم ديننا الإسلامي فديننا يسر لاعسر وبقدر ما ارحب بكم جميعا في بلدكم الكويت اتمنى للمؤتمر النجاح وأدعو الله سبحانه وتعالى ان يكلل جهودكم بالتوفيق والنجاح، بارك الله فيكم، ومرحبا بكم في وطنكم الثاني الكويت.

وقد أعرب الأمين العام للمنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم د. عبد العزيز التويجري عن الشكر والتقدير باسم المشاركين للندوة لسمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء لتفضله برعايته الكريمة للندوة ولاستقبالهم قائلا:

سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح

يشرفني ويسعدني كثيرا باسم زملائي المشاركين في هذه الندوة المباركة ان اتقدم الى سموكم الكريم بخالص الشكر وعظيم الامتنان ولدولة الكويت اميراً وحكومة وشعبا على ماالقيناه من كرم الضيافة وحسن الاستقبال والرعاية التي ادخلت في نفوسنا وقلوبنا الاطمئنان والارتياح في اطار هذا الجو العلمي والموضوعي الذي مكننا من تدارس هذه الموضوعات وتبادل الافكار والآراء حول قضايا التنمية في عالمنا الاسلامي للخروج من المأزق الحضاري الذي تعيشه الأمة والذي جعلنا نتحاور بقلوب مفتوحة وعقول مستنيرة والفضل بذلك لله سبحانه وتعالى أولا ثم لسموكم حيث قدمتم الدعم والمساندة منذ انطلاق هذا العمل الخيّر في عام ١٩٩١ حين عقدت الندوة الاولى في اطار تجديد النهضة الاسلامية والفكر الاسلامي ودراسة ملامح المشروع الاسلامي الذي هو مشروع الأمة كلها، فالفضل لله أولاً ثم لسموكم على رعايتكم وعلى متابعتكم لهذا العمل الذي يخدم الامة الاسلامية وانتم واحد من قادتها ومن الحريصين على تقدمها ورفعة شأنها فنسأل الله لسموكم طول العمر ودوام الصحة والتوفيق. وللكويت واميرها وحكومتها وشعبها دوام الاستقرار والنماء لتواصل مسيرتها في خدمة التنمية للأمة الاسلامية وللبشرية جمعاء وان يوفق الله قادة الأمة الاسلامية للتآزر والتضامن ووحدة الصفوف للوقوف في وجه التحديات الحضارية التي

ان الضياع والتناقض اللذين تعيشانه المجتمعات الغربية يرجع في أساسه إلى افتقاد النهج المتكامل والشامل في تنظيم حياة البشر

ملتقى التجربة الماليزية في العمل المصرفي الاسلامي

كتب: محمد هاني

قال النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، وزير المالية ناصر الروضان ان على البنوك الاسلامية ان تقوم على اساس متين لكي تشتد اركانها وتلبي جميع الاحتياجات المطلوبة من هذا القطاع المهم والحيوي جاء ذلك في الكلمة الافتتاحية التي القاها الوزير الروضان نيابة عن صاحب السمو امير البلاد راعي الملتقى الذي نظمته اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق احكام الشريعة الاسلامية التابعة للديوان الأميري وبنك الكويت المركزي بالتعاون مع البنك المركزي الماليزي وذلك خلال الفترة مابين ١٩-٢٢ شوال ١٤١٦هـ الموافق ٩-١٢ مارس ١٩٩٤م

الكويت تعتز بانتمائها الاسلامي

وفي حفل الافتتاح الذي شهدته جماهير غفيرة من رجال العلم والاقتصاد قال الوزير الروضان :

إن الكويت تعتز بانتمائها الاسلامي حيث نص دستورها على أن الاسلام هو دين الدولة واذا كنا في الكويت نأخذ بأساليب الحضارة الحديثة ونسير شؤون الدولة على اساس ماوصل اليه التقدم البشري من منجزات فإننا نحرص على الالتزام بجوهر الدين وعلى عدم معارضة احكام الشريعة الغراء في جميع شؤوننا.



○وزير الاوقاف د. علي الزميع يتوسط محافظ البنك المركزي والسيد يوسف الحجي

وأضاف قائلاً: هذا وعلى الرغم من أن معظم قوانيننا لاتتعارض مع احكام الشريعة الاسلامية الغراء الا ان مراجعتها أمر مطلوب سعياً وراء الالتزام الكامل باحكام الشريعة الاسلامية وهذا هو عمل هذه اللجنة.

واضاف: ان الملتقى الذي بدأ عمله عن التجربة الماليزية في العمل المصرفي الاسلامي والذي نظمته اللجنة الاستشارية العليا بالتعاون مع البنك المركزي وبمشاركة اخوة من ماليزيا لهو جهد مشكور على طريق التعرف على منهج الشريعة الاسلامية في جانب مهم من جوانب حياتنا المعاصرة وهو قطاع البنوك لأن البنوك الاسلامية حديثة النشأة وهي تتبوأ مكانها وسط نظام مصرفي تقليدي وعتيد، وتمارس نشاطها في عالم المال الذي يتميز بخطواته السريعة ويخرج علينا كل يوم بجديد، ولذلك فانه يلزم ان تقوم المصارف الاسلامية على أساس متين لكي تشتد اركانها على هدى ورشد واداء حسن يلبي جميع الاحتياجات المطلوبة من هذا القطاع المهم والحيوي.

كلمة محافظ البنك المركزي

أما محافظ البنك المركزي الشيخ سالم عبد العزيز الصباح فأكد في كلمته على ضرورة ان يكون النظام المصرفي الاسلامي المنشود تطبيقه في الدول الاسلامية قائماً على اسس سليمة وواضحة تحدد اطاره ومضمونه واساليب عمله لكي يستطيع هذا النظام أن ينهض بمهمته

لايجوز أن تكون العاطفة الدينية بديلاً عن العمل بجوهر الدين ومنهجه في شؤون الدنيا وهو الأخذ بالاسباب دائماً



○ النائب الثاني وزير المالية



○ محافظ البنك المركزي يلقي كلمته

في خدمة قضايا التقدم والتنمية.

وقال إنه لايجوز أن تكون العاطفة الدينية بديلاً عن العمل بجوهر الدين ومنهجه في شؤون الدنيا وهو الأخذ بالاسباب دائماً، ولذلك يلزم ان يقوم فقهاء ومتخصصون في النواحي المالية والمصرفية والشرعية بصياغة نظام للبنك الاسلامي يأخذ في الاعتبار البيئة القانونية والتنظيمية والاقتصادية والاجتماعية للدولة التي يتم تأسيس البنك الاسلامي فيها اذ انه ليس من المتوقع ان يصلح انموذج واحد للبنوك الاسلامية لجميع الدول.

ثم عرض تسعة بنود وقال إنه من الواجب أن تتضمن نظام البنك الاسلامي اضافة الى قضايا تشغيلية يجب ان تحدد البنوك الاسلامية منهجا بشأنها واضاف بأن عقد مثل هذا الملتقى دليل على وجود الرغبة العامة في افساح المجال امام مزاولة نشاط مصرفي اسلامي في الكويت وذلك الى جانب البنوك القائمة في الدولة والتي تمارس نشاطها المصرفي التقليدي.

أربع مراحل للتحول الاقتصادي الاسلامي

وقال رئيس اللجنة الاستشارية العليا لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية د. خالد المذكور:

وزير المالية: على المصارف الاسلامية ان تقوم على أساس متين لكي تشتد أركانها على هدي ورشد

إن الرؤية الاستراتيجية للتحول للاقتصاد الاسلامي تعتمد بشكل اساسي على اربع مراحل لاتقل احداها اهمية عن الاخرى فأولاها دراسة الواقع وثانيها الاعلان والتوعية وثالث هذه المراحل هي مرحلة التعايش المؤقت ثم المرحلة الاخير التحول التدريجي المبرمج الى اقتصاد خال من المخالفات الشرعية مع ما يتطلبه ذلك من جودة العرض والأداء ومرونة التشريعات القانونية ودقة تطبيقها. ولابد ان نكتنف ذلك كله جميعاً بالرعاية والتوجيه والدفع المعنوي.

وقال ان الملتقى الذي نقدمه للبنوك والمؤسسات المالية والاستثمارية يحتوي على بيان جوانب دقيقة قانونية وتنظيمية وفقهية، كما يقدم عرضا لادوات مالية انتهجا او استخدمها الاخوة في ماليزيا وذلك بغية تذليل عقبات تقديم الخدمات المصرفية الاسلامية من البنوك التقليدية او ايجاد الاطار العام للبنوك الراغبة بالتحول للعمل وفقا لاحكام الشريعة الاسلامية.

التجربة الماليزية تجربة غنية

وقال مساعد محافظ البنك المركزي الماليزي «اوانج حسين» في حفل الافتتاح ان الهدف من الملتقى هو التعرف على الخبرات التي يمكن ان تكتسب من التجربة الماليزية وسوف نتحدث في عديد من الموضوعات منها الاطر التنظيمية والرقابية للبنوك وكذلك الجوانب الفنية التي نركز فيها على بنك ماليزيا الاسلامي ونتعرض لتنمية السوق المالية في ماليزيا وتطور المصارف وسوف يتاح للمتحدثين مناقشة التجارب المتبادلة من اجل تنمية المصارف الاسلامية وماليزيا لها دور رائد وقد لاتكون بالتجربة التامة ولكن نقدمها لجميع الدول ونحصل على الآراء للحصول على التميز في التجربة.

الاقتصاد الاسلامي حلم يراود الكثيرين

ثم ألقى مقرر اللجنة الاقتصادية ابراهيم الابراهيم كلمة قال فيها:

إن الرؤية الاستراتيجية للتحول للاقتصاد الاسلامي تعتمد بشكل اساسي على اربع مراحل لاتقل احداها اهمية عن الاخرى

لقد شمل صاحب السمو امير البلاد الشيخ جابر الاحمد الجابر الصباح برعايته ملتقى التجربة الماليزية في العمل المصرفي الاسلامي وماذلك الا استمرارا منه في رعايته للشريعة بإنشاء اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق احكام الشريعة الاسلامية واليوم تستكمل اللجنة الاستشارية العليا والبنك المركزي خدمة دين الله الحنيف وشريعته الغراء بالسعي لدراسة جوانب الاستفادة من التجربة الماليزية في بناء اقتصاد يرتكز على هدي كتاب الله وسنة نبيه المطهرة.

لقد كان الاقتصاد الاسلامي حلما يراود الكثيرين ثم رأيناه تجربة ومحاولات ثم اصبح شركات ومؤسسات مستقرة ومتميزة لها نصيب كبير من السوق المحلي والعالمي.

كان الاقتصاد الاسلامي حلما يراود الكثيرين ثم رأيناه تجربة ومحاولات ثم اصبح شركات ومؤسسات مستقرة

فعاليات الندوة

في الجلسة الاولى لفعاليات الندوة ألقى مساعد محافظ البنك المركزي الماليزي الدكتور« اوانج حسين» محاضرة حول« تطور المصارف الاسلامية في ماليزيا».

فذكر ان النظام المالي في ماليزيا يتكون من «٣» قطاعات هي: القطاع المصرفي والوسطاء الماليون غير المصرفيين والاسواق المالية موضحا ان المؤسسات التي يسمح لها بفتح حسابات جارية وهي«٣٧» بنكاو «٤٠» شركة بالاضافة لبنوك الاستثمار التي تخضع لرقابة البنك المركزي أما الوسطاء غير المصرفيين فتنقسم الى مؤسسات تنمية مالية والبنك الزراعي والبنك الصناعي وبنك التنمية وبنك الصناعة للتنمية والتمويل ثم مؤسسات الادخار واكبرها بنك الادخار الوطني وله فروع في كافة أرجاء الدولة لتجميع الودائع في كافة المناطق وخاصة من صغار المودعين وصناديق التقاعد.

وقال اوانج:

إن بنكا واحدا أو بضعة بنوك لاتمثل نظاما مصرفيا اسلاميا ولكن هنا متطلبات للنظام المصرفي الاسلامي تتمثل في وجود عدد كبير من البنوك تشترك جميعا في النظام لتعميق هذا النظام وتعدد أدواته التي يجب أن تكون ميسورة ومتوفرة لسد احتياجات العملاء.

واضاف من بين متطلبات النظام المصرفي وجود سوق مالية تعمل على الربط بين المشاركين والادوات المصرفية المختلفة.

الى جانب ذلك لابد ان يعكس هذا النظام القيم الاسلامية في جوهره وليس في مظهره وقد عمل البنك المركزي على تحقيق ذلك.

واختتم حديثه بالتطلع الى ان تقوم الهيئة الجديدة التي اسست للنظام المصرفي الاسلامي بدور فعال في تطوير النظام المصرفي الاسلامي وكذلك إيجاد أدوات جديدة تواجه ما يستجد من مشاكل وتحديات.

العمل المصرفي الاسلامي يصلح للمسلمين وغيرهم

كما ناقشت الجلسة الثانية لملتقى التجربة الماليزية في العمل المصرفي الاسلامي.. في يومه الاول ورقة عمل بعنوان« دور البنك المركزي في تحديد سياسات ونظم الاطار الرقابي» من إعداد مدير إدارة التنظيم بالبنك المركزي الماليزي «محمد رازق عبد القادر» .

وفي اليوم الثاني نوقشت ورقة العمل التي قدمها المدير العام والعضو المنتدب لبنك ماليزيا الاسلامي احمد تاج الدين عبد الرحمن حول الجوانب الفنية والتشكيلية للمصرف الاسلامي.

ثم ناقش الملتقى من خلال ورقة عمل قدمها مدير الشؤون القانونية بنك ماليزيا الاسلامي فاضل يوسف الجوانب القانونية للمصارف الاسلامية . وورقة عمل بعنوان « اعتبارات السياسة النقدية عند تطبيق النظام المصرفي الاسلامي في بيئة تقليدية قدمها المساعد الاول لمدير البنك المركزي الماليزي «حيدر يحيى» في حين القى نائب مدير ادارة الرقابة والاشراف بالبنك المركزي الماليزي عبد الحليم محمد محاضرة بعنوان« رقابة واشراف البنك المركزي على عمليات المصارف الاسلامية».

وضمن فعاليات اليوم الرابع والاخير نوقشت ورقة عمل بعنوان« عملية تحول البنوك التقليدية الى بنوك اسلامية» قدمها السيد «علي محمد شريف».

فرصة نفيسة للمهتمين بالعمل المصرفي الاسلامي

من جهة اخرى اكد المشاركون في الملتقى في ختام الجلسات على اهمية توسعة دائرة المعاملات الشرعية في القطاع المصرفي من خلال السماح للبنوك التقليدية بتقديم خدمات مصرفية اسلامية والتعجيل بالانتهاء من القانون الذي تعده اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق احكام الشريعة الاسلامية في هذا المجال تلبية لرغبة المؤسسات والبنوك المتطلعة لتطبيق احكام الشريعة الاسلامية.

ودعا الملتقى البنوك المركزية لتنمية جهودها ودراساتها في مجالات العمل المصرفي الاسلامي والتعجيل بطرح أدوات مالية اسلامية لتجربتها.

وقال رئيس اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق احكام الشريعة الاسلامية الدكتور خالد المذكور ان الملتقى كان فرصة نفيسة للمهتمين بالعمل المصرفي الاسلامي والعمل المصرفي التقليدي ورجالات المصارف المركزية أتاحت لهم لأول مرة فرصة الاطلاع والتعرف والحوار البناء حول تجربة فريدة في هذا العصر نشأت في ظل نظام يقوم على أساس تعدد الثقافات والأديان وختلاف الأجناس والأعراق والأحزاب والتوجهات الاقتصادية تحت ظل الديمقراطية البرلمانية لدولة الاتحاد الماليزي التي تعد من الدول المتميزة في العصر بالنمو الاقتصادي القوي الدعائم والاركان. ■

الغارة على الإسلام والعدوان على التاريخ

٢٠٢

منذ قرون عديدة والمسلمون يتعرضون لغارات منتظمة متلاحقة بشنها الصليبيون والصهيونيون والمبشرون والملاحدة. وهي غارات متواصلة الحلقات، لاتهدأ إلا بقدر مايستعد الاعداء لوثبة جديدة، وهي في آخر تطوراتها لاتستهدف الأرض بقدر ماتستهدف القيم الإسلامية واخلاقيات الشباب المسلم، والنيل من ميراثه الروحي والعقلي والمتآمرون المغيرون يملكون من الطاقات المادية والتقنيات العلمية مايمكنهم من تطوير اساليبهم في التدمير وتوظيف الصنائع من العرب والمتمسلمين.

وفي الصفحات التالية نعرض بشيء من التفصيل لبعض اساليبهم واهدافهم ومفترياتهم واكاذيبهم. ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا﴾[الكهف/ ٥].



للدكتور: جابر قميحة

حقيقة الخلافة العثمانية

وبفكر مفتوح وبشيء من التأني والتبصير بعيدا عن الهوى والتخبط والحماسة الجوفاء تبدو هنا في تاريخ هذه الدولة عدة حقائق نلخصها في النقاط الآتية:

أولا: استطاعت الخلافة العثمانية ان تدافع عن الشرق العربي ضد الغزو الاوروبي، وان توقف المد الصليبي الغربي طيلة اربعة قرون، وقد كان من اللازم ان يتحول الوطن الاسلامي كله الى قوة عسكرية هائلة لتواجه الموجة الصليبية العاتية التي اخذت تتجمع وتتكثف بعد نهضة الشعوب الصليبية المنكرة مطالبة باستعادة بيت المقدس، بل ان احد القادة الغربيين نادى بضرورة الزحف الى مدينة الرسول، ونبش قبر محمد ووضع عظامه- كأثر تاريخي - بمتحف «اللوفر» بفرنسا.

صحيح ان الدولة العثمانية لم تستطيع ان توقف هذا المد الى النهاية، ومع ذلك يبقى لها فضل الصمود المشرف، والحاق هزائم منكرة بالدول الاوربية الصليبية مجتمعة، مما يعد نقاطا وضيئة في سجل التاريخ الإسلامي، ومن ثم اخرت الاستعمار الغربي، واعاقت تقدمه نحو الوطن العربي، وان لم توقفه الى الابد.

ثانيا: لم تكن البلاد العربية والاسلامية تنظر الى الدولة العثمانية كدولة استعمارية متسلطة - كما كانت تنظر فيما بعد الى فرنسا وانجلترا.. واسبانيا- بل كانت تنظر الى الخلافة التركية كضرورة يجب ان تظل وتبقى في مواجهة عالم صليبي منهوم، وثمة أدلة واقعية تاريخية كثيرة تؤيد هذه النظرة وذاك التكييف، ومنها على سبيل المثال:

١- ان الجزائر قد دخلت باختيارها في ظل الدولة العثمانية وكذلك امراء لبنان وشريف مكة.

٢- ان اهل المغرب قد رفضوا ان يكونوا جنودا في جيش المماليك لمقاتلة السلطان سليم لانهم -على حد قولهم- لايقاتلون الا الفرنج اعداء الاسلام(٢٢).

٣- ان العرب والمسلمين من جميع الاجناس قد اشتركوا اشتراكا فعليا مع الاتراك في حروبهم المختلفة، فإذا ماظهرت نذر الحرب بين تركيا وروسيا مثلا- رأينا الأمداد- كما يقول الدكتور محمد حسين - تنهال على تركيا المؤن والرجال من سائر الاقطار الإسلامية، وينبث الدعاة في كل مكان يحرضون الناس على الدفاع عن الإسلام حتى تبلغ دعوتهم الهند والصين.(٢٣)

٤- وقد كان التعاطف الوجداني مع الدولة العلية كرمز للخلافة الاسلامية واضحا قويا، فالنزعة الإسلامية كانت غالبة على العصبية الجنسية والرابطة القومية وبخاصة في مصر، ولذلك لم يجد المصريون غضاضة في

التاريخ يثبت ان العنصر الاساس الفعال في الدعوات والحركات والثورات هو عنصر الشباب

الاعتراف بسلطة الخليفة التركي. وحين ثار عرابي على فساد واساليب الحكم في مصر وعلى تغلغل النفوذ الاجنبي فيها لم يخطر بباله ان يخلع طاعة الخليفة، او يخرج عليه، بل هو يخطو خطواته معلنا انه يستمد من الخليفة السلطة والبركة في كل مايفعل.

ومن ناحية اخرى كانت منشورات الخديوي توفيق تستعين على تنفير الناس من عرابي بتصويره خارجا على الخلافة عاصيا اوامر أمير المؤمنين.

وزعماء الوطنية المصرية الذين لايشك في إخلاصهم، والذين كافحوا وعانوا في سبيل القضية المصرية كانوا يبدون دائما ولاءهم الخالص لخليفة المسلمين عبد الحميد، فمصطفى كامل كان يرى فيه« اعظم سلطان جلس على أريكة آل عثمان، ووجه عنياته لإبطال مساعي الدخلاء وتطهير الدولة من وجودهم (٢٤) وقد يتحمس الزعيم الشاب فيذهب الى ان بقاء الدولة العلية ضروري للجنس البشري وان في بقاء سلطانها سلامة امم الغرب، وامم الشرق (٢٥).

وكان محمد فريد- خليفة مصطفى كامل متفقا معه في ان مؤازرة مصر لتركيا هي السبيل الامثل الى مناهضة المستعمرين(٢٦).

والذي يطالع ادب هذه الفترة- وبخاصة الشعر- يلمس بأن نظرة العرب والمصريين الى تركيا والخليفة العثماني كانت نظرة تعاطف ومحبة وتجلة وتعظيم.

وقد انشد شوقي - امير الشعراء- احسن مطولاته الشعرية في الخليفة العثماني وانتصارات الاتراك. ومنها مطولته الملحمية المشهورة التي مطلعها:

بسفيك يعلو الحق والحق اغلب
وينصر دين الله أيان تضرب (٢٧)

ثالثا: ان تاريخ هذه الفترة- على قربها- لم يكتب الكتابة الوافية الشاملة حتى الآن فمازالت هناك خفايا لم يكشف عنها النقاب، ومازالت هناك مواقف تحتاج الى تفسير، وشخصيات تفتقر الى استجلاء فالغربيون الذين كتبوا تاريخ هذا العصر اعماهم التعصب عن ذكر كثير من الحقائق او انصافها، وانساق كثير من كتاب العرب والمسلمين يتلقفون هذه الافتراءات دون تبصر او تمحيص، ويطلقونها كالمسلمات او الامثلة السائرة.

إلا أن بعض الركام المنكود بدأ ينهار فيكشف عن كثير من الحقائق المجهولة التي شاء اعداء الإسلام والعرب ان تظل مجهولة، وهي في مجموعها تصم الصليبية، وتدفع الصهيونية العالمية التي كانت تعمل على تقويض الخلافة العثمانية طبقا لمخطط مرسوم.

فأيسر مايقال في هذا المقام ان تاريخ هذا العصر في حاجة الى اعادة نظر ليكتب من جديد بدقة وتعمق، في ضوء ماأسفرت وتسفر عنه الايام من ادوار خبيثة لعبتها الصهيونية العالمية وخاصة قليل منها على سبيل الجهر والعلانية، واغلبها أدي خفية.. في الظلام.. من وراء الكواليس.. بمهارة فائقة واتقان لايبارى.

وقد يؤيد ماذهبنا اليه ان الجمعيات والتنظيمات التركية التي ضمت العناصر المناهضة للسلطان عبد الحميد نشأت في سالومنيك (مقدونيا) وكان نصف سكانها تقريبا من اليهود، كما كانت هذه المنطقة تزخر بالقوميات البلقانية وكانت كذلك اكثر اتصالا بالعالم الاوروبي، ومن هذه الجمعيات جمعية (الوطن) التي اسسها مصطفى كمال (اتاتورك) سنة ١٩٠٦، ثم سماها (الوطن والحرية) ومنها (الجمعية العثمانية) التي كانت يتزعمها انور ونيازي. وقد ثبت بالوثائق الدامغة ان هناك علاقة قوية بين حركة تركيا الفتاة والماسونية والصلة بين المحافل والماسونية والهيودية العالمية معروفة ثابتة.

وكان في مقدمة الوفد البرلماني الذي تقدم للسلطان عبد الحميد حاملا وثيقة العزل المحامي اليهودي الصهيوني « عمانويل كاراسوافتوس» وهو احد قادة الحركة الماسونية في سالونيك(٢٨)

وقد حاول اليهود بشتى الوسائل وبكل مالهم من ثقل عالمي ان يدخلوا الى فلسطين ولو عددا محدودا من اليهود، وان يتملكوا بعض الاراضي، ولكن السلطان عبدالحميد رفض في قوة كل هذه المحاولات.

واخذ «هرتزل» يتردد على الاستانة مابين سنة ٨٩٧ وسنة ١٩٠٢ ليقنع السلطان عبد الحميد بفكرة الاستيطان الجزئي لبعض اليهود في فلسطين ومنهم بعض ارضها مقابل مبلغ ضخم من المال تفرج به الدولة ضائقتها المالية، ولكن بعد الحميد السلطان المسلم رفض في اباء كل عروض الصهيوني الخبيث وكتب« هرتزل» في يومياته ماقاله السلطان المسلم بالحرف الواحد، ومنه الى غير أهلها، فالبلاد ليست ملكي، بل هي ملك شعبي الذي روى ارضها بدمائه، وليحتفظ اليهود بملايينهم الذهبية..(٢٩)

ومن هنا نستطيع ان ندرك في يسر سر التنظيمات التي قامت تناهض الخلافة السلطان، وسر حرص اليهود على عزل عبد الحميد ونستطيع ان ندرك كذلك سر هذه الصورة المشوهة التيْ رسمتها الصليبية والصهيونية للسلطان التركي فهو زير نساء، وسفاح، ومتعصب، وضيق الافق.. الخ ولكن الله هيأ لكشف بعض الحقائق غربيا منصفا تجرد من التعصب، ليفند هذه المفتريات هو «فمبرى المجرى» الذي شهد لعبد الحميد بالتواضع، والبعد عن البذخ وذكر «فمبرى» انه بحث واستقصى بنفسه كل ما نسب لعبد الحميد من نقائص فوجد ان كل ماسمعه اختلاف أو مبالغة او غلو(٣٠).

هذا الرجل الصنم...

ويشاء الله ان ينشر - منذ بضعة اعوام- كتاب مدعم بالوثائق يهتك الاستار عن «الغازين» مصطفى كمال اتاتورك وهو كتاب «الرجل الصنم»(٣١) واقتطف في الكتاب بعض الحقائق التي تكشف عن حقيقة هذا البطل

تركز حركات التبشير في أفريقيا بصفة خاصة على فراغ الافريقي وجاهزيته لتقبل النصرانية

الدور الرئيس والخطير الذي تلعبه المدارس في تنصير الشباب يعود الى تأثير التعليم النصراني على الناشئة

الزائف:
١- عاش طيلة حياته سكيرا عربيدا فاسقا حتى اصيب بسيلان مزمن، وقد نقل هذا المرض لزوجته لطيفة هانم (٣٢) واكثر من ذلك كان مصابا البشذوذ الجنسي- يقول مؤلف الكتاب« وفي احدى الأمسيات خرج اسماعيل(٣٣) وزوجته «ملاحت» إلى شرفة قصر «خانقايا» قصر الغازي، ففوجئا بمنظر«وداد» احد موظفي القصر- وهو «.....» بمصطفى كمال بجانب احد الاشجار فأسرعا باستدعاء «لطيفة» التي صعقت وجابهت «الغازي بما رأت وقالت له: لقد رأيت كل شيء فيك وتحملت كلي شيء، ولكني لااستطيع تحمل هذا فطلقها مصطفى بقرار من مجلس الوزراء.(٣٤)

٢- وكان خسيسا غادرا ساديا نرجسيا يوثر ذاته ولايرضي ان يعارضه احد، وذكر ان الجناح المعارض في المجلس الوطني كان على رأسه السيد علي شكري الذي كان ضابط ركن في البحرية، ونائبا عن ولاية « ترابزون». فاستدعاه مصطفى بوساطة رئيس الحرس الشعبي «توبال عثمان» حيث خنقه والقى بجسده داخل شوال« في احدى الحفر أما «توبال عثمان» فقد كان جزاؤه رصاصات اطلقت عليه من الخلف حتى يموت سره معه (٣٥) كما قام بمذبحة ضد الاتحاديين بحجة محاولة اغتياله في أزمير(٣٦).

٣- وكان خائنا لامته، فقد سلم احد الممرات الاستراتيجية الى «الجنرال اللنبي» مما مكنه من ضرب الجيوش التركية في سوريا، واصبح هو في نظر الانجليز عنصرا يمكن كسبه الى جانبهم، وتوجيهه الى الهدف المراد في كل وقت. (٣٧)

كما انه باع «اذربيجان» الى البلاشفة مقابل المال، وذلك عندما طلب من «الاذربيجانيين» السماح بدخول الجيوش الروسية بحجة انها متوجهة إلى مساعدة تركيا، وعندما دخلوا بهذه الحيلة الى «أذربيجان» لم يخرجوا منها، ولم يرسلوا جيوشا الى تركيا. وكان خليل باشا هو واسطة هذه الخيانة، وهو هم انور باشا المعروف(٣٨)

٤- وكان جبانا رعديدا - على غير ماشتهر به-: ينقل رضا نور عن المارشال« فوزي جاقماق» احد رفاق اتاتورك انهم كانوا جالسين في مجلس الامة الاعلى، فظهرت عبر النافذة الخلفية للبناء سحابة كبيرة من الغبار كأنها صادرة من عشرات الألوف من الاقدام المسرعة من ناحية السهل.

وعندما رأى مصطفى كمال هذا المنظر تهيأ للهرب قائلا« هذه جيوش الخليفة آتية» ثم ظهر انه لم يكن هناك سوى قطيع كبير من الغنم (٣٩).

٥- وعاش لصا مختلسا: فقد سرق نصف مليون ليرة انجليزية ارسلها اليهود معونة لتركيا(٤٠) وباع بعض. اراضيه بألف ضعف ثمنها الاصلي لبعض الوزارات.(٤١) واعتصب لنفسه منجم الفحم رقم ٦٣ في «زونكولدان» (٤٢)

٦- ولم يكتف بإلغاء الخلافة الإسلامية، ونقض عرى الاسلام عروة عروة، بل عاش طيلة حياته حاقدا على الإسلام ونبيه، وهناك عشرات من القصص تدل على ذلك ،لعل اطرفها وامرها القصة التالية:

كان مصطفى في فندق «بارك» وعلا صوت المؤذن بالاذان في المسجد الصغير الكائن امام الفندق مباشرة.. فالتفت أتاتورك إلى من حوله قائلا:

من قال بأننا مشهورون؟! وماشهرتنا نحن؟!! انظروا الى هذا الرجل «يعني سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام» وماله من اسم وشهرة فيتكرر اسمه في كل لحظة، وفي جميع انحاء العالم، اذا اخذنا فرق الساعات بنظر الاعتبار.

وأمر بهدم منارة هذا المسجد(٤٣).

رابعاً.. واخيراً: كان سقوط الخلافة العثمانية نتيجة لمجموعة من الاسباب الخارجية والداخلية (٤٤) تضافرت وتكاتفت جميعها، وبتخطيط مدروس، فكانت هذه الاسباب اقوى من ان تصمد لها دولة.. أية دولة، وقد استطاعت اوروبا الصليبية، والصهيونية العالمية ان تصنع لها عملاء من الداخل: عربا ويهودا واتراكا. واستغل اعداء الدولة سوء الإدارة في بعض الولايات وغباء الساسة عند بعض الولاة الاتراك فاتخذوا كل ذلك -بعد ان جسموه وبالغوا فيه -ذريعة للانقضاض الذي انتهى بتصفية الخلافة وتوزيع تركة« الرجل المريض».

ولكن اعدى أعداء الخلافة الاسلامية، واشد الناس ايمانا بالعلمانية لا يستطيع ان ينكر حقيقتين:

الأولى: ان تركيا الخلافة، وهي في اضعف حالاتها وموافقها، وفي أواخر ايام «الرجل المريض» كما يحلو للصليبيين واليهود ان يطلقوا- اقول:« ان تركيا- حتى في هذه الفترة المتأزمة المخنوقة الحرجة- كانت لها شخصيتها الشامخة العزيزة الابية ولم تكن «تابعة» او «ظلا» لدولة اخرى على نحو من الانحاء كما حدث لها بعد ان تخلصت من الخلافة على أيدي «الاحرار التقدميين»(٤٥).

والحقيقة الثانية: ان شعوب الامة العربية لم تقاس من الحكم التركي المتخلف مثلما عانت وتعاني في ظل حكومات «عربية تقدمية»(٤٥)

القومية..لاالدين!!

وراسبة اخرى من رواسب الاستشراق المتعصب، والتبشير البغيض تلقن لنشئنا وشبابنا تتخلص في مقولة« القومية لا الدين» او عزل الدين عن الدولة، أو مايمكن بان نسميه« بعلمانية الاعتقاد» وكم رقَّصوا شبابنا على بيت شوقي:

الدين للديان جل جلاله
لو شاء ربك وحد الاقواما

فليعش الدين بسلام حول أضرحة الاولياء وتحت قباب

المساجد ومأذنها.. نعم..ليكن صلة طيبة وثيقة بين العبد وربه لان تحكيم الإسلام في شؤون السياسة والحكم والمجتمع يؤدي إلى فتنة طائفية ويخلق التطاحن بين عنصري الأمة مسلمين واقباطا!! وهي مقولة غربية ينكرها بعض الاقباط العدول انفسهم وقد تناسى دعاة «عزل الدين» بدهيات وحقائق.. هم يدركونها جيدا.. نوجزها في السطور الآتية:

١-يدعو الإسلام الى التجميع لا التفريق، واقباط مصر بالذات عاشوا بأجواء ممزقة ونفوس مفزوعة تحت سياط الرومان« المسيحيين» كما انهم لم يذوقوا طعم العدل والمساواة إلا في ظل الحكم الإسلامي.

٢- والمسيحيون لن يضاروا اذا حكمت الشريعة الاسلامية في دولة تسعة اعشارها من المسلمين. والجميع يعلمون ان المسيحية لم تأت بنظام سياسي حتى يقال: ولماذا لايكون للنظام السياسي المسيحي نصيب في شؤون السياسة ونظام الحكم؟ فمن القواعد الاساسية في المسيحية« دع ماالله لله، ومالقيصر لقيصر».

٣- وليس في تحكيم الشريعة الاسلامية حجر على الكنيسة المسيحية في مجال العبادة والتربية والدعوة والاحوال الشخصية وتحصيل المعاش. اما ما يبقى من قواعد الإسلام في مجال الحكم والسياسة والاقتصاد- وكلها قواعد تتدفق بالعدالة - فليأخذ المسلم نفسه بهاديها، وليتقبلها المواطن المسيحي قانونا، وليس في ذلك مايوقع في حرج، او يدعو الى فتنة او انقسام.

٤- والاسلام- وان كان دينا عالميا جاء لكل زمان ومكان- كتابه عربي، ونبيه عربي، ونزل أول مانزل- في ارض عربية، وخاطب- أول ماخاطب عربا اقحاحا، وقد قال رسول الله ﷺ اذا ذل العرب ذل الإسلام وقد حدد عليه الصلاة السلام معنى «العروبة» اذ فسرها بأنها «اللسان» وذلك في قوله عليه السلام:« وليست العربية بأحدكم من أب ولاأم، وانما هني اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي» (٤٦). عربية الكتاب.. عربية النبي.. عربية الارض.. عربية الناس ..لقد كانت هذه «العربية» الرباعية هي منطلق الاسلام إلى «العالمية» في شتى جوانب الحياة.. فإذا كانت فلسفة القومية العربية ترتكز على الاعتزاز بكل ماهو عربي لغة وقيما وجنسا وارضا فلماذا ينفر هؤلاء من الإسلام؟ مع ان كل مايعتزون به- إذا مابتعدنا عن الشطط والتعصب - كان ومازال من اصوله وجواهره.

٥- والوطنية والقومية بمفهومها الاعتزازي الذي يعني حب الارض والوطن والحرص على صلات القربى والجوار، بعيدا عن التعصب الاعمى والاسراف المزري والتشدد والتزمت.. هذا المفهوم.. لاأقول يتفق مع الاسلام فحسب، بل اقول : ان الإسلام يدعو اليه ويلزم المسلمين به.

لقد هاجر النبي ﷺ من مكة الى المدينة وفي قلبه حسرات الفراق مكة، وكان يناجي مكة- احب بلاد الله اليه على حد قوله- ويدعو الله ان يعينه على هول الدنيا وبوائق الدهر، ومصائب الليالي والايام، وان يصحبه في سفره، ويخلفه في اهله(٤٧).

٦- وعزل الدين عن الدولة في اوروبا كان له مايبرره في الطبيعة الذاتية للدين المسيحي، وفي المسلك العملي التسلطي للكنيسة، وهو مالا يتوفر بأي في الطبيعة الشمولية للإسلام من ناحية، وفي الواقع التاريخي للمسلمين من ناحية اخرى. ولو تعمق دعاة العلمانية جوهر المسيحية، وجوهر الاسلام، ولو تعمقوا حقائق الامور، وحقائق التاريخ ،لادركوا ان الاسلام كما يقول الدكتور محمد البهي لو كان في اوروبا لما نشأت العلمانية في الفكر الاوروبي، ولما وصل تفكير بعض المفكرين في اوروبا الى التطرف في المادية، والجنوح الى شحن النفوس بالاحقاد، ودفعها الى الانقلاب الدموي لحل بعض المشاكل الاجتماعية(٤٨).

فلماذا اذن الحرص على العلمانية في حياتنا الفكرية والعملية؟

ان هذا الحرص ان جاء من حاكم فهو لعدم اهليته للحكم، وللهرب من المسؤولية التي يلقيها الإسلام على الحاكم كحاكم في طلب الاستقامة في السلوك، واداء امانة الحكم والعدل والشورى المتبادلة والرعاية، وليس التسلط.

وإن كان من مفكر: فهو قصور في معرفة الإسلام، وخداع نفسه وغيره بعرض قضايا يدرك اطرافها فقط، دون جوهرها وغايتها. وان كان من سياسي فهو للتلاعب بالفكر غير الناضج، والتمويه في حلبة المنافسة السياسية.

وان كان من فتى وفتاة: فهو التحلل من التزام الايمان في التوجيه والسلوك، والانطلاق في شهوة البطن والفرج والملبس (٤٩). وقد تأخذ الدعوات المادية أو العلمانية صورة اضيق ولكنها سيئة في آثارها بشعة في نتائجها، وهي «فصل الاعمال عن الاخلاق» وهي دعوة لها وجودها العملي للاسف حتى في اوساط العامة فيقال :لايهمني اخلاق فلان، وانما تهمني اعماله وانجازاته، كأنما يمكن ان ينفصل هذا عن ذاك!! وهذا التجزؤ خطأ علمي، فضلا على آثاره الاجتماعية الفظيعة، فحقائق الحياة كل لايتجزأ، ولا يتعارض إلا في العقول الصغيرة، والقلوب الصغيرة(٥٠) وكيف يخلص في عمله من حرم فضيلة الاحلاص؟ وكيف يسدد دينه من يكفر بخليقه الوفاء؟ وكيف يطبب مريضا ويعمل جاهدا ساهرا لتخليصه من آلامه من حرم الرحمة والشفقة؟ نعم ان الاسلام شيء وغير هذا المعنى الذي اراد خصومه ومن ساروا على دربهم ان يحصروه فيه ويقيدوه به، فالإسلام عقيدة وعبادة، ووطن وقانون والمسلم مطالب بحكم دينه ان يعني بكل شؤون امته« ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» (٥١). ولكن نقول في النهاية ان كلمة الله نافذة وإرادته غالبة، وهو عز وجل القائل:﴿ ان الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ وهو القائل:﴿وكان حقا علينا

الصلة بين التبشير والالحاد وثيقة بشهادة المبشرين انفسهم والخلاف بينهم لايعدو خلافا ظاهرياً في الاولوية

نصر المؤمنين».

المراجع

١- الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر د. محمد محمد حسين. ط(٢) المطبعة النموذجية القاهرة
٢- اخبار ابي نواس: ابن منظور المصري تقدم عمر ابي النصر دار الجيل- بيروت ١٩٧٥.
٤- الإسلام والدول الاسلامية جنوب صحراء افريقية منذ دخلها الإسلام حتي الأن د. احمد شلبي ط (٤) مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٨٣.
٥- الانسان بين المادية والإسلام: محمد قطب ط ٤٠) دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٩٦٥.
٦- البداية والنهاية: ابن كثير الحافظ اسماعيل بن عمر دار الفكر العربي. القاهرة - ١٩٤٢.
٧- تاريخ الدولة العلية العثمانية: محمد فريد المحامي ط(١) دار النفائس بيروت - ١٩٨١
٨- التبشير والاستعمار في البلاد العربية : د. مصطفى خالدي د. عمر فروح - ط (٣) بيروت- ١٩٦٤.
٩- حركة البعث في الشعر العربي الحديث د. ماهر حسن فهمي دار الطباعة الحديثة القاهرة (د.ت)
١٠- دراسة الاغاني: شفيق جبري دمشق ١٩٥١
١١-الدولة العثمانية والشرق العربي: د. محمد أنيس مكتبة الانجلو- القاهرة .د.ت
١٢- الرجل الصنم: كمال اتاتورك :بقلم ضابط تركي سابق ترجمة: عبد الله عبد الرحمن مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧٧
١٣- الشوقيات: احمد شوقي الجزء الاول- مطبعة الاستقامة القاهرة ١٩٦١.
١٤- العلمانية: نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة: سفر بن عبد الرحمن الحوالي دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع- ١٤٠٢- ١٩٨٢.
١٥- العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق: د. محمد البهي مطبعة الأهر. القاهرة ١٩٧٦
١٦- الفكر الاسلامي المعاصر: دراسة وتقويم: غازي التوبة ط(٣) دار القلم- بيروت ١٩٧٧
١٧- مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا: المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر- بيروت - ١٩٨٣.
١٨- المدخل الى القيم الإسلامية: د. جابر قميحة دار الكتا المصري - اللبناني. القاهرة ١٩٨١.
١٩- مذكرات الدعوة والداعية: الإمام الشهيد حسن البنا ط(٥) المكتب الاسلامي - بيروت ١٩٨٣.
٢٠- مقدمة ابن خلدون: دار الشعب. القاهرة «د.ت».

الدوريات

١- الرائد «أسبوعية تصدر في الكويت»
٢- الرسالة« اسبوعية تصدر في القاهرة»
٣- العالم« اسبوعية تصدر بالعربية في لندن».

الهوامش

٢٢- انظر: د.زكي عشماوي: الأدب وقيم الحياة المعاصرة
١٧٤- د. محمد أنيس الدولة العثمانية والشرق العربي ٤ - وجلال كشك في مجلة الرسالة العدد ١١٠١.
٢٣- في كتابه الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ١/ ٣
٢٤- د. محمد حسين: الاتجاهات الوطنية ١/ ٧
٢٥- السابق١/ ٨
٢٦- السابق ١/ ١٠
٢٧- ارجع الى القصيدة في الشوقيات ١/ ٤٢
٢٨- راجع: محمد انيس :الدولة العثمانية ص ٢٥٤-٢٥٩
٢٩- انظرك جابر قميحة: الدولة المظلومة والخليفة المفترى عليه بمجلة الرائد الكويتية العدد ١٨١ السنة الخامسة الخميس ٢٣ من مايو ١٩٧٤.
٣٠- انظر بتفصيل: د. ماهر حسن فهمي «حركة البعث في الشعر العربي الحديث» ٢٠ وانظر كذلك مجلة «المقتطف عام ١٨٨٩ من ص ٧٢٤- ٧٢٨.
٣١- الكتاب بقلم ضابط تركي كبير عايش مصطفى كمال وحرص على عدم ذكر لسبب معروف وقد ترجم الى العربية سنة ١٩٧٧.
٣٢- انظر الرجل الصنم ٣٦٨,٣٢٧
٣٣- اسماعيل هو شقيق لطيفة هانم زوجة مصطفى كمال.
٣٤- الرجل الصنم ٣٧٠«ملخصا» وانظر وقائع اخرى عن خطفه النساء واغتصابهن وقتله بعض عشيقاته، وتبنيه بعض الفتيات للفسق بهن : الصفحات ٤٠٥,٣٩٨,٣٩٢,٣٨٩,٣٨٦,٣٧١.
٣٥- انظر السابق ١٨٦- ١٨٨
٣٦- السابق ٤١٧
٣٧- السابق ٢٦٤
٣٨- السابق ٤٠٩
٣٩- السابق٤٠٨
٤٠- السابق ٤١١
٤١- السابق ٤١٥
٤٢-السابق ٤١٦
٤٣- انظرالسابق ٤٦٥
٤٤- ارجع في ذلك الى كتاب محمد فريد بك المحامي« تاريخ الدولة العلية العثمانية من ص ٧٣٠- ٧٣٣
٤٥- ومرة اخري نذكر القارىء بالموقف الشامخ المشرف للسلطان عبد الحميد الذي رفض ذهب اليهود والتفريط في شبر واحد من ارض فلسطين.
٤٦- الإمام الشهيد حسن البنا: دعوتنا في طور جديد: مجموعة رسائله ٢٣٠
٤٧- انظر: ابن كثير البداية النهاية ٣/ ١٧٨
٤٨- د. محمد البهي العلمانية والإسلام ٥٤
٤٩-انظر السابق: نفس الصفحة
٥٠- محمد قطب الإنسان بين المادية والإسلام ٢٩٠ و٢٩١
٥١- انظر حسن البنا: مجموعة الرسائل ١٥٩.

ان تاريخ هذا العصر في حاجة الى اعادة نظر ليكتب من جديد بدقة وتعمق

الجزية في النظام الضريبي الإسلامي

بقلم د. رضا عبد الحكيم اسماعيل

عــرفت الضريبــة قبل الإســـلام، وكـانت تحمل الصفـة الاجبارية والصفة النهـائية، حيث كـانت من دون مقــابل ولكنهـا تــؤدى من الفقراء إلى الاغنيــاء، فإذا مـا تردد الفقير في دفعها أصبح دمـه مباحاً، وانكرت بذلك الـوظيفة الاجتماعية التي تـؤديها الضريبة، ولذا كـانت الضريبــة بمثابــة الاتــاوة«١». ولما جـاء الإســـلام لم يـوقـف نظـام الضريبة ولكنـه غير اتجاهه، فجعل الضريبة واجبــة على الغني للفقير، وقد شـهد النظـام الضريبي تطورا ملحوظا في ظل الحكومات المتعاقبة للدولة الإسلامية، ذلك أن الضريبة وجهت إلى خدمة اغراض الدولة في المجالات السياسيــة والاقتصادية والاجتماعية.

تعريفها

لم تعرف الدولة الاسلامية في عهد رسول الله «صلى الله عليه وسلم» نظـامـاً مـالياً محدداً «٢»، وكـانت ايرادات الدولة في هذه الفترة تتمثل في الأموال التي يجود بها الصحابة للصرف منها على فقراء المسلمين أو لســد بعض الحاجيات الضرورية وحينما بدأ شكل الدولة الإسلامية يظهر بوضوح وجـلاء ، اثر هجرة الرسول «صلى الله عليه وسلم الى المدينة، نزلت الآيـات القرآنية التي توجب الضريبــة فخصت المسلمين بالزكاة وغير المسلمين بالجزية.

فــالمجتمع الإســلامي في عهــد الـرســول «صلى اللـه عليــه وسلم»ومن بعـده الخليفة الاول ابو بكر الصديق «رضي الله عنه» ، كـان مجتمعـا محدودا وكـانت الامـــــوال تجمع وتصرف على مستحقيها في الحال. ثـم ظهرت الحاجــة إلى بيت المال في عهــد الخليفة الثاني عمـر بن الخطاب «رضي الله عنـه» حيث انشأ بيت المال وذلك لضبط حســـابــات ايرادات الدولـة وسمي «الديوان» واصبح نواة للـوزارات في العهود اللاحقة فمن المعروف أنه تعددت الفتـوحــات وانتشر الإسـلام في شبه الجزيرة العـربية وانضمت الشام والعراق ومصر إلى الـدولة الاسـلامية، وشهـدت البـلاد في عهـد عمـر بن الخطـاب نهضــة عمرانية واسعـة، واتجه الى حفر الترع وشق الجســور والقنـوات وغيرهــا. وترتب على ذلك زيـادة موارد بيت المال، حيث فرض عمر ــــ ايضــاً ــــ ضريبتي الخراج والعشـور ، بغرض زيـادة موارد الدولة لمواجهة التكـاليف العامة، والتي ازدادت بصـــــورة كبيرة، لدرجة ان الحروب التـي خاضهـا المسلمــــــون استنفـــذت اغلب ايـرادات الدولـة في ذلك الـوقت. وخصصت مصـــارف شرعيــة لانفاق هذا الاموال تطبيقاً لمبادىء القرآن ، فقال تعالى ﴿وآتوهـم من مــال اللـه الذي آتـاكم﴾ [النـور ٣٣].

وكـانت الامــوال تنفق على فقـراء المسلمين والمتطلبات الضروريــة في عهد الرسول «صلى الله عليه وسلم وعهد ابي بكـر الصديـق، ومبادىء الفكر الاقتصـادي الإسلامي والتي التزم بها حكـام الدولة الإسـلامية تجد أساسهــا في قولـه تعالى:﴿ولم يكن لـــه شريك في الملك﴾ «٣»، بما يـؤكـد ان المال مال اللـه وملكيتـه الخاصــة وظيفـة اجتماعيـة، حيث يـؤكـد سبحانــه وتعــالى الاعتراف بـالملكية الفـرديـة والتفاوت فيهـا فيقول تعالى ﴿وابتـغ فيما آتاك الله الـدار الآخـرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ «٤» . ويرفض تجميع المال في أيدي القلة فيقـول تعالى ﴿كي لا يكـون دولــة بين الاغنيـاء منكم﴾ وأمـر سبحــانـه وتعــالى بتحقيق التكافل الاجتماعي وإنفـاق الاموال في المصارف الشرعية وعدم اختزانها ونهى عن التبـذيــر فيقـول تعـالى ﴿ولاتسرفــوا إنـــه اللـــه لا يحب المسرفين﴾ «٥».

فالفكـر الاقتصادي الاسـلامي قد أيـد فرض الضريبـة بهدف تحقيق المصالح الاجتماعية، وانطـلاقا من هذا المنطـق فرض الخليفة عمـر بن الخطـاب ضريبـة الخراج وضريبـة العشور، وليصبح مــن المستقر أن صـور الضريبـة في الإسـلام تضم اربع صــور هي الـزكاة والجزيـة والخراج والعشور وإن الصـورتين الاخيرتين تم فرضهما اجتهـادا من الخليفة عمـر وتجد أن أساسهما في مبــادىء الشرع الحنيف. وهكــذا يمكن تعريف الضريبـة في الإسلام بأنها « مـا يجبى نقـدا أو عينـا من

بيت المال نشأ في عهد عمر بن الخطاب لضبط حسابات ايرادات الدولة وسمي بالديوان

الرعية إجباريا وبصفة نهائية من دون مقابل خاص يعود على المكلف بها، ويؤول للدولة لتتولى انفاقه في مصارفها الشرعية لتحقيق النفع العام وصالح المجتمع».

خصائصها

الجزية أحد أشكال الضرائب التي فرضت بنص شرعي قطعي، وهي مبلغ معين يوضع على رؤوس من انضموا تحت راية المسلمين، ولكنهم لم يشاءوا الدخول في الإسلام، فالرسول صلى الله عليه وسلم دعا لتدعيم سياسة الدين في تحقيق التضامن الاجتماعي، وتقرر في عهده هذا النوع من الضرائب. وهي ضريبة شخصية يراعى عند فرضها ظروف الممول الشخصية بمعنى مراعاة مقدرته الشخصية التي تنعكس في درجة ثرائه (٦). ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا دخل بلداً في عهد فتوحاته يناديهم بالإسلام، وهو أمر اختياري بالنسبة لأهل البلدة. فأما الإسلام وإما دفع الجزية، والمبرر لذلك هو أن غير المسلمين غير مكلفين بالزكاة. ومن ثم، فالجزية شرعت لأهداف جماعية المساهمة في التكاليف العامة. فقد روي المغيرة بن شعبه فقال: لجند كسري يوم نهاوند «أمرنا نبينا رسول ربنا أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية» (٧). فالجزية على المعنى السابق، استهدفت إجبار غير المسلمين على التكيف مع البيئة الإسلامية، والالتزام بمبادئها في تحقيق الحماية العامة للمجتمع ومنعته، وحينما انشيء بيت المال في عهد عمر، ضم إيرادات الدولة من الجزية إلى باقي الإيرادات لانفاقها في أغراض النفع العام ولقد أمر الشارع.. سبحانه وتعالى -إجبار غير المسلمين على المساهمة في التكاليف العامة فيقول تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ (٨).

ومن أحكام الجزية أن المكلفين بها على ثلاث فصائل، ويختلف مقدار التكليف باختلاف إمكانات المكلف بها، فالطائفة الأولى: تلتزم بمبلغ وقدره ثمانية وأربعين درهماً، وأفرادها هم الأغنياء كالصيارفة والصناع والمتاجر الكبيرة فضلاً عن الطبيب المشهور، والطائفة الثانية: وتلتزم بمبلغ وقدره أربعة وعشرين درهماً، وأفرادها هم - الوسط - من هؤلاء إذا كانوا أقل كسباً لم يصلوا بعد إلى الرواج والإزدهار مثل التاجر حديث التجارة أو قليل الرواج والطبيب الذي لم يشهر بعد، والطائفة الثالثة: وتلتزم بدفع اثني عشر درهما وهم - الطبقة الدنيا - العاملون بأيديهم كالخياطين والنجارين والإسكافيين.(٩)

فرضيتها

فرضت الجزية بنص القرآن، فيقول تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ (١٠). وتناولتها السنة النبوية الشريفة، فكتب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم يدعوه إلى الإسلام «إني أدعوك إلى الإسلام فان اسلمت فلك ما للمسلمين وعليك ما عليهم. فإن لم تدخل في الإسلام فأعط الجزية... وإلا فلا تحل بين الفلاحين وبين الإسلام أن يدخلوا فيه أو يعطوا الجزية» (١١).

وعموماً فإن الجزية ضريبة بكل المقاييس فهي تحمل الصفة النهائية والإجبارية وحيث تؤول للدولة التي تتولى انفاقها في مجالات النفع الاجتماعية وليست لمصلحة فئة خاصة أو فرد معين وهذه السمة هي التي تميزها عن الأتاوة التي عرفت في بلاد الفرس والروم أو مصر الفرعونية ويروى أن أهل اليمن لما بلغهم ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وعلو حقه أتته وفودهم فكتب لهم كتاباً بإقرارهم على ما اسلموا عليه من أموالهم وأراضيهم ووجه إليهم رسله وعماله لتعريفهم شرائع الإسلام وسننه وقبض صدقاتهم وجزّى رؤوس من أقام على النصرانية واليهودية والمجوسية منهم (١٢).

مبرراتها

إجبار غير المسلمين على الإسهام في التكاليف العامة، عن طريق إخضاعهم لنظام الدولة وأوامرها، وهذا أمر منطقي يتفق واعتبارات العدالة الاجتماعية، فهي على الوجه المقابل لتكليف المسلمين بالزكاة. فالخليفة عمر بن الخطاب فرض الجزية على أهل العراق والخراج على أراضيهم، وفي هذا المعنى يقول: «الجزية لا لرغبة فيما يؤخذ منها أو طمع في ذلك بل للدعوة إلى الإسلام ليخالطوا المسلمين فيتأملون محاسن الإسلام وشرائعه» (١٣). ويبرر أبو الحسن الماوردي فرض ضريبة الجزية فيقول «ويلتزم لمن يدفع الجزية حقان. أحدهما الكف عنهم والثانية حماية لهم. ليكونوا بالكف آمنين وبالجماعة محروسين» (١٤). والجزية وجبت عوضا عن العصمة. فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليس على مسلم جزية». وعن الخليفة عمر ابن الخطاب أنه رفع الجزية بالإسلام. وقد فصل الإمام الكاساني مبررات فرض الجزية وأحكامها فيما يلي: «أن الله

الجزية أحد اشكال الضرائب التي فرضت بنص شرعي بمبلغ معين يوضع على رؤوس الذين تحت راية المسلمين.

سبحانه وتعالى أوجب الجزية على من هو من أهل القتال، ولا تجب على من ليس من أهل القتال، والجزية على ضربين، توضع بالتراضي وهو الصلح وذلك يتعذر بقدر ما وقع عليه الصلح كما صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالجزية يضعها الإمام عليهم من غير رضاهم، فإن ظهر الإسلام على أرض الكفار وأقرهم على املاكهم وجعلهم ذمة. وشروط وجوب الجزية: انها تجب على الذكر البالغ، وتسقط عن الصبيان والنساء والمجانين، وغير القادرين عليها، وحينما رفع عمر الجزية بالإسلام قال «والله إن في الإسلام معاذا أن فعل ولأنها وجبت وسيلة إلى الإسلام فلا تبقى بعد الإسلام على أنها وجبت وسيلة إلى الإسلام إن الإسلام فرض بالنصوص والجزية» ويقول الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ «إنما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا» (١٥).

مقوماتها

تقوم الجزية على أربع هي:

أولا: الجزية إجبارية، فهي إلزامية ومصدر وجوبها النص الشرعي الصريح فيقول تعالى «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر» وفي نهاية الآية «حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» (١٦) وكما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «ليس على مسلم جزية» إن من دخل في دين الإسلام يلتزم بالزكاة دون الجزية والملزمة لغيرهم (١٧).

ثانيا: تقتطع من مال الأفراد، فكانت تجبى عيناً في معظمها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخليفة أبي بكر الصديق، وفي عهد عمر بن الخطاب وزمن العباسيين والأمويين حيث تحول الاقتصاد من الصفة العينية إلى الصفة النقدية، وكان ذلك نتيجة انتقال المجتمع من الصورة البسيطة إلى الصورة المركبة، فأثر ذلك على موجبات المعاملات ولاسيما بعد ضم شعوب أخرى إلى الدولة الاسلامية. وقد أثرت هذه الأوضاع على طبيعة المعاملات، التي اتسمت بالصفة النقدية، وتحول الإقتصاد الإسلامي في عصوره المتأخرة إلى اقتصاد نقدي. وقد أمر عمر بسك النقود سنة ٤٨هـ مثل الدراهم المشاع استعمالها عند العرب وازاد في بعضها كلمة «الحمد لله» وفي بعضها «محمد رسول الله» وقد ضربت الدنانير في عهد عبد الملك ابن مروان (١٨).

ثالثاً: إن الجزية نهائية وبدون مقابل، وذلك لإعادة استخدامها في تحقيق أهداف الدولة السياسية والاجتماعية حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم «احفظوني في ذمتي» (١٩).

رابعا: الجزية التي يستهدف بها الصالح العام وتحقيق التكافل الإجتماعي. فقد استخدمت أموال الجزية في تحقيق أهداف الدولة المرتبطة بتنمية المشروعات العمرانية، فضلاً عن ضبط انفاقها فيما يعود بتحقيق التكافل الاجتماعي بالنسبة للمسلمين وغير المسلمين، فملكية المال في الفكر الاقتصادي الإسلامي هي وظيفة اجتماعية وحيث سبق أن أوضحنا قوله تعالى ﴿لله ملك السماوات والأرض﴾ (٢٠) وقوله في الانفاق على مصالح المجتمع ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾. النور / ٣٣

ضوابط تطبيقها

وتقوم الجزية على أربعة أيضاً هي:

أولا: ضابط العدالة، وبالمعنى من خلال النص ـ يقول تعالى ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ (٢١)، والعدالة هنا لها وجهان: الأول ﴿حتى يعطوا الجزية﴾، فهي مخاطبة عامة لغير المسلمين دون تفرقة والثاني فرض الجزية على غير المسلمين يحقق مبدأ العدالة الضريبية. والعلة من وجوب الجزية هو أن المسلمين مكلفون بالزكاة، وتحقيقاً لمبدأ المساواة أمام التكاليف العامة، وجب تحميل غير المسلمين اجبارياً بالجزية، وهي النظام المقابل للزكاة،حتى يكون هناك تساوٍ في تحمل المشقة.

أتى الرسول صلى الله عليه وسلم وفود اليمن، فطبق أسس العدالة الضريبية ففرض الزكاة على المسلمين والجزية على غير المسلمين، الذين بقوا على النصرانية واليهودية (٢٢)، وطبق أبو بكر الصديق مبدأ العدالة الضريبية حين قاتل المرتدين عن دين الإسلام، وامتنعوا عن الزكاة بل وامتنع معهم عن الجزية من غير المسلمين فقال عبارته الشهيرة والله لو منعوني عقالا أعطوه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه (٢٣)،

وطبق المبدأ أيضا عمر بن الخطاب على أهل الفتوحات، وأشرف على جبايتها بنفسه، وطبقت العدالة على النحو التالي: فقد رفع الجزية بالإسلام، فراعى بذلك المقدرة التكليفية للممول حتى لا تجمع الزكاة والجزية في نظام واحد ـ كما أعفى النساء والصبيان والمجانين والفقراء من أهل الذمة والكفار تحقيقا للعدالة.

ثانيا: ضابط اليقين، ففي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس: صالح الرسول صلى الله عليه وسلم أهل نجران على

ضريبة الجزية التي تحمل الصفة النهائية تؤول للدولة لتنفقها على مجالات عدة عكس الاتاوة التي تؤول إلى اشخاص بعينهم.

الفرق بين الجزية والزكاة إن الزكاة تكون من مال المسلمين والجزية من مال غير المسلمين حتى يكون مساواة في تحمل المشقة

الفي حلـــة. النصف في صفـــر والبقية في رجب يؤدونها لـلإمام (٢٤)، وفي عهد عمـر بن الخطاب، حـدد الجزية بـأربعة دنـانير على أهل الـذهب، وأربعين درهما على أهل الورق، وبعد عهد عمر، تطور الفكـر المالي الإسلامي في هـذا الخصـوص، حيث أصبح المتبع يترك أمر التقدير للإمام يضع على كل شخص مـا يلائـمه ولا محـل لـه أن يخرج عن قـدر الطاقة.

ثالثا: ضـابط الملاءمة، فقد راعى النظـام الإسـلامي طبيعـة المعـامـلات، ففي عهد الـرسـول صلى اللـه عليـه وسلم تحددت الجزيـة بالغنم والـذروع والثمار والنقود وعروض التجارة، وكانت تجبى عينـاً لـرفع المشقـة عن الرعيـة. ويقول الصديق بـاعتبار أن الرسول صلى اللـه عليه وسلم فرضـها في أربع وعشرين من الإبل فما دونها الغنم شـاة خمس شياه، وعمر بن الخطاب اجتهد في هذا المضمار وقد وجدت النقود في عهده مجالا واسعاً للتطبيق فكان يـوائم بين النـقود والاقتصاد العيني (٢٥).

رابعـاً: ضـابط الاقتصـاد في التحليل، بمعنـى ضغط نفقـات التحصيل، حتى تحفـظ الـذمـة المالية للدولـة، بألا تتحمل نفقات تنقص منهـا ففي عهـد الرسـول صلى الله عليه وسلم بالنظر لكمية الزكاة والجزيـة المحدودة وطبيعة المجتمع الإسلامي، كانت الضريبة تجبى وتنفق في حينـه، ولم تظهر بعـد التعقيدات المتعلقـة بالـربط والتحصيل وسعر الضريبة، إلا في ظل عصور التطور للدول العربية الإسلامية. وابتـداء من عهد عمر، ازدادت مـوارد الـدولـة وانتشرت الفتوحات، وتطور النظام الإداري إلى حد بعيد، وتطـور النظام المالي للدولة الإسلاميـة كله، ناهيك عن وجـود بيت المال ــ المركزي ــ في عـاصمـة الخلافـة وبيت المال في الأقاليم المختلفة، وتبلـورت معه أسس الـربـط والتحصيل وسعـر الضريبـة، واتبـاع نظم الضبط وخلافة. هوكـان عمر قد عين ولاته في الأقاليم، واتبع سيـاسـة حكيمة حيث فصل بين السيـاسـة وإدارة أموال الدولة، حيث جعل لها عاملاً مختصاً يخضع لإشرافـه ورقابته مباشرة، فضلاً عن تعليماته بصفة مستمـرة لعمالـه بـالاقتصـاد في تحصيل الضريبـة حتى لا يضيع جزء منهـا، وفرض رقابة صـارمة على جبـاة الضرائب، وارسـل المفتشين للتفتيش عليهم (٢٦).

ولقد ظهر هذا الضابط بوضوح في نصيحـة ابي يـوسف إلى الخليفـة هارون الرشيد، حيث قال له: «فإن وليتهـا والصدقـة رجلاً ووجهت ممن يوثق بدينه وأمـانته ـ أجريت عليهم من الـرزق بقدر مـا ترى ـ ولا تجر عليهم مـا يستغرق أكثـر الصدقة». بمعنى ألا يكون مرتبات وأجـور عـمـال الجبـايـة تمثل نصيب الأسد (٢٧). ■

الهوامـــــــش:

(١) دكتـــور أحمد شلبي «السيـاسـة والاقتصـادي في التفكير الإسلامي» مكتبـة النهضـة المصريـة ـــ دار الاتحاد العـربي للطباعة ـ الطبعة الثانية ـ ص ٢٠٤

(٢) دكتـور ابـراهيم فـؤاد أحمد «الموارد المالية في الإسـلام» مكتبة الأنجلـو المصرية الطبعة الثالثة ـ ١٩٧٢ ص ٢٧ و٢٠٧.

(٣) سورة الفرقان الآية (٢)

(٤) سورة القصص الآية (٧٧)

(٥) سورة الأنعام الآية (١٤١)

(٦) دكتور عوف محمود الكفراوي «الرقابة المالية في الإسلام» مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية طبعة ١٩٨٣ ص ٣٤ و٦٥.

(٧) دكتـور عبد الخـالـق النواوي «النظـام المالي في الإسـلام» المكتبة العصرية ببروت صيدا الطبعة الثانية ١٩٧٣ ص ٣٤.

(٨) سورة التوبة الآية (٣٤).

(٩) دكتـور حسن إبـراهيم حسن «تـاريخ الإسـلام السيـاسي والـديني والثقـافي والاجتماعي» مكتبة النهضة المصرية الجزء الأول ص ١٥

(١٠) سورة التوبة الآية (٢٩)

(١١) محمد بن علي الشوكاني «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار» المكتبة التوفيقية الجزء السابع ص ٥٩

(١٢) محمد بن علي الشوكـاني «فتح القدير ـ الجامع بين فني الـرواية والـدراية من علم التفسير» دار الفكر للطباعة والنشر المجلد الأول ص ٢٨٣ وما بعدها.

(١٣) عـلاء الدين الكـاسـاني «الملقب بملك العلماء» «بدائع الضـائع في ترتيب الشرائع» كتاب السير دار الكتـاب العربي ـــ بيروت ـ لبنان ـ الجزء السابـق الطبعة الثانية ١٩٨٢ ص ١١٠.

(١٤) أبـــو الحسـن البصري الماوردي «الأحكـام السلطـانيـة» مكتبـة ومطبعـة مصطفى الحلبي الطبعة الأولى ١٩٦٠.

(١٥) أبـو اسحق إبـراهيم الفيروزبـادي الشيرازي «المهـذب» مطبعـة عيسى البـابي الحلبي وشركاه بمصر ـ الجزء الأول

(١٦) سورة التوبة الآية (٢٩)

(١٧) الكاساني المرجع السابق ص ١١١ و١١٢

(١٨) دكتور عبدالخالق النواوي المرجع السابق ص ١٩

(١٩) دكتـور إبراهيم فـؤاد أحمد المرجع السابق ص ١٨٩

(٢٠) سورة المائدة الآية (١٢٠)

(٢١) سورة التوبة الآية (٢٩)

(٢٢) الشـوكـاني «نيل الأوطـار.... المرجع السابق ص ٥٩ و٦٠

(٢٣) دكتـور عبدالخالق النـواوي المرجع السابق ص ٢٩

(٢٤) الكاسـاني المرجع السابق ص ١١٢ وما بعدها

(٢٥) الشوكـاني «نيل الأوطار... المرجع السابق ص ٦١

(٢٦) دكتـــور سليمان الطماوي «عمـــر الخطـاب وأصـول السيـاسـة والإدارة الحديثة» دار الفكر العـربي الطبعة الأولى ١٩٦٩.

(٢٧) أبـو يـوسف يعقـوب بن ابـراهيم «الخراج» المطبعة السلفية ومكتبتها.

مفاهيم بيئية في آيات قرآنية
((النظام البيئي والتوازن الإيكولوجي))

بقلم: الدكتور
أحمد عبد الكريم سلامة

لامــراء في ان مشكـلات تلـوث البيئة، وتدهور مـواردها، ترجع الى التقـدم الصنـاعي والتكنـولـوجي، الذي تشهده المجتمعـات المعاصرة، حيث التـوسع في استعمال ادوات الترفيه البدني والنفسي، كالسيارات والطائرات، وأجهزة التلفاز والمذياع، والآلات الموسيقيــة، وازديــاد استخـدام المبيـدات الكيميـائيــة والاسمـدة في الاغـراض المنـزلية والـزراعية.. وهـذا يعني بث مئـات الآلاف من اطنان الادخنـة والغازات السـامة في الهواء، وصب المخلفـات والنفـايات الضـارة في مياه البحـار والأنهار، او دفنها في بـاطن الارض. وبـذلك يفسد ويتلـوث الماء والهواء والتربـة، وتضحـى حيـاة الانسـان والحيوان وسـائر المخلـوقات مهددة بخطر التدهور والفناء.

وهـذا المنطلق في التحليـل يقـود، لاول وهلة، الى القـول بأن مشكلات البيئـة تـرجع الى عـوامل مـاديـة وعلمية. والاسـلام كدين ،ليس دين نظـريات علميـة، وانما دين هدايـة وتعاليم تعبدية، وبـالتالي لاشأن له بما تصنعـه المادة والعلم بـالبيئـة وبمواردها.

غير ان هذا زعم باطـل. فالإسلام دين عبادات ومعاملات، إيمان وعلم، عقيدة وشريعـة(١)، وبتلك المثـابة، يمكننــا التأكيـد على ان الاســلام وشريعته، قد اشتمل على العـديد من القيم والمفـاهيم البيئيـة، كما ارسى الكثير من المبـادىء والاحكـام التي تنظم وتضبط عــلاقــة الانســان بالبيئة وبمواردها.

فكأن مـدخل الاسـلام الى تنظيم المشكلـة البيئيـة، هــو تكييفـه لاسبـابها، واعتبــاره ان تلك الاسباب تـرجع في عمق اصلها الى عـوامل سلـوكيـة واخـلاقيـة غير قويمـة، وغير ملتزمـة بأوامـر الله فالبيئة لايطرأ منهـا تلوث أو فساد او تدهور ذاتي، وانما يطـرأ عليها ذلك التلوث او الفسـاد أو التدهور بفعل وسلوك الانسـان المنفلت من ضوابط وتعاليم الله.

فبغى الانسان في الارض، وجهله بنواميـس الكون، التي سنهـا الله تعـالى، وخروجـه على مقتضيـات المهمـة التي انـاطهـا الخالق بـه، عنـدمـا استـأمنـه على الكــون، واستخلفه في عمارة الارض، كلهـا عــوامل يكمن خلفهـا الاسبــاب الجوهرية لتدهور البيئة أو الوسط الطبيعي، الذي يعيش فيه مع غيره من مخلوقات الله.

أولاً: فكرة النظام البيئي والتوازن الإيكولوجي

البيئـة، بمفهـومهـا المعـروف: يحكمها مايسمى بـالنظام البيئي، والتــوازن الايكـولــوجي، وهما فكـرتان متكـاملتـان من الناحيـة العلمية.

فالنظام البيئي ECOSYSTEM هو عبارة عـن وحدة او قطاع معين من الطبيعة يشكل بما يحتويه من عنـاصر ومــوارد حيـة نبـاتيـة وحيـوانيـة وعنـاصر ومـوارد غير حية، وسطـاً حيويـاً تتعـايـش فيه عناصره وموارده في نظام متكامل، وتسير على نهج طبيعي ثــابت ومتـوازن تحكمـه القـدرة الإلهيـة وحـدها، دون ادنى تـدخل بشري أو إنسـاني(٢).

ومن هـذا التحديـد يبدو ان فكـرة النظام البيئي تقوم على عـدة مقومات اساسية:

أولاً: عنـاصر النظــام البيئي elements decosysteme هــي عــلى نــوعين:

النوع الاول: العناصر الحية، وهي عـديـدة، اهمهـا الانسـان والنبـات والحيـوانـات والطيـور والبكتريـا وغيرها.

وتعيش هذه العناصر، على اختلاف اشكالها، في نظام حركي متكامل، كل عنصر يتأثـر بـالعنـاصر الأخـرى، ويؤثر فيها، ويـؤدي دوراً خاصاً به، ويأتي الإنســان على قمـة هــذه العناصر، فينسـق بينها، ويسخـرها لخدمته.

النوع الثاني: العنـاصر غير الحية، وأهمهـا الماء، والهواء، والتربـة، وكل عنصر منها يشكل محيطاً خاصاً به.

فهنـاك المحيط المائي Hydrosphere ويشمـل كل مـــاعلى الارض مـن مسطحات مـائية، أيـا كانت هيئتها: سائلة، كـالبحار والأنهار والمحيطات والبحيرات والعيــون، أم صلبــة، كالثلوج والمناطق المتجمدة الشمالية والجنـوبيـة، ام غازيـة، كبخـار الماء والضباب، وهنـاك المحيط الجوي أو الهوائيAtmosphere ويشتمـل على الغـازات الجويـة، كـالهيـدروجين والاكسجين، وثاني اكسيد الكربون، والهيليـــــوم،...، وعلى الجسيمات والأبخرة وذرات المعادن، ومن ناحية أخيرة، هنـاك المحيط اليـابس Litosphere ويشمل الجبـال والهضـاب

والتربة.

وهـذه المحيطات الثـلاثة تـرتبط ببعضـهـا، فهنـاك البيئـة المائيـة بعناصرها المعروفـة في علوم البحار والمياه، وهناك البيئة الجوية، وهناك البيئة الأرضيـة أو البرية. وكـل بيئة منها تتكـون من مركبـات وعناصر مـوجـودة بنسب ثـابتة ومقـاديـر محددة، في توازن دقيق ومحكم.

وسـواء تعلق الأمـر بـالعنـاصر والمكونات الحية أو غير الحية للنظام البيئي، فإن هنـاك منهجـاً لسيرهـا ووظائفها داخل النظام البيئي الذي ينتمي اليه. وهـذا هو المقـوم الثاني لذلك النظام.

ثـانيـا: سير النظـام البيئـي-Fonctionnement de-cosysteme أوضحنـا فيما قبل انـه داخل العناصر الحية والعناصر غير الحية للنظـام البيئي تـوجد عـلاقة توازن، حيث يوجـد كل عنصر منها بنسبة ومقدار دقيـق لايتعداه. وهذا التوازن Equilibriun يضمن بقاءه داخل النظام البيئي، فكرتان:

الفكـرة الاولى: وتخص العنـاصر الحية وهي فكرة التنوع الحيوي أو البيولوجي biodiversite والتوارث الايكـولـوجي -Succession ecol-ogique ومقتضـاها ان المكـونـات الحية تنقسم الى ثلاثـة انواع: كائنة منتجـةproducers لغـذائهـا، فهي ذاتية التغذية، تصنـع غذائها ابتداء من مـواد بسيطة غير عضـويـة عن طـريق عمليـة التمثيل الضـوئي. وهنـاك كـائنـات مستهلكـه -Con-sumers، وهي التي لاتستطيع انتاج غذاءها بنفسها وانما تستمد غذاءها من النباتـات والحيوانـات الأخرى. وهناك أخيراً الكـائنات المفككة -De-composers وتقـوم بتفكيك بقـايـا الكائنـات النباتية والحيوانيـة، بعد مـوتها وتحولها إلى مـواد بسيطـة، تستغلهـا النباتـات في غذائهـا، ومن تلك الكـائنـات الفطـريـات والبكتريا(٣).

ويحكم كل تلك الكائنـات النباتية والحيـوانيـة مـايسمى بـالتنـوع الحيـوي والتـوارث الايكـولـوجي، حيث يبدأ وجودها، بقدرة الله تعالى، وتحيـا لفترة زمنيـة معينـة، ولكن بفعـل التغيرات المنـاخيـة والجيـولـوجيـة، او بفعل التـدخل الانسـاني، تأخـذ في الانحـدار والاختفـاء، بعد ان تضـع نواة نمـو جيل جديد من نـوعها، قد يتطور الى نوع أرقى أو أدنـى، حسب الظروف والتغيرات المحيطة.

الفكرة الثـانية: الشبكة الغـذائية Food Chain وتخص ايضـا العنـاصر الحيـة ،حيث تتبـادل الكائنات الحية النبـاتية والحيوانية الإعـاشـة، ويعتمـد كل منهما على الآخر في غذائه.

فعنـدمـا تفنى الكـائنـات الحيـة تتحلل جثثهـا وبقـايـاهـا إلى مـواد بسيطـة يتغـذى عليهـا النبـات ويـزدهـر. ثم تـأتي الحيـوانـات والحشرات، وكذلك الانسـان، لتتخذ من ذلك النبـات وثماره غذاءً لها، ثم تصبح هـذه الحيوانـات والحشرات بـدورهـا غذاءً لحيـوانـات اخـرى، ولـلإنسان كـذلك. فإذا فنيت هـذه الكائنات الحية جميعها تحللت بفعل الكـائنـات المفككـة، وتحـولت إلى مركبات بسيطة يتغذى عليها النبات لتبـدأ دورة أخـرى في سلسـلة الشبكة الغـذائية (٤).

الفكرة الثانية وهي فكرة الدورات الحيوية والكيميائية Cycles bioge Ochimiquse(٥) ومنها دورة الماء، ودورة الكربون، ودورة النيتروجين ،ودورة الاوكسجين...

ففي دورة الماء، نجد هنـاك توازنا بين مايفقـده سطح الارض من الماء، سواء بالبخـر بسبب اشعة الشمس السـاقطة على صفحـات المحيطـات والبحـار، او بتصـاعـد بخـار الماء نتيجـة نتح النبـات للماء وتنفس الحيـوان والنبـات، وتلك دورة الصعود، وبين مـايعود مـرة اخرى الى سطح الارض في صـورة امطـار، وجزء بسيط في صـورة ثلوج. وتلك دورة الهبوط.

وفي دورة الكـربون، نجـد أيضـاً ذلك التـوازن. فتبـدأ تلك الـدورات بامتصاص النبات لغاز ثاني اكسيد الكـربـون مـن الهواء، اثنـاء عملية التمثيل الضـوئي، حيث يتحـول الى مواد كربـوهيدراتية تختزنها خـلايا النبات. ويتناول الانسـان والحيوان لتلك الخلايـا، في صـورة حبـوب أو ثمار، ونتيجـة لعمليـات الاحتراق والتنفس تعود المواد الكربوهيدراتية المتحـولـة الى صـورتها البسيطـة، ويتحـرر منها الكـربون، في صـورة ثاني أوكسيد الكربون، الذي مايلبث ان يعود الى الهواء مرة اخـرى، وتبدأ دورة جديـدة ، بامتصـاص النبات له.

وفي دورة الاوكسجين لايختل ذلك التـوازن. فتبـدأ تلـك الـدورات ببث النبـاتـات البرية والبحـريـة لغـاز الاوكسجين في الهواء الجوي، الـذي يوجـد به بنسبـة ثابتـة لاتزيـد عن ٢٠٪ إلا قليـلاً من مجمـوع المواد الغازية في الغلاف الجوي للارض ثم يستنشق الانسـان والحيـوان والكـائنـات الاخـرى ذلك الغـاز في عمليـة التنفس، ونتيجـة للعمليـات الكيميائيـة داخل الجسم البشري أو الحيواني يتحـول الى ثاني أوكسيـد الكربون فيعـاد بثه، زفيراً الى الهواء ثم تبـدأ دورة جـديدة بـامتصـاص النبات له.

تلك هي بعض المفـاهيم العلميـة لفكـرة النظـام البيئي والتـوازن الايكولوجي، هـل أحاطت بها شريعة الاسلام؟

ثانيا: التوازن البيئي في القرآن

إن المرء ليقف خاشعاً عندما ينعم النظـر في آيـات القـرآن الكـريم، إذ يستبعـد بيقين عنصر الصـدفـة في خلق هـذا الكـون العجيب، ويـؤمن صـادق الايمان بـالخالق المدبـر لمكونـات كتاب اللـه المنظور المترامي الاطراف والارجـاء. فها هـي قضـايا العلم الطبيعي وحقـائقه تتكلم عنهـا آيـات كتـاب اللـه المسطـور في جلاءودقـة، وترشـد ايضا على عمق جـديد من اعماق الاعجـاز العملي في القرآن الكريم.

فها هي ظاهرة التوازن البيئي، اللازمة لبقاء النظم البيئية المختلفة وقدرتها على التجدد والنمو، يتكلم عنها القرآن الكريم سواء من ناحية وجودها، ام من ناحية رسم الطريق السليم للحفاظ على بقاء التوازن الايكولوجي قائماً، ودرء عوامل الإخلال به.

أولاً بخصوص وجود ظاهرة التوازن البيئي الذي أوجده الله تعالى، بقدرته ودقة صنعته وتدبيره الحكيم، بين عناصر وموارد الكون، نقول ان الله سبحانه قد خلق الكون وما حوى، وأقامه على قوانين ثابتة دقيقة، واحكام ونظام مذهل.

فمقادير المخلوقات الكونية، من ماء وهواء واشعة وغازات وحيوان ونبات وطيور وحشرات، محددة نسبها، وكمها وكيفها، بقدر وميزان معلوم دون إفراط أو تفريط، حتى تكون الارض، أو البيئة، مهيأة لحياة الكائنات، مسخرة لمخلوقات الله، وخليفته في الارض، الانسان.

والآيات القرآنية التي تقرر ذلك عديدة.

فقال تعالى:﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾(٦) وقال سبحانه﴿ وكل شيء عنده بمقدار﴾(٧) وقال جل شأنه ﴿قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾(٨) وقال تعالى:﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾(٩).

بعد هذه الآيات الكريمة التي تقرر القاعدة العامة في وجود التوازن، وتنطق ان كل ما في الكون أوجده الصانع الحكيم بقدر معلوم وحساب دقيق، ويمكن ذكر بعض امثلة لآيات بينات تؤكد، بخصوص كل موجود في الكون والبيئة، وأنه قد ابدعه الله تعالى بحساب وميزان دقيق، وترتيب محكم، ونظام لايختل.

ففي شأن الشمس والقمر المعروفة فائدتهما للبيئة عموماً، قال عز شأنه﴿الشمس والقمر بحسبان﴾(١٠) اي وجدتا بحساب وتقدير لتحقيق الغاية من خلقهما كما ارادها الله تعالى، سواء في شأن الحجم، ام الكيف، ام الوظيفة.. وقال تعالى﴿لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾(١١) وقال سبحانه وتعالى ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل﴾(١٢).

وفي شأن الليل والنهار، والتابعين لوجود الشمس والقمر والارض، ودوران القمر حول الارض، ودوران تلك الاخيرة امام الشمس، بدقة واحكام وتقدير، قال تعالى﴿ والله يقدر الليل والنهار﴾(١٣) وقال سبحانه ﴿ولا الليل سابق النهار﴾(١٤) هل رأيت ان الشمس تطلع أو تغيب قبل موعدها المقدر على مر السنين والايام، والقمر كذلك؟!

وفي خصوص الماء، إكسير الحياة اصل كل شيء حي، فقد خلقه الله تعالى بنسب ومقدار محدد في هذا الكون، دون زيادة او نقصان، وجعله سائلا او متجمداً أو غازياً، وجعله عذباً فراتاً أو ملحاً أجاجاً لحكمة لا يعلمها إلا هو والراسخون في العلم. وفي شأنه قال سبحانه ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض﴾(١٥) وقال تعالى﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾(١٦).

وفي التفسير يقول العلماء ان الله انزل الماء من السماء بحكمة وتدبير، فلا ينزل كثيراً فيغرق ويفسد، ولاضئيلاً فيكون الجدب والقحط، كما لاينزل في غير أوانه فيذهب بدداً بلا فائدة، بل نزله بتقدير وحكمة فينتفع الناس ببعضه، ويذهب البعض الآخر إلى الآبار والعيون والأنهار فينتفع الناس به عند الحاجة(١٧).

وفي خصوص الرزق، الذي يسوقه الله تعالى لعباده ومابث في الارض من دابة، فهو ايضاً ينزل من الرزق بقدر وحساب قال سبحانه وتعالى« وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾(١٨) وقال تعالى﴿ولكن ينزل بقدر مايشاء إنه بعباده خبير بصير﴾(١٩) وفي تفسير الآية الاولى، فإن مدلول خزائنه يبدو في العناصر التي تتألف منها الاشياء ففي شأن الماء، تكون خزائنه الاساسية هي ذرات الايدروجين والاوكسجين. وان من خزائن الرزق المتمثل في النبات الاخضر كله، ذلك الآزوت الموجود في الهواء، وذلك الكربون وذلك الاوكسجين المركب في ثاني أوكسيد الكربون، وتلك الاشعة التي ترسلها الشمس. وكل تلك العناصر لاتنزل جزافاً، بل بقدر ووزن معلوم(٢٠).

وفي خصوص النبات، وهو أحد مظاهر الرزق ومفرداته، يقول تعالى﴿وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾(٢١) وفي تفسير هذه الآية يقول العلماء ان كل نبات قد وزنت عناصره، وقدرت تقديراً، فترى العنصر الواحد يختلف في نبات عنه في الآخر، بوساطة امتصاص الغذاء من العروق الضاربة في الارض، ومنها يرفع الساق والاغصان والاوراق والازهار وهناك عنصر البوتاسيوم تراه يدخل في حب الذرة الذي نأكله بمقدار ٣٢٪ وفي القصب ٣٤,٣٪ وفي البرسيم ٣٤,٦٪ وفي البطاطس بمقدار ٦١,٥٪ وبهذا التفاوت صلح القصب لان يكون سكراً، والبرسيم لأن يكون قوتاً للبهائم، والذرة والبطاطس لان تكون قوتاً للإنسان (٢٢) كما جاء في التفسير ايضا ان الله قد جعل النبات مقدراً بأزمان معينة في نموه، وغذائه، ومقدراً بمقدار حاجتكم ومقدراً كميته، وفي أشكاله في الخلق والطبيعة(٢٣).

وفي شأن الإنسان نفسه، الذي خلقه الله فكرمه ونعمه وجعله خليفته في أرضه، قال تعالى﴿ الذي خلق فسوى. والذي قدر فهدى﴾(٢٤) أي الذي خلق كل شيء، بما في ذلك الانسان، فجعله مستوى الخلق في دقة وإحكام وقال سبحانه ﴿من أي شيء خلقه. من

نطفة خلقه فقدره﴾(٢٥) اي قدر أطواره ونموه في نظام مقنن موزون.

تلك هي دقة الصنعة، واحكام الخلق، وتقدير الاشياء، فسبحان من كل شيء عنده بمقدار.

وهكذا ينطق كل شيء في هذ الكون وبيئته، من الذرة إلى المجرة، بالهندسة المحكمة والتقدير اللانهائي الإحكام للخالق العليم، الذي لم يخلق الطاقات الكونية، والموارد البيئية جزافاً، دون ميزان أو حساب، بل خلق كل شيء بقدر فلا تزيد كمية أو وزن عنصر على حساب عنصر آخر، فلا ينفرد احدهما بالتأثير ويطرد العنصر المقابل، بحيث لايأخذ أحد العنصرين أكثر من حقه ويطغى على مقابله. فالأوكسجين، مثلاً، لوزادت نسبته قليلاً في الغلاف الجوي، لأمكن لعود ثقاب أن يحرق الارض وما عليها. والماء جعل الله بعضه عذباً والآخر ملحاً في توازن وإحكام. وإذ يظل الأول صالحاً لشرب الإنسان والحيوان والنبات والطير، يقوم الثاني بتطهير الأول الذي يصب فيه محملاً بالميكروبات والفطريات الدقيقة، فتهلك بفعل الملوحة، إذ يحفظ الملح على المياه نقاوتها، ويحميها من التعفن والفساد، ولو قدر لماء الارض ان يكون جميعه عذباً لصار ماء عفناً آسناً، وباتت الحياة مهددة.

إن كل الموارد والعناصر تخضع لقانون التوازن والتعادل. فهي تسير بمقدار معين، وعلى منهاج مقنن، ونظام محكم، كل شيء معجز في بنائه، رائع في حركته واتزانه، وهذا الاتزان لو اختل قيد شعرة، في أمر من أموره، لانفرط عقد هذا الكون وانهار كل مايحتويه ولاريب في ذلك حيث (ان القادر على إعطاء كل شيء في الوجود - مادياً كان أو معنوياً- حقه بحساب وميزان، هو الله الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً، واحاط بكل شيء جنداً، واحصى كل شيء عدداً، واوسع كل شيء رحمة وعلماً ولاعجب ان نرى هذا التوازن الدقيق في خلق الله، وفي امر الله جميعاً، فهو صاحب الخلق والأمر. فظاهرة التوازن، تبدو فيما أمر الله به وشرع من الهدى... كما تبدو في هذا الكون الذي ابدعته يد الله، فأتقنت فيه كل شيء)(٢٦).

ثانياً: بخصوص منهج الاسلام في الحفاظ على ظاهرة التوازن البيئي: نقول: ان جوهر هذا المنهج هو الوسطية والاعتدال، وعدم الاسراف والتبذير. ومعروف لدى الفقهاء ان الوسطية هي من الخصائص الرئيسية، والمعالم المميزة، لدين الاسلام.

والآيات القرآنية والاحاديث النبوية، التي تؤكد الوسطية والاعتدال وعدم الاسراف، عديدة ولايتسع مجال هذا البحث لذكرها. والوسطية والاعتدال وعدم الاسراف المشار اليهما، تعد من الادوات الناجعة في محاربة أحد أهم مصادر تهديد البيئة، وهو التلوث.

الهوامش

١- راجع الكتاب القيم للامام الشيخ محمود شلتوت: الاسلام عقيدة وشريعة، الطبعة الثانية عشرة، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢- ويرجع اكتشاف فكرة النظام البيئي إلى أواخر القرن التاسع عشر، على يد بعض العلماء الامريكيين مثل F.E CLEM-ENTS,وFORBES،و الانجليزي مثل A.C.TANSLEY، والألماني مثلD.MOBIUS وأنظرR.DAJOZ Precis decologie,paris,5e ed Dunod uriversite,1985.

٣- انظر الدكتور محمد عبده العودات ويحيى باصهي: التلوث وحماية البيئة، الرياض، عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م ص ٦ و ٧.

٤- راجع لطف الله قاري: الامطار الحمضية، الرياض ، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم التقنية، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ص ٩ ومابعدها.

٥- انظر R.DAJOZ: المختصر، ص ٣١٢ ومابعدها.

٦- سورة القمر-٤٩

٧- سورة الرعد-٨

٨- سورة الطلاق- ٣

٩- سورة الفرقان- ٢

١٠- سورة الرحمن- ٥

١١- سورة يس- ٤٠

١٢- سورة يونس- ٥

١٣-سورة المزمل- ٢٠

١٤-سورة يس- ٤٠

١٥- سورة المؤمنون-١٨

١٦- سورة الرعد- ١٧

١٧-أنظر المنتخب في تفسير القرآن الكريم، القاهرة وزارة الاوقاف، الطبعة ١٤١٣,١٧هـ- ١٩٩٢م، ص ٥٠٤ هامش (١)

١٨- سورة الحجر- ٢١

١٩- سورة الشورى-٢٧

٢٠- راجع الامام الشيخ سيد قطب: في ظلال القرآن، جزء ١٤،ص ٢١٣٤.

٢١- سورة الحجر- ١٩

٢٢- راجع تفسير الامام المراغي ١٤ و ١٥ ذكره الدكتور عبد الله شحاته،ص ١٣١بتصرف.

٢٣- راجع: المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٣٧٤ وجاء في هامشة كذلك ان هذه الآية تقرر« حقيقة علمية لم تعرف إلا بعد الدراسات المعملية للنبات، وهي «ان كل صنف من النبات تتماثل افراده من الوجهة الظاهرية تماثلاً تاماً وفي التكوين الداخلي نجد ان التناسق تام والتوازن دقيق في كافة اجهزة النبات المختلفة وكذلك بين الخلايا لتحقيق الغرض الذي وجدت من اجله وقد تختلف من نوع لآخر ولكنها ثابتة للصنف الواحد».

٢٤- سورة الأعلى/ ٢ و ٣.

٢٥- سورة عبس- ١٨-١٩

٢٦- راجع العلامة الدكتور/ يوسف القرضاوي: الخصائص العامة للاسلام، ط، ١٩٨٦، ص ١١٥.



غالي: افلاس الأمم المتحدة وارد هذا العام

اكد الامين العام للامم المتحدة بطرس غالي ان العام الحالي قد يشهد افلاس المنظمة الدولية مالم تسدد الدول الاعضاء وبخاصة الولايات المتحدة مساهماتها في الميزانية.

وقال غالي في مقابلة نشرتها مجلة« الوسط» العربية الصادر ة في لندن إن « الافلاس وارد: وهناك احتمال كبير في ان تكون سنة ١٩٩٦ سنة الافلاس المالي اذا لم تتدخل الدول لمعالجة الازمة المالية».

واوضح الامين العام ان « هناك متأخرات في سداد نصيب بعض الدول في الميزانية وصلت الى ٣,٣ مليارات دولار، بينها ١,٢ مليار دولار مستحقة على الولايات المتحدة وحدها».

وقال ان واشنطن تسعى الى خفض مساهماتها في الميزانية العامة للامم المتحدة« ٢٥ في المئة» وفي ميزانية عمليات حفظ السلام« ٢١ في المئة» والخفض يعني زيادة حصص الدول الاخرى، ولكن من سيتولى تغطية الفارق».

إلغاء الخدمة العسكرية الاجبارية يوفر لفرنسا ١,٢ مليار دولار سنويا

افاد تقرير برلماني ان الغاء الخدمة العسكرية الاجبارية والتحول الى جيش من المحترفين يمكن ان يوفر لفرنسا ستة ميلارات فرنك «١,٢ مليار دولار» سنويا« عائد السلام» في الاجل المتوسط.

غير ان التقرير قال ان تخفيض حجم الجيش المتوقع ان يعلنه الرئيس الفرنسي جاك شيراك سيوفر لفرنسا مليار ي فرنك أي « ٤٠٠ مليون دولار» سنويا فقط على مدى العشرين عاما الاولى. وحذر باتريك بالكاني النائب البرلماني عن حزب شيراك الديجولي والمسؤول عن تعديل ميزانية الدفاع في الجمعية الوطنية ان انشاء خدمة مدنية الزامية بديلة قد يمحو المدخرات التي سيوفرها تقليص الجيش.

واعلن شيراك الشهر الماضي انه يبحث استبدال فترة الخدمة العسكرية التي تستغرق عشرة اشهر بنوع من الخدمات المدنية الاجبارية للرجال والنساء في حين يتم تحويل الجيش الى جيش من المحترفين المتفرغين.

وكتب بالكاني في تقرير يقول فيه «يمكن تقدير اجمالي المدخرات التي ستتوفر للميزانية من الغاء التجنيد بنحو ١٤ مليار فرنك« ٢,٨ مليار دولار سنويا».

واضاف ان هذا سيقابله زيادة في التكاليف تبلغ نحو ثمانية مليارات فرنك« ١,٦ مليار دولار» سنويا اذا تم تجنيد « ٤٠ »الف مجند اضافيين في الخدمات المدنية. لذلك من المرجح ان تبلغ المدخرات نحو ستة مليارات فرنك« «١,٢ مليار دولار» سنويا فور الغاء الخدمة العسكرية واغلاق مواقع عسكرية وبدء التجنيد للخدمة المدنية وانشاء وحدات مدنية.

جنوب افريقيا: مانديلا يدشن اكبر مصنع فولاذ في العالم

دشن رئيس جمهورية افريقيا نلسون مانديلا في ميدلبورغ «اقليم مبوما لانغا» مصنع كولومبوس للفولاذ الذي يعتبر الاكبر من نوعه في العالم.

ودعا مانديلا الى زيادة الاستثمارات المحلية والاجنبية في جنوب افريقيا وقال ان مصنع كولومبس «سيشكل جزءاً لايتجزأ من استراتيجية صناعية وطنية» تتجه الى تصدير السلع المصنعة بدلا من تصدير المواد الاولية على غرار مادرجت عليه الدول النامية.

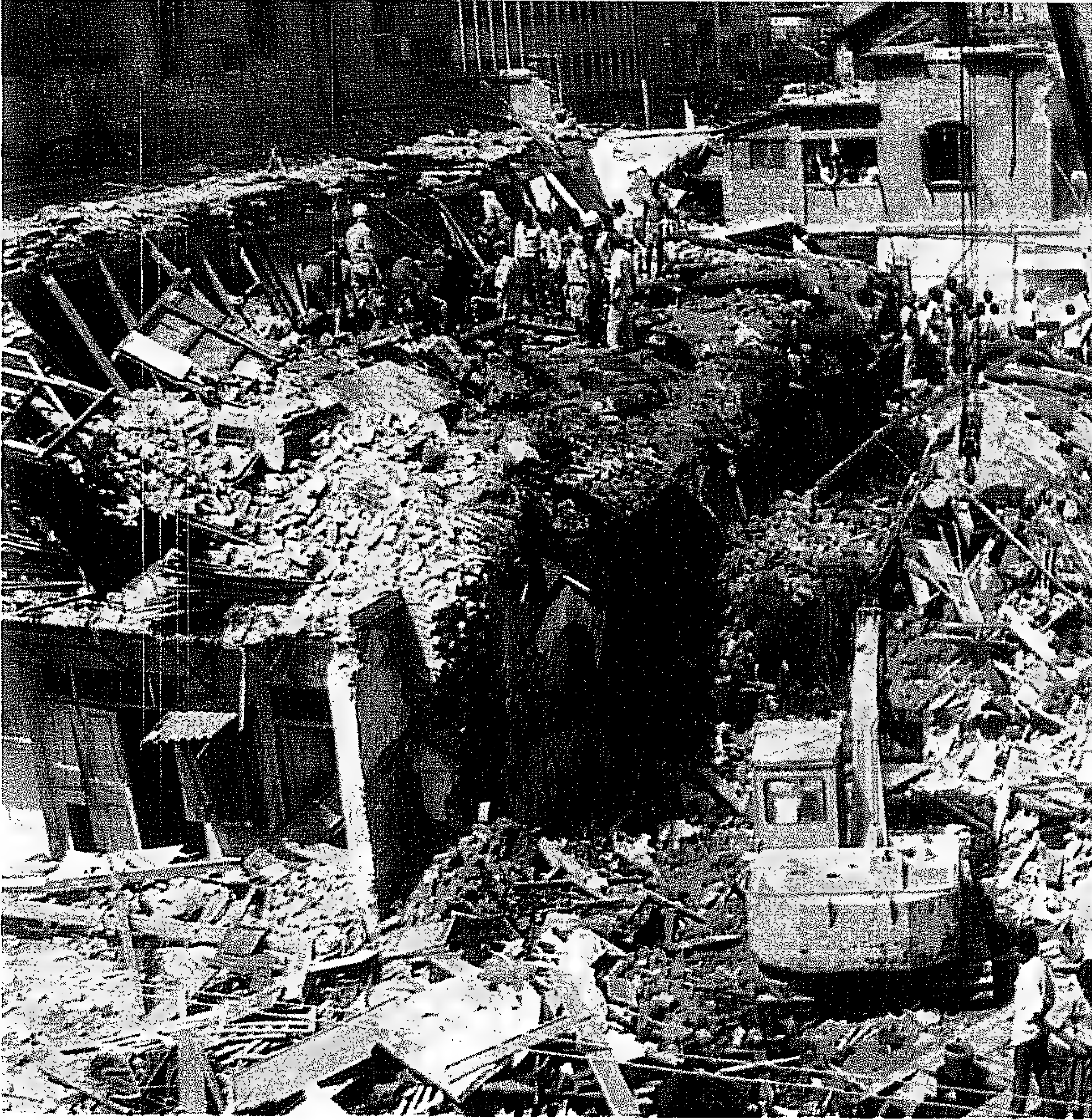
واضاف ان «لدى بلدنا اكبر احتياطي في العالم من الكروم واحتياطات هائلة من الحديد وهي تعتبر المنتج الاول للنيكل وتشكل هذه المعادن الثلاثة المكونات الاساسية للفولاذ الذي سيتم انتاجه في هذا المصنع.

واكد مانديلا ان المصنع سيوفر ١٠٠ الف وظيفة في السنوات العشر المقبلة، وكلف بناء مصنع كولومبوس ٣,٥ بليون راند أي بالعملة



مايعادل بليون دولار».

وسينتج نحو ٦٠٠ الف طن ابتداء من سنة ١٩٩٧ وسيكتفي بانتاج ٣٧٠ الف طن السنة الجارية.



١٥٠ مليار دولار قيمة خسائر الكوارث عام ١٩٩٥

قالت الشركة السويسرية لاعادة التأمين في تقرير لها ان قيمة الخسائر الناجمة عن الكوارث الطبيعية والبشرية التي اصابت العالم العام الماضي بلغت ١٥٠ مليار دولار.
وقالت الشركة ان نحو «٢٨» الف شخص ماتوا نتيجة لتلك الكوارث منهم «٢٠» الفا توفوا في كوارث طبيعية.
وبلغت قيمة خسائر الكوارث الطبيعية ١٢,٤ مليار دولار نتج اكثر من نصفها عن زلزال كوبي واعصار اوبال والعواصف الشتوية والفيضانات في اوروبا.
وقالت الشركة ان الدراسة الكاملة ستكون متاحة في نهاية مارس اذار المقبل.

المصارف البريطانية تسعى لمواءمة قوانينها مع الشريعة الاسلامية

تسعى مصارف الاعمال البريطانية الى جذب الرساميل في العالم الاسلامي عبر اعتمادها مزيداً من الاجراءات الهادفة الى استثمار الاموال بشكل يتماشى مع تعاليم الشريعة الاسلامية.
وكان آخر هذه المصارف مصرف الاعمال «روبرت فليمنغز» الذي اعتمد اسلوبا جديدا يسمح للمسلمين الحريصين على الالتزام بتعاليم الاسلام بتوظيف اموالهم في البورصة دون ان ينتهك هذه التعاليم.
وهذا اول مصرف غربي يسمح للمستثمرين المسلمين بتوظيف اموالهم بهذا الشكل في صناديق استثمار خاصة.
واستبعدت من هذه الصناديق الشركات المنتجة للمشروبات الروحية او تلك التي على علاقة بالعاب الميسر. وقال تشارلز ليليس مدير التنمية في مصرف« روبرت فليمينغز» نحن نطرح جانبا كل شركة تقوم بنشاط لايوافق عليه «المستثمر المسلم».
وشكل المصرف ايضا مجلس مراقبة يضم ثلاثة علماء في الفقه الاسلامي يدرسون مواءمة الاستثمارات مع تعاليم الشريعة.

حملة أميركية لغزو الأسواق الافريقية

بدأت الولايات المتحدة حملة واسعة في القارة السوداء وفي نيتها غزو الاسواق الافريقية التي مازالت« حكرا على القوى الاستعمارية السابقة» على حد قول وزير التجارة الاميركية رونالد براون. ووصل براون الى ابيدجان المحطة الاولى في جولة افريقية وصفها بـ«التاريخية» وباشر على الفور اتصالاته فالتقى رئيسي الجمهورية والحكومة وعقد اجتماعا مع قرابة ٢٠ وزيرا من افريقيا الوسطى والغربية وزار احواضا لتربية الاسماك وقام بزيارة خاطفة الى بورصة ابيدجان ودشن في حفلة« على الطريقة الاميركية» الفرع ارلمحلي لشركة« جنرال موتورز» الاميركية. وقال براون آسفا« لقد تجاهلنا افريقيا طويلاً» ولاتشكل الصادرات الاميركية الى افريقيا - خاصة الى جنوب افريقيا «٤٩٪» ونيجيريا«١٢٪» وانغولا«٥٪» سوى واحد في المئة من اجمالي صادرات الولايات المتحدة. وتحتل الولايات المتحدة المرتبة الثالثة في لائحة الدول المصدرة الى ساحل العاج والمرتبة السابعة في لائحة المستوردين منها.



لجنة التعريف: طرح مشروعين لحج المهتدي والباقيات الصالحات

حث جاسم الشراح -مدير ادارة الموارد والاستثمار في لجنة التعريف بالاسلام عامة -الجمهور بتقديم التبرعات السخية للجنة، واضاف ان اللجنة في هذا العام تطرح مشاريع متعددة على رأسها مشروع الباقيات الصالحات. كما تطرق الى مشروع حج المهتدي الذي يقف على الابواب في هذه الايام مع اقتراب خروج الحجيج لاداء المناسك في الايام القريبة القادمة.

ويذكر ان اللجنة قد سيرت في العام الماضي قافلة ضمت مايزيد على الثلاثين مهتديا من مختلف الجنسيات كلهم من المهتدين الجدد، وقد قامت اللجنة بايفاد دعاتها برفقة اولئك المهتدين حتى يعلموهم اداء تلك المناسك ففي العام ٩٤ شهد خروج اول فوج من المهتدين الى الحج، وقد بلغ تعدادهم مايقارب الثلاثين مهتديا كلهم خرجوا للحج على نفقة المحسنين الذين تبرعوا لحساب هذا المشروع الخيري الذي يعد خطوة أولى الى الجنة.

السميط: عملنا الخيري يذهب لاكثر المناطق حاجة



اكد د. عبد الرحمن السميط الحائز على جائزة الملك فيصل في خدمة الاسلام ان الجائزة هي وسام وشهادة ومبلغ مالي يقدر بـ ٢٠٠ الف دولار، واضاف هذا المبلغ ليس من حقي ولذلك تبرعت به ليكون وقفا تعليميا لتعليم ابناء افريقيا وخاصة في مجالات الطب والهندسة والعلوم والتكنولوجيا . واضاف في لقاء مع تلفاز الكويت قائلا:انه من خلال تجربتي الشخصية وتجارب الكثيرين من الاخوة الذين تعاملوا مع افريقيا عرفنا ان المشاكل التي تواجه هذه القارة هي بسبب الجهل، وحتى لو كان هناك علم فهو دون قيم، حيث تجد في افريقيا مسؤولين عبارة عن مرتشين، لكن بالنسبة لتجربتنا في لجنة مسلمي افريقيا فان بعض الاولاد الذين قمنا بالتدريس لهم قبل ١٥ سنة اصبحوا الآن سفراء ووزراء ومدراء واساتذة جامعات واشعر براحة كبيرة عندما ارى تصرفاتهم مع انني لا اتمنى لاحد من تلاميذتي ان يصبح وزيرا ربما لكراهيتي للسياسة حيث كنت اتمنى ان يخدم بلده في مجال آخر كأستاذ جامعي او كسفير لكن ليس لنا سيطرة عليهم.

واضاف إنني اعتقد انه لو حقق الله سبحانه وتعالى آمالي في اقامة هذا الوقف وبدأنا نرسل من عائدات هذا الوقف الشباب المعوزين والنابغين من افريقيا للتعليم في هذه العلوم فأعتقد ان هذه ستكون جائزة كبيرة جدا بالنسبة لي شخصيا وبالنسبة لكل المحسنين واهل الخير.

واستطرد السميط قائلا اعتقد ان من يستحق هذه الجائزة هم اخواني الذين وقفوا معنا من اهل الخير، اما انا واخواني في لجنة مسلمي افريقيا فنحن اقل شأنا من ان نرتبط باسم الملك فيصل - رحمه الله- وان كان هذا يسرني لانه اولا عربي سافر لافريقيا واهتم بافريقيا الاهتمام الكبير ومازالت بصماته موجودة في كل مكان على الرغم من مرور حوالي «٢٠» سنة على وفاته.

والامر الآخر هو انني مسرور لأن هذه شهادة من اكبر جهة تمنح جوائز في العالم العربي والاسلامي والعالم الثالث كله بصورة عامة.

وانا اعتقد انها محايدة اكثر من جائزة نوبل لانه ليس لها توجه سياسي في اعطاء الجائزة انما هي شهادة تبرء العمل الخيري من التهم التي حاول بعض الاعداء وبعض المسلمين الجهلة الصاقها بنا إنها تهم نحن في غنى عن ذكرها.

وتقرؤونها احيانا في الصحف.

واضاف السميط: لاشك ان بعض الابناء في افريقيا الذين يتقلدون الآن بعض المناصب كسفراء او وزراء أومدراء سيكونون بلا شك دعما للمسلمين للقضاء على الكثير من الظواهر السلبية وربما القضاء على بعض الامور التبشيرية بالنسبة للاديان الاخرى، ويمكن ان يكونوا عونا للاسلام والمسلمين لنشر قضايانا وللسماح للجان الخيرية الاسلامية للعمل بصورة احسن ولتسهيل مهماتهم.

بيت الزكاة انفق ٥,٦٣٤ مليون دينار على اعمال الخير المحلية العام الماضي

صرح مدير ادارة العلاقات العامة والاعلام في بيت الزكاة الكويتي عبد الرحمن الكندري ان اموال الزكاة التي يتم جمعها تنفق بالكامل داخل الكويت ويقتصر الانفاق في الخارج على ما يصل البيت من تبرعات مشروطة ويكون البيت في هذه الحالة وكيلا عن المتبرعين في تنفيذ المشاريع الخيرية نيابة عنهم.

واعلن الكندري ان بيت الزكاة قام في العام الماضي ١٩٩٥ بانفاق مبلغ ٥,٦٣٤,٠٥١ دينارا داخل الكويت على الحالات الاجتماعية المختلفة والمشاريع المحلية والموسمية وفي دعم العديد من الجهات الخيرية.

وقال انه تم في هذا الاطار مساعدة ١١٩٣٥ اسرة محتاجة مستحقة للزكاة قدم اليها مبلغ ٣٦٠٠٨٩٧ دينارا وتشمل هذه الاسر فئة الارامل والايتام والمطلقات والشيوخ والعجزة والمرضى وطلبة العلم واصحاب الدخول الضعيفة وغيرهم.

واضاف لقد تم كذلك تقديم مبلغ ٥٧٢٩٦٠ دينارا لدعم الاسر المتعففة والبالغ عددها ٣٨٢ اسرة كما تم تقديم مبلغ ٧١١٦٠٠ دينار لخدمة القروض الحسنة استفادت منها ٣٢١ اسرة.

وفي مجال المساعدات العينية وزع بيت الزكاة ١٢٥٤ طنا من المواد الغذائية المختلفة على الاسر الفقيرة المسجلة لديه والبالغ عددها ٢٤٠٠ اسرة بتكلفة قدرها ٣٠٧١١٢ دينارا كما تم توزيع زكاة الفطر التي بلغت ١٤١٢١ دينارا اشترى بها البيت ١١٤ طنا من الأرز وزعت على ٢٥٠٤ اسر مستحقة بالاضافة الى ١٦ طنا تم جمعها عينا.

وعن المشاريع الخيرية التي تم تنفيذها العام الماضي والمبالغ التي صرفت عليها تطرق السيد الكندري في البداية الى مشروع ولائم الافطار فقال: لقد نفذ المشروع في ٣٢ مسجدا وبلغ عدد المستفدين منه ٥٠٠٠ صائم قدمت لهم ١٥٠٠٠٠ وجبة طوال الشهر بتكلفة اجمالية قدرها١٠٢٣٢٤ دينارا ساهمت الامانة العامة للاوقاف مشكورة بدفع مبلغ ٣٠ الف دنيار منها.

وفي اطار مشروع ماء السبيل تم تركيب ٢٩ براد ماء في مختلف مناطق الكويت بتكلفة قدرها ٤٨٩٠ ديناراً ليصل عدد البرادات التي تم تركيبها منذ بداية المشروع الى ٧٣ براداً. كذلك تم تنفيذ مشروع الاضاحي بتكلفة بلغت ٣٤٢١٧ ديناراً واستفادت منه ٤٤١٨ اسرة وكذلك مشروع حقيبة الطالب المدرسية الذي استفاد منه ٢٠٣٨ طالبا وطالبة من ابناء حالات الاسر المستحقة بتكلفة بلغت ١٢١٩٥ دينارا كما تم تنفيذ مشروع ضيوف الرحمن ومشروع كسوة اليتيم وقد بلغت تكلفة هذين المشروعين ١٢٧٥٠ ديناراً.

وفي مجال الخدمات الانسانية الاخرى اوضح السيد الكندري بأن بيت الزكاة قدم مبلغ ٢٠٠٠٠٠ دينار على شكل مساعدات للمرضى سواء العاجزين منهم عن العمل او المحتاجين للعلاج في الخارج بالتنسيق مع صندوق رعاية المرضى كما قدم مساعدات اخرى للهيئات والمؤسسات المحلية بلغت قيمتها ٥٧٦٥٥ ديناراً.

وذكر ان مشاريع البيت ومساعداته تأتي لتلبية متطلبات الاسر المحتاجة المادية والعينية لضمان امنها واستقرارها كما ان هدفها تحقق التكافل الاجتماعي لافراد المجتمع والتيسير على المعسرين في المجالات التي يحتاجونها واشاعة روح الالفة والمحبة والترابط بين الجميع والمساهمة في تنمية المجتمع وتقدمه وعلاج ظاهرة الفقر.

والحد منها وتشجيع وتنمية اعمال الخير والبر العام في المجتمع الكويتي.

٢١ مليار دولار زيادة الواردات العربية في ١٤ عام

ارتفعت واردات الدول العربية بمقدار ٢١ مليار دولار في ١٩٩٤ لتصل الى ١٧٢ مليار دولار من ١٥١ مليار دولار عام ١٩٨٠.

وذكر صندوق النقد العربي في تقريره السنوي من مقره في «ابو ظبي» ان والواردات خلال الفترة شكلت ٣٤ في المئة من اجمالي الناتج المحلي للدول العربية مجتمعة. وعزا التقرير زيادة الواردات العربية الى الارتفاع في الاسعار العالمية، اضافة الى تراجع مساهمة القطاع الانتاجي في الناتج الاجمالي العربي خلال الفترة من ٧٠ الى ٥٢ في المئة.

وقال التقرير ان هذا الوضع ترتب عليه زيادة الضغوط على موازين مدفوعات الكثير من الدول العربية، وعلى الرغم من اتجاه معظم اعضاء الجامعة العربية لزيادة الصادرات كجزء من اصلاحات شاملة، لاتزال موازين المدفوعات تعاني عجزا يتوقع تزايده في المدى القصير بفعل قيام منظمة التجارة العالمية.

ويغطي التقرير التطورات الاقتصادية والاجتماعية في العالم العربي لعام ١٩٩٤، وتم اعداده بمشاركة صندوق النقد العربي، منظمة الدول العربية المصدرة للنفط- مقرها الكويت- والصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

المهاجر والمتاجر

بقلم: عبدالجليل محمد الشرنوبي

بعيداً عن ساحة القضاء الذي لازال الأزهر يخاصم فيها القائمين على فيلم المهاجر ويقول لهم أوقفوا عرض هذا الفيلم... نقف نحن معاً أمام «المهاجر».

و«المهاجر» هو الفيلم الذي توج به «يوسف شاهين» أعماله السينمائية ولا يمكن لأحد أياً كان أن ينكر قدر «يوسف شاهين» كمخرج له بصمة بارزة في السينما المصرية والعربية... ولكن تعالوا وليأت معنا المخرج الكبير إلى أرض «المهاجر» أو إلى صالة عرضه لنجد الآتي:

* في البداية نجد الشاشة مكتوبا عليها [أن قصة الفيلم مستمدة من تراث الإنسانية] ولا أظن أن «يوسف شاهين» يفترض فينا كمشاهدين الغباء لأننا جميعاً نعلم أن تراث الإنسانية حافل بحياة الرسل الكرام منذ آدم عليه السلام وحتى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم ولا يمكن لأحد أيا كان قدره أن يصنع وجهة نظر ذاتية ليصور لنا بها حياة أحد هؤلاء الرسل بواقع عصري، ولا أرى هذه الكلمات إلا كما يقال في المثل [اللي على راسه بطحة بيحسس عليها] هذه البداية.

* تبدأ الأحداث منزوعة من وسط ما.. فـ «رام» [يوسف عليه السلام] كما أسماه المخرج يجلده إخوته لأنه غفل عن الغنم وبعدها نرى الأب الغائب وقتها آتيا على جمل في صحراء جرداء وهو الذي تعدى الثمانين من عمره ولا نظن أبداً أنه خرج بمفرده بسنه الطاعن هذا لكي يذهب إلى إحدى دور العرض ليشاهد أحد أفلام «يوسف شاهين»...

والحقيقة أن هذه الرحلة كانت ليقنعنا المخرج بمدى كره إخوة «رام» له وهذا يظهر جلياً حين انفردوا به.. ولكن هذا الحقد من وجهة نظر «يوسف شاهين» ليس وليد الصدفة وإنما ينبع من جور الأب في معاملة أبنائه فـ «رام» مدلل ـ معروف يحبه أبوه حباً شديداً كان هذا الحب لأم رام قبل موتها وانتقل إلى ولدها من بعدها. دون مراعاة لأبناء زوجاته الأخريات. إذن فهذه الشخصية صورة طبيعية لأب جائر وابن مرفه مدلل وإخوة غيورين وما كانت أسرة يوسف عليه السلام كذلك.

* ورأينا رام وإخوته وأباهم ليس لهم رب بعينه فإن كان الله فمن هي الآلهة التي كان إخوته يتحدثون عنها، ولماذا لم يؤثر الأب على بنية العبادة، أم أنه رباهم على الحرية الشخصية، لا أرى في هذا التخبط إلا إسقاطاً على شخصية «يوسف عليه السلام» ولا يستطيع أحد أن ينكر ذلك، لأن «رام» علم بأمر عاصفة كادت تفتك بقومه لولاه، فكيف يحوله المخرج من رسول يوحي إليه إلى [رجل مبروك] كما ذكر المخرج على لسان أبطاله.

* حين أراد إخوه «رام» أن يلقوه في الجب كان من وجهة نظر «يوسف شاهين» أن الجب سفينة، حتى تصبح الرؤية خاصة وليست قصة رسول.. ولكي يفعل ذلك أجرى حواراً غاية في السذاجة بين إخوة «رام» قائد السفينة ليغافلوه حتى يلقى بعضهم بـ «رام» في جب السفينة، وبعدها بقليل يفيق «رام» من إغماءته ليجد نفسه في جب السفينة المظلم جداً معصوب العينين مكتوف اليدين.. وفي هذا المشهد يضيء المخرج هذا القبو أو الجب إضاءة جيدة وحين يفتعل رام جلبه، ويأتي قائد السفينة وولده ليكتشفا كنه الموضوع يظهر الجب مظلما جداً.. كيف يتحول القبو من مضيء إضاءة تبدى بطلنا إلى مظلم يضيئه مصباح في يد قائد السفينة... تلك ليست إلا أنوار سيدنا رام أو بركات سيدنا يوسف شاهين.

بعد ذلك نرى ابن قائد السفينة يحدث أخوة «رام» بعنف حين يسألهم عن وجهتهم فيقول [إنت ما تتكلمش إحنا لاقيناك مع البضاعة يبقى إنت بضاعة]

وفي المشهد التالي يقول لأبيه في حنو بالغ [هو إحنا جنبيع رام يابا] هذا التناقض لا يدل إلا على إسقاط من المخرج على قوله تعالى ﴿...وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون﴾ [يوسف: آية رقم ١٩].

* الفيلم بعد ذلك ينتقل كلية إلى مصر حيث يظهر «رام» الذي حلم أن يكون متعلماً في مصر في دور العلم أو المزارع أو الخبير نجده لا يهاب أحداً مع أنه عبد وغريب وهذا لا يبرره كونه عبدا عند قائد الجيوش [عزيز مصر] وهل ذلك يؤهله إلى مرتبة عليا يفعل معها ما يشاء يحبه القائد والنساء وهو يعلِّم الجميع فهو حكيم وكذا عاشق ثم شهواني كيف تجتمع كل هذه الصفات بالرغم من أن هذه الشخصية عابثة. نراها تلقى بنفسها في حوض الماء بدون داعٍ وساعة عاشقة وساعة مع امرأة القائد [امرأة العزيز] فتمنعه و.. و.. هل هذا هو المصلح.

* نشهد « ليوسف شاهين» بعد هذا الفيلم أنه بارع في فن الإثارة، فهو يعي كيف يسجل مشاهد الهيام من أول نظرة فنراه جعل زوجة القائد تتبع من أول نظرة قسمات جسد ذلك العبد من قمة رأسه حتى أصابع قدميه... فهل هذا هو الفن؟

* يخرج علينا يوسف شاهين بعاجز جنسيا وهو القائد العام رغم كل صفاته الحسنة، ثم نرى رجل الدين المتمثل في رجل المعبد شاذاً جنسياً، وهذا هو حال شخصيات أفلام يوسف شاهين، فهل هناك علاقة عنده بين هذه الصفات والفن، أم أنها صارت محورا يدور حولها الفن وهل هذه الشخصيات هي التي تمثل الدولة.. عند يوسف شاهين؟

* نرى قائد الجيوش بعد أن تأكدمن عدم خيانة رام له مع زوجته يقول له [إنت مش حتنسجن علشان خائن. لا أنا حسجنك علشان مجنون] ونحن نقول له إنه سيحبس لأن نبي الله يوسف حبس... لست أرى غير ذلك.

* التقى الإخوة بعد فراق وهم قادمون لشراء بضائع من مصر وساعتها أخذ رام أخوه عبداً وأمرهم بقتل آخر... لماذا كل هذا... أليست قصة النبي؟

* كل ما أراه جميلاً في هذا الفيلم هو التصوير الذي استنطق الحجارة، وطوع الطبيعة لخدمة الأحداث وكذا براعة إخراج مناظر المواكب، وتتبع المظاهرة وتتبع البرق والرعد.. إلا أن المطر في أحد المشاهد يهطل دفعة واحدة وبغزارة، ولذا ننصح «يوسف شاهين» بإصلاح سحابه.

* وأخيراً...

لست أرى في فيلمك سيدي إلا رؤية ليست مركبة ببراعة لقصة رسول عظيم خطتها يد القدر بعناية فائقة لا يمكن أن تركب الأحداث لتبدو متوالية أو طبيعية ولا يمكن أن تلفق أحداثا لتسقطها على أحداث أخرى ثم تتنكر ذلك و... عزيزي المتاجر بفن رخيص... تاجرت وإن كنت كسبت بضعة ملايين من هنا أو هناك وذلك مقابل صورة مشوهة أخرجتها لرسول عظيم.. ولو كنت أنتجت فيلماً بسيناريو خاص دون إسقاط على [تراث بشرى] كما تدعى لكانت أحداثك ستبدو مقبولة، ولركبت «تترات» فيلمك بعضها على بعض، ولما قارن الجمهور قصتك بأخرى ربانية ولن يخسر في هذه المقارنة سواك.

عزيزي المتاجر.. تاجرت بالمهاجر.. فكان

فيلماً مهزوز الصور لـ أبطال شهوانيين وحكماء شواذ وحكام معتوهين والنتيجة هي:

صورة حقيقية لفكر المتاجر «يوسف شاهين» ■

عندما نضع الإنسان في مقدمة مخططاتنا

«لايعرف الإسلام من لم يعرف الجاهلية» هذا القول يلخص التغيرات الجذرية التي طغت على شخصية عمر والصحابة الذين بزغ عليهم فجر الاسلام

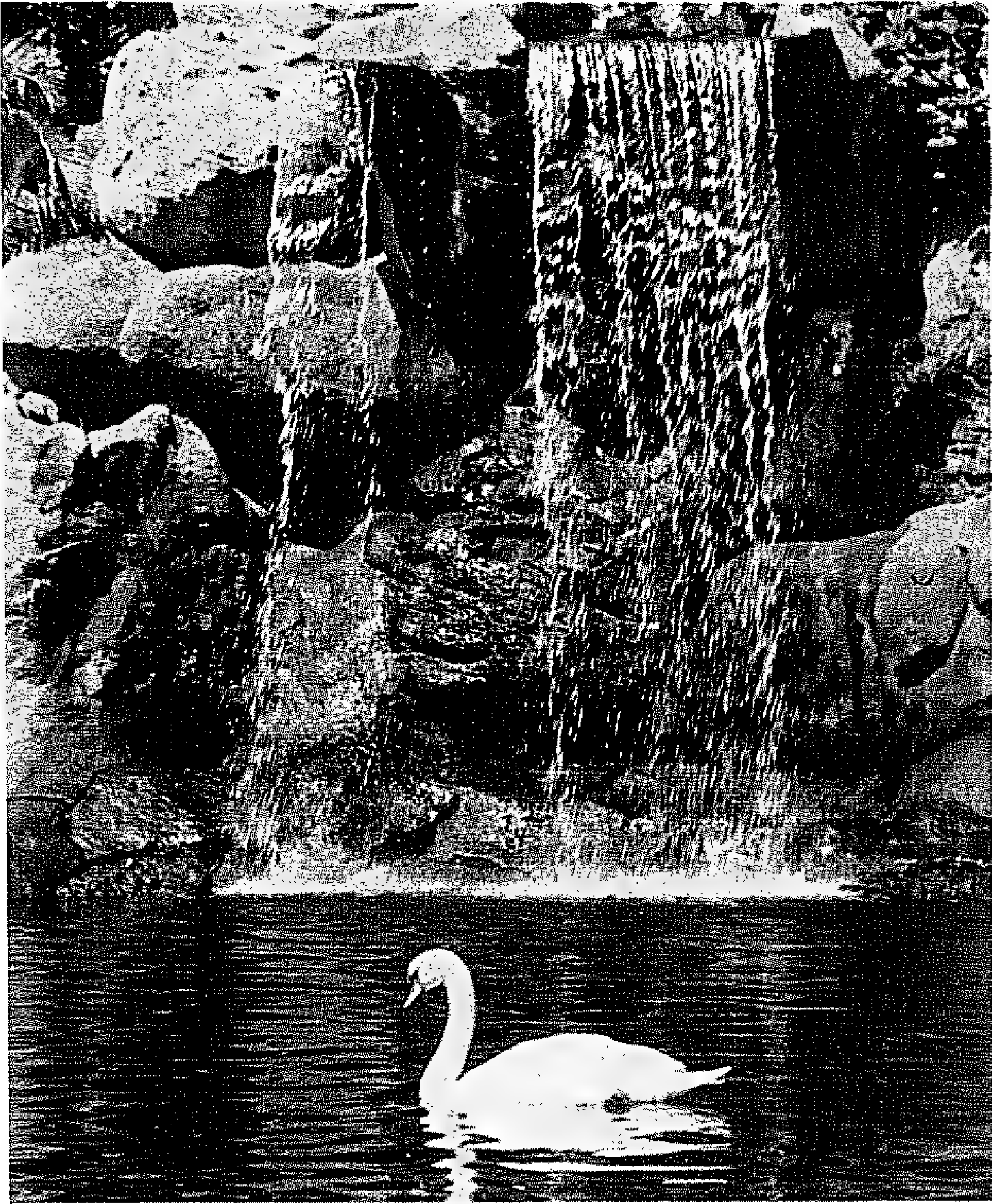
بقلم: عمرفتال

«لايعرف الإسلام من لم يعرف الجاهلية» هكذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلخص في ايجاز ملفت للنظر فضل الله سبحانه وتعالى عليه، وهو يأخذ بيده إلى حيث ظلال الإسلام الوارفة. بعد مااصطلى بنار الجاهلية سنين عددا. وهي بحق قولة تلخص أيضا هذه التغيرات الجذرية التي طرأت لا على شخصية الخليفة الراشدي الثاني رضوان الله عليه فحسب، بل شملت كذلك كل صحابة الرسول الكريم ﷺ الذين بزغ عليهم فجر الإسلام وهم مازالوا تحت وطأة كابوس الجاهلية الخانق.

ولهذا فالمرء لايملك حينما يقارن حياة أولئك الصحابة الافذاذ اثناء عيشهم في وادي الضلال السحيق، بحياتهم وهم يحملون راية الهداية عقيدة وسلوكا قل نظيره، ولايملك المرء وقتها الا ان يستسلم خاضعا لاعجاب ممزوج بحمد وشكر الله« مخرج الحي من الميت» وانا هنا لست بصدد تعداد المواقف الفريدة الشاهدة بألف لسان على التغيرات الهائلة التي حدثت على أولئك الصحابة الأجلاء بعدما ملأ الإسلام قلوبهم بمبادئه السمحة، فغير بذلك حياتهم كاملة من النقيض الى النقيض. فهي مواقف اكثر من أن تحصى، كما ان كتب السير لاتني توردها مفصلة وإنما ارتأيت ان اشير إلى ماسلف هذه الاشارة العابرة، لاني رأيت فيه ضوءا يزيح الحلكة عن درس غال يدعونا إليه ديننا الحنيف دين الرحمة والصلاح والفلاح الذي جاء هدى للبشرية، إلى الاقبال عليه بقلوبنا وعقولنا، واعني به ذلك الدرس الذي يتناول بشكل عملي جاد السبيل القويم والناجع الواجب اتباعه من اجل خلق الحضارات السامقة التي تسعد بني الإنسان تلك السعادة البعيدة عن الزيف، غير المغلفة بأردية شفافة لاتقوى على حجب مختلف عناصر الشقاء والتعاسة المترسبة في الاعماق بشكل كثيف .إذ الناظر الى الدين الاسلامي الحنيف -كمنهج رباني متكامل- وهو يضع الأساس للحضارة الاسلامية الخالدة التي قادت الانسانية ردحا من الزمان في طريق الهدى والاستقرار النفسي والارتياح العقلي من اوهاق الاوهام، والخرفات والشطحات المحلقة في عنان الخيال الرحب، لم يبن ذلك الاساس على كنوز تضيق عنها الارض، ولاثروات فلاحية جمة في مكنتها تحقيق الرخاء. وبعدها حتما الاستقرار والازدهار. فما كانت الارض التي بعث فيها سيد الانام ارض فلاحة، بل كانت مجرد صحراء مترامية الاطراف، لاتأنس بصحبتها نبتة تدعو الى حط عصا الترحال بصفة نهائية، ولايجري في بطاحها ماء بكيفية دائمة مثلما كانت تجري عليها دماء القبائل المتناحرة على أتفه الاسباب!! وانما وضع الدين الرباني اساس هاتيك الحضارة الفريدة على قاعدة صلبة اسمها الانسان حيث ماإن شع نور العقيدة بين جوانحه، وافعم قلبه بمبادىء الرسالة السماوية الخالدة حتى راح يسطر أروع المواقف الانسانية، ويدك صروح الجاهلية الضالة، ويقضي القضاء المبرم على صنوف التفرقة، ويعلي راية الإخاء والمحبة والسلام والتكافل، ويتنكر التنكر الكلي لكل ماله صله بالوثنية المقيتة. كل ذلك حققه في فترة وجيزة قد لاتساوي شيئا في عمر التاريخ الذي ينظر الى القرون المتتالية نظرتنا الى الدقائق المتسارعة.

ونحن اليوم في امس الحاجة الى النهل من معين ذلك الدرس القيم اثناء التخطيط لمستقبل مجتمعاتنا إذ أن كل تخطيط يضع في قمة مشاريعه الانسان. يقترب الاقتراب كله من نقطة النجاح التام فيمايصبو اليه من اهداف قريبة او بعيدة المرامي، لان الانسان هو الذي يتحمل مسؤولية تنفيذ تفاصيل تلك المخططات وهو في الآن نفسه المستفيد منها، والمحافظ على عطائها والساعي دوما الى استثمارها والسير بها أبداً في درب الغد الافضل. فبإمكاننا مثلا ان نحفر الآبار، ونشق السواقي ونشيد السدود، ونحضر ارقى الاسمدة، ونبني احسن الحظائر ونستقدم افضل البدون، واجود البهائم. ولكننا إذا لم نعد مسبقا ذلك الفلاح الذي يعلي من مكانة العمل الذي يزاوله الى درجة الاعتزاز، ويقدر المجهود الذي يبذله، ويرفع من شأن الخدمة التي يقدمها للمجتمع، فإننا لانستغرب مطلقا اذا مارأيناه يركب صهوة الترحال لينتهي به المطاف في ضواحي المدن مزاولا اي عمل كان تاركا كل التجهيزات السابقة تندب حظها العاثر!!وبإمكاننا ان نسهر على إنشاء اعظم الحدائق لتزين مناظر المدن والترويح عن قاطنيها، وتلطيف اجوائها، وتعير انسامها، ولكننا إذا لم نعمل سلفا على اعداد الانسان الذي يحترم الغطاء النباتي ويتذوق الجمال الطبيعي، ويعرف بعد وعمق تواجد الساحات الخضراء في المدن نكون وقتئذ قد زرعنا بذرة تحول هاته الساحات الى بلا قع في اسرع الاوقات جنبا الى جنب مع زرعنا بذرة اول زهرة من ازهار تانيك الحدائق!.. وبإمكاننا ان نسعى على إنشاء وتشيد اكبر المدارس والثانويات والكليات، ولكننا إذا لم نعد قبل ذلك الطفل الذي يعتبر طلب العلم فريضة من الفرائض التي فرضها عليه ربه علا وجل بحيث يقبل عليه بقلب منشرح، وعقل متوثب، فإن تلك النباتات في غياب هذا ستبقى مجرد هياكل منتصبة في حاجة إلى دفقة حياة!.. وبإمكاننا ان ننشىء اكبر محطات البث التلفزي والإذاعي وبجانبها أكبر الصحف والدوريات في اعلى المستويات، ولكننا إذا لم نكون ذلك الانسان الذي يسعى من خلال هاته الوسائل الى اصلاح الافراد والجامعات، والرقي بالامة في سلم الوعي والتثقيف، فإننا لانلوم انفسنا اذا وجدناها -الوسائل- في يوم من الايام قد تحولت الى معاول تهدم كل صلب وثابت!..وبإمكاننا أن نهيء اكبر المعاهد المجهزة بأحدث التجهيزات لتكوين الاطر والطاقات المنتجة ولكننا اذا لم نرب الطالب في بداية حياته الدراسية على الطموح والاعتزاز بأمته، فإننا قد نظفر ببغيتنا لكنها تكون بغية فجة لان الاطار الذي يقنع بأدنى المراتب لن يكون في مستوى المعهد المجهز بوسائل عصرية والاطار الذي يفتقر الى الغيرة على امته، والاعتزاز بها لن يفكر مطلقا في ان يعبر بها المسالك الطويلة نحو افضل المرامي والمقاصد.. وبإمكاننا ان نبعث البعثات الطلابية الى ارقى الدول لاخذ الدروس والتجارب في المعاهد المتقدمة، ونقل الخبرات اللازمة للبلد، لكننا اذا لم نكون طالبنا التكوين الذي يجعله صعب الانصهار في اتون أي حضارة مستقبلة، فإننا قد نستفيد من طاقته على المستوى العملي لكننا في مقابل ذلك نتضرر من سلوكاته وتصرفاته المتعارضة مع مقومات ومبادىء مجتمعه. وهكذا فالامثلة تتعدد وتتنوع لتلتقي كلها عند اهمية الانسان بعين الاعتبار لابل وضعه على رأس خانة متطلبات مجتمعاتنا في المستقبل لان كل شيء يسهل إذا أعددنا المخلوق البشري الاعداد النفسي والمعرفي، حتى ولو انطلقنا وقتها من ابسط الدرجات ففي مقدوره- الانسان- تعبيد الطريق لبلوغ اسمى المراتب سواء طال الزمان أم قصر، على العكس تماما إذا مانحن قدمنا التجهيزات والمعدات والبنايات على إعداد وتكوين الانسان، فإن كل شيء حينئذ سيظل يشكو من الركود والجمود، وماكان كذلك فهو يرجع القهقري ليلتقي في وسط الطريق مع شبح الاندثار التدريجي، والاجترار البغيض الذي تسحب على منواله نفس النسخ لكنها مع مرور الوقت تغدو باهتة!..

وبعد، كم يحسن بنا أن نقرأ بإمعان المراحل التي قطعها الرسول الامين ﷺ تحت رعاية المولى علا شأنه، وهو يبني صرح الامة الاسلامية وحضارتها الفذة اذ في ذلك اهتداء بنور القرآن الكريم كلام الله عز وجل، وغرف مهم من سيرة نبيه الخاتم. وقراءة متمعنه كتلك انما هي في الحقيقة استخلاص لعبر نحن اليوم احوج مايكون اليها لربط الماضي بالحاضر، ورسم الطريق نحو مستقبل زاهر باسم يُكون من الانسان، وفي صالح الانسان أولاً وأخيراً.. ■



الماء أصل الحيــاة وسـرهـا

بقلم / أحمد الأمين محمد علي

الماء أصل الحياة التي نعرفها وسرها ﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾[الأنبياء/ ٣٠]. وهو أصل كل الأحياء إذ هو العنصر الأول المكوِّن لكل خلية حية، فلا حياة ممكنة بلا ماء، وقد روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: يا نبي الله إذا رأيتك قرت عيني وطابت نفسي فأخبرنا عن كل شيء قال «كل شيء خلق من ماء». (تفسير ابن كثير جـ٣ ص١٧٧).

فالماء هو العنصر اللازم لأي حياة نباتية مصداقا لقوله ﴿وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى﴾[طه/ ٥٣]. كما أنه هو أصل كل تشكل حيواني ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾[النور/ ٤٥].

هذا وإن بعض العلماء يعرِّف الحياة بأنها ظاهرة مائية، لأنه ليس بينهما كائن واحد دق أو كبر يستطيع الحياة بدون ماء، وإن بعض الكائنات في الدنيا تستطيع تحمل الجفاف زمنا يطول بالأعوام ولكنها لا تفعل ذلك إلا وهي كامنة لا نشاط لها ومتدثرة بأغطية تحميها من أن تجف حتى تموت. ولكن ليس ثمة من كائن واحد يستطيع النمو والتكاثر والازدهار دون ماء، ولو أن بعضها يكفيه القليل، فإنك سوف تعجب أشد العجب إذا فحصت غلالة رقيقة من الماء تغلف حبة رمل فوجدتها تعج بما لا يحصى من الكائنات الدقيقة، ولهذه المعاني كان هم العلماء عندما كانوا يفحصون الكواكب بمناظيرهم ويحللون أطيافها بأجهزتهم، ثم لما أرسلوا إليها أقمارهم الاصطناعية فيما بعد كان همهم أن يعرفوا إن كان بأي منهما ماء حتى يرجحوا احتمال وجود الحياة به.

الماء هو العنصر الأول المكون لكل خلية حية فهو أصل الحياة وسرها

الكائنات الحية معظم أجسامها ماء

ولا عجب في ذلك، فالكائنات الحية معظم أجسامها ماء، ولكنها تتفاوت في ذلك وفقا لطبيعة أنسجتها وخصائص بيئتها وأطوار حياتها، فالماء على سبيل المثال قليل في البذور والحويصلات والأظلاف والقرون، وقليل نسبيا في بعض حيوانات الصحراء، ولكنه يتجاوز التسعين في المائة من أوزان بعض الثمار العصيرية الغضة وكثير من الكائنات البحرية، ولو اتخذنا الإنسان مثلا، لوجدنا أن نحواً من ثلثي جسمه ماء، يكمن بوفرة داخل خلاياه، ويغلفها بغلالات رقاق ويتخلل فيما بينها، وفي أعمال كل نسيج من أنسجة جسمه حتى في أصلب عظامه، والماء هو نهر الحياة الدافق في عروقه حاملا إلى كل خلية في جسمه أسباب بقائها من أكسجين وغذاء وهرمونات ومواد المناعة ودواء وفيتامينات، مخلّصا إياها من كل نفاية ومضر وسام وكل العمليات الحيوية في جسم الإنسان — بلا إستثناء واحد — لا تجري إلا في وجود الماء، فبدون الماء ليس ثمة من تنفس أو غذاء أو هضم أو حركة أو إخراج أو تكاثر ولولاه ما تذوق الإنسان طعماً وما شم عطراً.

ولتيبست أنسجته وتلاصقت مفاصله وارتفعت حرارة جسمه حتى يقضى عليه.

قصة طويلة

قصة الماء مع الإنسان قصة طويلة، تبدأ معه نطفة سابحة في ماء ثم جنيناً في قراره المكين تحميه من كل أذى، وتصله أسباب الحياة كلها من أمه في الحبل السري محمولة مع الماء، ثم وليدا يرشف أول غذاء له من ثدي أمه لبنا سائغا قوامه الماء، بل إن الماء مع الإنسان حتى في آلامه وأحزانه التي يسكبها دموعا فتغسل أشجانه، فلا عجب أن يستطيع الإنسان الصبر على الجوع أياما كثيرة لكنه لا يتحمل الظمأ إلا يوماً واحداً أو أياماً قلائل لا تتجاوز الأربعة.

مصادر ثلاثة

يحصل الإنسان على ماء حياته من ثلاثة مصادر رئيسية: فنحو ٤٧٪ منه يشربه ماء قراحا أو وسائل مختلفة قوامها، ٣٩٪ منه متضمنا فيما نسميه بالأغذية الصلبة - فاللحوم والخضروات والفواكه والخبز كلها تحوي نسبا متفاوتة من الماء — أما الجزء الباقي ١٤٪ فيتولد في الجسم نتيجة عمليات التأكسد (الاحتراق) الدائرة فيه، أما الماء الخارج من الجسم فنحو من ثلثيه يخرج مع البول (٩٥٪ من البول المعتاد ماء)، أما الثلث الباقي فيخرج مع العرق وهواء الزفير وما تطرده الأمعاء.

أهمية الماء

الماء أعظم منظم للضغط، ودرجة الحموضة، وتوزيع الحرارة والمواد المختلفة بين أجزاء الجسم، ولكنه هو نفسه يتحكم في كميته في الجسم جهاز منظم بديع فينبغي أن يكون بين صادرات الجسم ووارداته توازن دقيق، فالإنسان إذا فقد من مائه نحواً من ١٪ من وزن جسمه حس بالظمأ، أما إذا ارتفع الفقد إلى نحو ٥٪ جف حلقه وتغضن جلده واهتلس عقله وأصيب بانهيار تام، أما إذا تجاوز الفقد ١٠٪ فإنه سوف يشرف على الموت والهلاك، ولن ينقذه منه إلا شربة ماء، والعجيب أن ازدياد كمية الماء في الجسم هي أيضا خطيرة فإنها تسبب الغثيان والضعف، ثم تؤدي بالتدرج إلى إختلاط العقل وفقد حاسة الاتجاه الصحيح والاختلاجات والتشنجات والغيبوبة ثم الموت. وللماء وشائج وثيقة بالإنسان لا تعد، في نظافته وفي إعداد غذائه، وتناول طعامه، وفي صناعاته التي لا تكاد تستغني إحداها عن الماء، وفي انتقاله بالزوارق والسفن.. بل إن التاريخ ليحفل بأنباء المعارك التي دارت بسببه، والحضارات التي ازدهرت بارتوائها منه، وتلك التي بادت بسبب فقده، أو سوء تدبيره، وليس هذا هو شأن الماء مع الإنسان وحده، وإنما هو شأنه مع كافة الأحياء بلا استثناء، ولعل أبلغ مثل ما نراه في الصحراء الجرداء بعد هطول المطر عليها، فإنها بين عشية وضحاها - بلا مبالغة - سوف تدبُّ فيها الحياة وسرعان ما تكتسي بالخضرة والزهر من كل لون وينشط فيها عديد من أنواع الحيوان ألا قرأت قول الحق سبحانه: ﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾[الحج/٥].

وقد وصف بعض العلماء الماء بقوله: (إن الماء ينفرد من بين المواد اللازمة لقيام الحياة على الأرض بأنه أعظمها أهمية وأوسعها إنتشاراً، وأعجبها شأناً، ومع ذلك فما أقل ما يعرفه سواد الناس عنه).

تركيب جزيء الماء

إن الله، بديع السموات والأرض، قد هيأ الماء للقيام بدوره الرائع فأودع فيه خصائص فيزيائية وكيميائية فريدة، تبلغ في تفردها وغرابتها مبلغ الشذوذ، وإذا تعمقنا الأمر وجدنا أن هذا الشر كامن في صميم بنيان جزيء الماء، فجزيء الماء يتألف من ذرة واحدة من الأكسجين وذرتين من الهيدروجين ومع أن الجزيء متعادل كهربيا إلا أن ذرة الأكسجين الأكبر حجما تجتذب نواتها عددا من الإلكترونات السالبة أكبر مما تجتذبه كل من ذرتي الهيدروجين، ومن ثم تصبح ذرة الأكسجين أكثر سلبية نسبيا، وتصبح كل من ذرتي الهيدروجين أكثر جاذبية، نسبيا أيضاً، ولما كانت ذرتا الهيدروجين غير موزعتين توزيعا متماثلا بل ترتبطان كلاهما بذرة الأكسجين من جهة واحدة فإن هذا الوضع يشكل بنيانا هندسيا عليه شحنة سالبة في جانب، وعليه شحنة موجبة من الجهة المقابلة أو الجانب المقابل، أي يكون للجزيء قطبان كهربيان مختلفان، ومن ثم يوصف جزيء بأنه ذو قطبين أو قطبي ويمكننا تصور جزيء الماء واقعا في داخل شكل رباعي الأسطح، تحتل كل من ذرتي الهيدروجين بشحنتيهما الموجبتين ركنا من أركانه في إحدى جهتيه، أما ذرة الأكسجين فتحتل وسطه وتتركز شحنتها السالبة في الركنين المقابلين.

إن هذا البنيان وظاهرة القطبية التي أشرنا إليها هما السر في معظم خصائص الماء العجيبة التي تؤهله للقيام بدوره في الحياة وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا﴾[الطلاق/٣].

وبعد فقد تبين لنا بما لا يدع مجالا للشك أن الماء نعمة الهية كبيرة، ومنحة ربانية جليلة، فهو أصل الحياة وسرها، ومما ينبغي علينا إزاء هذه النعمة الغالية أن نحميها من مصادر التلوث المختلفة وعدم الإسراف فيها. ■

الماء هو نهر الحياة الدافق في عروق الانسان حاملا إلى الخلايا الأكسجين والغذاء

الأسرة والتنشئة الاجتماعية للطفل

بقلم:
أحمد أبو الذهب محمود(*)

الأسرة من وجهة النظر الاجتماعية هي احدى الجماعات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع، وهي تعتبر من أهم هذه الجماعات، فهي كما يقول اوجست كونت: August Cont «هي الوحدة الاجتماعية الاساسية التي تنشأ عن طريق تراتبط التجمعات الجماعية التي يكون التعاون العلمي أساس وجودها، مثل الطبقات الاجتماعية، ويمكن اعتبار الاسرة وحدة نشاط اجتماعي لأشخاص يعيشون معا في تفاعل مستمر في بناء حضاري معين، وهي مسؤولة عن عدد الوظائف الاجتماعية والبيولوجية (١).

والأسرة التي تتمكن من تأدية وظائفها المنوطة بها بفكاءة واقتدار يطلق عليها الأسرة السوية Vorval Family، كما يطلق عليها ايضا الاسرة المتماسكة أو الأسرة الموحدة أو الأسرة المتكاملة (٢).

رعاية الطفل

وتبدأ الأسرة في رعاية الطفل منذ بداية الحمل من ناحية رعاية الأم صحيا ونفسيا حتى يولد الطفل سليما خاليا من الأمراض.

وللطفل بعد ميلاده حقوق منها حق التسمية والنسب، فيجب تسميته باسم من الأسماء المحببة للنفس والتي تثير الحب والاحترام، ومنها أيضا حق الطفل في الرضاعة الطبيعية طبقا لما قرره الله سبحانه وتعالى:«والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعة» (٣).

ويتفق معظم العلماء على ان عملية التنشئة الاجتماعية Social-ization تبدأ منذ بداية حياة الطفل، فالأسرة تتعهده بالتعليم والتثقيف، ثم تلقنه مبادىء حسن المعاملة واللياقة والآداب والقراءة والكتابة وتحوله من شخص ذى ميول وغرائز تحتاج الى صقل، الى شخص صالح يشارك الجماعة حياتها ويتحمل تبعاتها.

ان على الأسرة ان تصبغ الطفل صبغة اجتماعية مرغوب فيها وتحوله من كائن بيولوجي الى كائن اجتماعي.

فالأسرة تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية Socialization لطفلها طبقا لثقافة المجتمع وطريقة الحياة السائدة بين افراده (٤).

وللطفل -عادة- مجموعة من الحاجات، منها البيولوجية، ومنها الاجتماعية، والنفسية، وهي كالتالي (٥):

- الحاجة الى الغذاء.
- الحاجة الى الملبس.
- الحاجة الى النظافة.
- الحاجة الى العلاج والوقاية من الامراض.

*الحاجات النفسية:

- الحاجة الى صقل الذكاء.
- الحاجة الى تهذيب الغرائز العدوانية.
- الحاجة الى التحكم في مشاعره وانفعالاته.
- الحاجة الى دفء العاطفة الطبيعية والحنان والحب.
- الحاجة الى حصوله على وقت كاف من لقائه بوالديه.
- الحاجة الى التشجيع المعنوي.

* الحاجات الاجتماعية:

- الحاجة الى اكتساب مجموعة من القيم الاجتماعية والفضائل الأخلاقية.
- الحاجة الى المكافآت المالية والمعنوية على منجزاته وسلوكه.
- الحاجة الى التوجيه نحو السلوك المقبول في كافة مواقفه.
- الحاجة الى معرفة بعض المعلومات الصحيحة عن الكون وعن الطبيعة.



رعاية الطفل تبدأ قبل ولادته حتى لا يولد مصابا بالامراض

الحاجات الاساسية لدى الطفل تكون في البداية عفوية ولكن سرعان ما تتلاشى كلما كبر



تكيف الطفل

ان الطفل لا يستطيع تحديد حاجاته، وانما تحددها حاجات غيره، يقول الاستاذ الدكتور/علاء الدين كفافي:« الحاجات الأساسية عند الاطفال تكون في البداية حاجات بيولوجية عفوية في الدرجة الاولى، مثل الحاجة الى الطعام والنوم والتخلص من الفضلات.. الخ ولكن سرعان ما تنشأ حاجاته النفسية بناء على الملابسات والظروف والطرق التي تشبع من خلالها الحاجات فتنشأ الحاجة الى الامن والى الحب، والى التقبل من الجماعة ومن الانتماء وغيرها»(٦).

ويمكن القول بأنه في نطاق الاسرة يبدأ التكيف الثقافي للطفل، ويكتسب الطفل معظم السمات الشخصية الثقافية لشخصيته في هذه المرحلة السنية، كالقيم والاتجاهات والتقاليد والعادات وطريقة الكلام، وتؤكد الابحاث الحديثة مدى اهمية الخبرات المبكرة في حياة الفرد واثرها على سماته الشخصية، وتؤكد ايضا ان رعاية الطفل لمدة اطول تؤدي الى خلق الشعور بالثقة والامان والشعور الطيب ازاء الحياة بصفة عامة.

معوقات الأسرة

ولكن هناك بعض العوامل التي تعوق دور الاسرة في عملية التنشئة الاجتماعية السليمة، ويوجزها الدكتور/ حسان محمد حسان في التالي:

١- انشغال الاسرة: احيانا تهتم الاسرة بأمور المعيشة والمسؤوليات الاجتماعية، وتلقى مسؤولية التعليم ومتابعة الدروس على المدرسة.

٢- انخفاض مستوى الاسرة، هذا الانخفاض يشمل جوانب متعددة، وفي نفس الوقت متفاعلة، ولعل من اهمها الجوانب الاقتصادية والثقافية.

٣- اساليب التربية الاسرية الخاطئة، وتتنوع هذه الاساليب وتختلف، ولكنها بصفةعامة تشمل الاتجاهات المتطرفة مثل التدليل والمبالغة في الاهمال والتسيب المبالغ فيه والتسلطية الحادة القاسية، والحرية الى حد الفوضى والتدخل والحرص الشديدين (٧).

ولكن يمكن زيادة فعالية دور الاسرة في عملية التنشئة الاجتماعية بتقليل نسب الخلاف الاسري، سواء كان هذا الخلاف له شق اقتصادي او اجتماعي وتدريب الاسر الفقيرة على اساليب التربية الصحيحة لاطفالهم وتوجيه هذه الاسر من خلال وسائل الاعلام المختلفة مع توفير الخدمات الضرورية للاسر الفقيرة المحرومة. ■

*مراجع وهومش المقال:

(*) الكاتب: باحث وكاتب مصري، مدير عام مركز تدريب القوى العاملة بسوهاج.

١-سيد عويس، دورة الاسرة في ثقافة، الندوة الدولية لكتاب الطفل «الماضي - الحاضر - المستقبل»، وزارة الثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٦ - ٢٩ نوفمبر ١٩٨٦، ص١١٧.

٢-محمد محمد مصطفى عبدربه «اهمية دور الاسرة في رعاية الطفل وتنشئته اجتماعيا»، المؤتمر السنوي الثالث للطفل المصري، مركز دراسات الطفولة، جامعة عين شمس، ١٢-١٣ مارس، ١٩٩٠م، ص ٢٥٦.

٣- سورة البقرة، الآية رقم ٢٣٣.

٤- محمد محمد مصطفى عبدربه، مرجع سابق، ص ٢٥٩.

٥- فاروق اللقاني، تثقيف الطفل، الاسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧٦، ص ٤٨.

٦- محمد محمد مصطفى عبدربه، مرجع سابق، ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

٧- حسان محمد حسان، كيف نستثمر دور الاسرة في التحليل الدراسي، مجلة التربية، تصدر عن اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، العدد التاسع والتسعون، السنة العشرون، ديسمبر ١٩٩١، ص ١٣٥ - ١٣٦.

غرق العاجزين في البحور والموازين

بقلم- عمر الراكشي:

اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، وهي لغة اهل الجنة لمن كتب لـه الله جنات النعيم، واذا كان في نثرها بـلاغة تسحر الناس، من بـديع وكناية وجناس، فإن في شعرهـا موسيقى، وصور، واخيلة، وإيجاز يأخذ بالألباب، وأبيات تسري مسرى الامثال.

الشاعر العربي

فكان الشـاعر العـربي على مر الدهـور هو النـاطق بلسان قـومه، حتى قيل: انتم النـاس أيها الشعـراء. ولولا ان الشعـر العـربي من قـديم الأزل فـن أصيل مستقل بـذاتـه، تحفظـه موسيقـاه التي تعين على حفظه، لما وصل الينا الشعر الجاهلي وصدر الاسلام والعباسي والأموي، ولما ظل الشعر العربي هو رواية التاريخ، ومستودع المفـاخر والأنساب والانتصارات، بل ولما ظل مصدرا من مصادر الاخلاق والسلوكيات التي يستقى منها سمات الشجـاعة والمروءة، والفروسيـة واكرام الضيف، ونجـدة الملهـوف وغـوث الضعيـف وذي الحاجـة، والـوفـاء بالعهود والالتزامات ورد الأمانات، ولذلك فقد أقر الاسلام من اخلاق الجاهليـة ماهـو مستملح مقبول، ونحـى منها مـا هو مستقبح مرذول.

ثم جاء زمان نعيشه فقد الشعر العربي فيه اصالته وسماته التي عرف بها وعرفت عنه، وانحدر به العاجزون المفلسون الى ماهو أدنى من النثر فغـدا ألغازا ومبهمات، وتهويمات وهذيانا محموما.

واعمل الهدامـون المفلسـون معـاول الهدم في اجمل فن من فنـون العربيـة، وانحدروا بـه الى جهـالة الافـلاس، وهـاويـة الحضيض، الى مايسمونه زورا وبهتـانا.. قصيدة النثر.. وهم لايخجلون لأنهم لايستحون.

إن الذي يسوقون النثر في زعم كشعر، ولايلتزمون التفعيلة ولامجزوء البحـر، فأولئك هم المفلسـون العـاجـزون، الـذين اعجزهم مراعاة:

١- نصاب اللغة -٢- ونصاب الشعر

فهؤلاء قد هـربوا الى النثر المنثور، وفروا الى مـايسمونه هم شعرا، وهـو ليس بشعر، أو قل هـو الشعر المزعـوم، او النثر المشعور.

واذا كان للطب قواعد، وللهندسة قـواعد، وللصيدلة قواعد، فان للشعر ايضا

قواعد، واذا استبحنا هدم قـواعد الشعر، فسيجيء يوم قريب تهدم فيه ايضا قواعد العلوم، ويؤذن عندئذ لكل مدع اجوف ان يباشر- بغير علم- مهنة الطب والهندسة والكيمياء، وقل يومئذ على البشرية العفاء والهباء.

وسـواء رضي الزاعمـون للشعـر ام لم يـرضوا، فل الشعـر موهبة فطرية تصقل بالدراسة، ولكتابته ينبغي مراعاة:

١- قواعد اللغة العربية

٢- قواعد بحور الشعر العربي.

وكتابة الشعـر في أي بحر من بحوره« كـاملا» دون اجتزاء فان ذلك يتطلب من الشاعر علمه الكامل:

اولا: بقواعـد اللغة العـربية، وبحركـات الاعراب فيهـا رفعا ونصبـا وجـرا، ثم بتصريف افعـالها، واستعمالات حـروف الجر.

وثانيـا: ببحور الشعـر العربي ومـااستنبطه العلماء منهـا تحت اسم« علم العروض» وبمجزوءات هذه البحور وأوزانها.

ولأن الزاعمين للشعـر مفلسون إفلاسـا كاملا في الإحـاطة بقواعـد اللغة العربية وبتصريف افعـالها واستعمالات حروف الجر فيهـا، كما انهم مفلسون افلاسا كـاملا في دراسـة علم العروض، لـذلك فقـد لجؤوا الى كتابة النثر في زعم انـه شعر، لانهم لايعـرفـون احـوال الكلمـة من الـرفع والنصب والجر، ويجهلـون قـواعـد تصريف الافعـال في اللغـة العـربيـة، ولايحسنون استعمالات حروف الجر فيها.

كتابة الشعر

فكتابـة الشعر في بحـره المكتمل او في مجزوئه تحتم ظهور حركـات الاعراب في كل كلمـة من كلمات البيت وهو مـايجهله مـدعو الحداثـة والتحديث، وفـاقـد الشيء لا يعطيه، لـذا فهم يلجؤون الى ماسمـوه «سكن تسلم» وهو لايتأتى إلا في الشكل الذي زعموه، وهو الافلاس بعينه والعجز في أوفى اشكاله.

وكما ان للعلم قواعد، وللادب قواعـد، وللفن قواعد، وللشعر قواعـد، فان للعب ايضا قـواعد. وخـذ كرة القدم مثـلا فهناك فريقان من اللاعبين ينـزلون الى الملعب ومعهم حكام، إذن فقد ارتضوا جميعـا سلفا قبل نـزولهم الملعب الاحتكام الى قـواعد تحكم اللعبـة، وتحدد الخطر فيهـا من الصواب، وتحدد آخر الامر الفائز من المهزوم، ومن أجاد ومن الذي عنها حاد. وهذه القواعد يعرفها اللاعبون، ويحترمها الحكام، وليس من المقبول ان يقال ان الـلاعبين والحكام سوف يبتكـرون قواعـد اخرى تحكم اللعب اثنـاء المباراة ويفـاجئون بها المتفـرجين. فان اي تعـديل لقواعـد اللعبـة غير متروك للحكام أو الـلاعبين، ولكن تملكه الجهة التي تقنن لهذه القواعد وتملك مشروعية التعديل.

واذا كان للألعـاب الرياضية قواعـد ينبغي احترامها، فكيف ننكر على الشعر ان تحكمه قواعد، وكيف نستبيح هدمها لحفنة من الجاهلين بها و بقـواعد اللغـة العربيـة وقد عـاش الشعر العربي فنـا مستقلا بذاته خمسـة عشر قرنا من الزمـان، كان مستودع الشعور والاخلاق والوجدان.

وكيف نستبيح لبضـاعتهم الـرخيصـة الجوفـاء ان تطرد الشعر الجيد من الاسواق والمنابر والاذاعات بدعوى انه شعر «تقليدي» رحم اللـه «احمد شوقي» التقليـدي.. فلو كـان حيا

الذين يسوقون النثر على اعتبار انه شعر بدون تفعيله عاجزون شعرياً.

بيننا لما نشرت له قصيدة في مصر في أيامنا هذه ولاستبعدت له قصائده ونحيت دواوينه من المسابقات لانها تقليدية.

ورحم الله المتنبي وأبو العلاء وحافظ والبارودي وعزيز اباظة فكلهم تقليديون منبوذن بحكم الحداثة والتحديث.

إلى هذا الحد ذهب الحياء بادعياء الشعر الحديث.. فقد اصبحوا لايستحون فقط من جهلهم وضحالتهم، وانما ذهبوا الى أبعد من ذلك، فغدوا يهاجمون شعراء القصيدة العمودية أو مجزوءة البحر «التفعيلة» ويهاجمون القصيدة الرصينة الجيدة بدعوى انها تقليدية!!

فمن نكد الدهر ان جاء زمان نجحت فيه البضاعة الرديئة ان تخرج البضاعة الجيدة من السوق، واستولت فيه بغير حق على المنابر وعلى لجان المسابقات وعلى مقدرات الشعر في مصر.

يضاف الى ذلك كله ظاهرة اخرى استتبعها جهل الجاهلين من زاعمي الشعر الحديث، وهي إغراقهم في «الرمز» الى حد الغموض والابهام، ويعتبرون ذلك من البراعة في رص الكلمات ونظمها، ونسوا ان الرمز اذا استعصى على القاريء او المتلقي فك طلاسمه، فلن تصل اليه الجرعة الشعورية، ومن هنا فقد اخفقوا واخفق مايسمونه شعرا في تحقيق الغرض الذي وجد الشعر من اجله. واصبحت اللوغاريتمات والمعادلات الكيميائية افضل منه، لان العالم بقواعد رموزها يستطيع فك طلاسمها ويستطيع اخر الامر فهمها.. ولكن رموزهم بلا قواعد فتبقى مستعصية على الفهم، لان كاتبها عاجز عن الإبانة والإفصاح، ولايحسن تصوير الأخلية، فتخرج من قلمه مريضة مبهمة، وهو يظن انه قد أتى بما لم يأت به الشعراء الأوائل، فهم –ياعيني– عاشوا وماتوا« تقليديين» وهي كلمة يراد بها باطل، فقد كانت قصائد هؤلاء الشعراء اية في الروعة، اداء ووفاء لكل مااحتوتها من اخيلة وصور ومعاني وعاشت هذه القصائد دهورا مستودع المفاخر والأنساب، ومستودع الحروب والانتصارات ومستودع كل مايخالط النفس البشرية من اوجاع واتراح، وكل ما يغبطها من مباهج وافراح، بل ورسمت للمجتمع العربي قبل وبعد الاسلام دستوره الخلقي قبل ان توجد الدساتير والقوانين.

مميزات الشعر العربي

واذا كان الشعر العربي الرصين في عهوده المختلفة الماضية قد تميز بما يسمى ببيت القصيد، تلك الأيات التي تجري مجرى الامثال ويحفظها الناس ويستشهدون بها جيلا بعد جيل، فلن تجد مثل ذلك فيما يسمونه الآن «قصيدة النثر» لانها مجرد منولوجات سوداوية مغرقة في القتامة وتهويمات مبهمة غير ذات موضوع.

والى هؤلاء جميعا اقول غير وجل ولاهياب ان من امتلك ادواته من اللغة، وامتلك نصاب الشعر في بحوره وقوافيه طاعت له المعاني، ودانت له القوافي، لقد ضرب المتنبي وشوقي مثلا لمدعي الشعر في ان من يمتلك نصاب اللغة، ويمتلك نصاب الشعر ويحافظ عليهما، تحكم في ادواته منهما، ولاتتحكم هذه الادوات فيه، فلا تجبره القافية على معنى لايرتضيه، ولايحمله الوزن على قول مالايعنيه.

وبالشعر «التقليدي الذي لايحبونه أفند مزاعم الشعر المنثور أو النثر المشعور فأقول:

رصين الشعر ماكان انبثاقا
من الاعماق والافهام فينا
ويأخذ من حياة الناس منا
ليعطينا كما اخذ الرصينا
ويعكس من رؤى الاحلام حينا
ويغدق من اصالته يقينا
ويبقى نبعه فيضا يروى
وننهل من عذوبته معينا
ألا خلق القصيد له سمات
وبئس اللغو لغو المارقينا
قد اقتحم القريض بأدعياء
وظنوا انهم فتحوا الحصونا
وألغز حشدهم يرجو بيانا
فيأبي للمعاني ان تبينا
قد اتهموا البحور مع القوافي
وعاثوا في القواعد مفسدينا
وساقوا النثر في زعم كشعر
وقالوا هل ترى النصر المبينا
وقامت زمرة تبغي قصيداً
وخاضوا في الطلاسم موغلينا
تباروا في الغموض على غموض
وبز البعض بعضاً ممعنينا
كأن الجمع اولهم غريق
وأخرهم طريح الغرغرينا
وأيأسهم جهاد الشعر علما
وأعياهم سبيل المحسنينا
وباتوا بالجهالة في ضياع
وباؤوا بالخسارة اجمعينا
يسمون الخرافة شعر نثر
وجاؤوا بالهراء مهرولينا
ومااستعصى عليهم وهو لهو
فظلوا في الضحالة غارقينا
قصارى جهدهم اسم غريب
ويغذو الاسم للمنهاج دينا
تكذبهم خرافات أتوها
وهم للإفك جد مصدقينا
دعى الشعر لن يمضي طويلا
وتخبو همهمات المدعينا
اذا ماأعجز الانسان شعر
فإن العيب عيب العاجزينا

لغة الثراء

وبعد فإن لغتنا العربية المكونة من ٢٨ حرفا فقط، تعد اكثر لغات العالم ثراء واغناها بالمترادفات، وأوفاها في استخدام جهاز النطق في الانسان، وتأمل حروف الصاد والطاء والحاء والظاء والعين والقاف مما لا يوجد في اللغات الاخرى.

بل تأمل تقسيمات اللغة العربية لاوقات الليل والنهار الامر الذي تفتقر اليه كثير من اللغات الاخرى رغم ان حروفها اكثر عددا.

ان المسلم الحق يجب ان يعتز بلغته العربية ويتفقه فيها وان يتصدى لمحاولات هدمها والعبث بها، لقد مضى زمان كادت تنجح فيه محاولات الاستعمار لكتابة العربية بالحروف اللاتينية، ليمتنع على المسلمين قراءة وفهم القرآن الكريم.

اللهم اردد عن لغة الضاد هذه الهجمة الشرسة.. فقد سدت الطرق الا اليك، وانقطع الرجاء إلا منك، وخاب الامل إلا فيك. اللهم فقه اهل العربية بلغتهم، واجعلهم يوظفون شعرها الجميل لخدمة مجتمعهم، والذود عن حياضهم، وحقق في شعرائهم استثناءك الذي ذيلت به سورة الشعراء. ■

الشعر العربي الرصين في عهودة الماضية المختلفة تميز ببيت القصيد

ابن حجر الهيتمي فقيه كبير ومرب مجهول

بقلم / أ.د.مصطفى رجب

الامام ابن حجر الهيتمي يعد أحد كبار علماء المذهب الشافعي، ويخطىء كثيرون في كتابته بالثاء (الهيثمي) كما يخطئون في الخلط بينه وبين ابن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري بشرح البخاري، وتلك نبذة عنه:

نشأته(١)

اسمه أحمد بن محمد بن محمد بن علي ابن حجر في رواية ابن العماد، أما بقية المترجمين له فقد جعلوا اسمه أحمد بن محمد بن علي بن حجر، وهذا هو الصحيح كما جاء على لسانه في نهاية أحد كتبه التي لا تزال مخطوطة كما سنشير إليها فيما بعد وهو كتاب (الاجازة في علم الحديث)، ولقبه: شهاب الدين، وكنيته أبو العباس، وقد زعم ابن العماد أن جده (حجر) سمي بهذا الاسم لأنه كان ملازما للصمت، ولا نرى مسوغا لهذا التكلف لأن اسم (حجر) من الأسماء المسموعة من قديم في التراث العربي. كما أن قوله هذا لم يجد من يؤيده.

وقد غلبت عليه ألقاب تبعية مثل «السعدي» نسبة إلى بني سعد وهم قوم من عرب محافظة الشرقية، والانصاري: ولم نجد أصلا لهذا اللقب، والشافعي: نسبة إلى مذهبه الفقهي، والمكي: نسبة إلى طول الأوقات التي كان يقضيها بمكة المكرمة التي توفي فيها، والهيتمي (بالتاء) نسبة إلى قريته محلة أبي الهيتم التابعة لمحافظة الغربية.

ولد ابن حجر في شهر رجب سنة ٩٠٩هـ ومات أبوه وهو صغير فتكفل جده برعايته، وكان حين مات أبوه قد أتم حفظ القرآن وبعض فقه الشافعية.

فلما مات جده تكفل برعايته شيخان من شيوخه هما الإمامان: شمس الدين ابن أبي الحمائل، وشمس الدين الشناوي الذي نقله من قريته إلى مسجد السيد أحمد البدوي في طنطا حيث تلقى هناك مبادىء العلوم، ثم نقله إلى الجامع الأزهر سنة ٩٢٤هـ - أي في الخامسة عشرة من عمره.

شيوخه

وقد ذكر المترجمون له أن من شيوخه:

١- شيخ الاسلام القاضي زكريا.
٢- الشيخ عبد الحق السنباطي.
٣- الشمس المشهدي.
٤- الشمس السمهودي.
٥- الأمين الغمري.
٦- الشهاب الرملي.
٧- الطبلاوي.
٨- أبو الحسن البكري.
٩- الشمس اللقاني الديروطي.
١٠- الشهاب بن النجار الحنبلي.
١١- الشهاب بن الصائغ..

وقد حاز ابن حجر اعجاب أساتذته ومشايخه فأذن له بعضهم بالافتاء والتدريس، ولما يتم العشرين من عمره، فقد وضحت براعته في علوم كثيرة كالتفسير والحديث والكلام والفقه والميراث والحساب والنحو والبلاغة والمنطق والتصوف. وقد ذكر ابن العماد أن لابن حجر معجما ذكر فيه أسماء شيوخه واجازاتهم له. إلا أننا باستعراض مؤلفاته من عدة مصادر لم نجد ذكرا لهذا المعجم الذي يضم اجازات شيوخه له، فإما أن يكون الكتاب مفقودا، وإما أن يكون الأمر التبس على ابن العماد.

ولعل منشأ هذا اللبس عند ابن العماد - ان كان ذلك لبسا - سببان هما:

١- وجود كتاب لابن حجر يسمى (الاجازة في علم الحديث)، وقد يوحي عنوانه بمثل هذا اللبس، إلا أنه لم يتناول فيه شيوخه، بل تناول فيه أهمية علم الحديث وسلاسل الأسانيد التي اعتمد عليها أصحاب كتب الصحاح الستة، وهذا الكتاب مازال مخطوطا ومنه نسخة موجودة بالجامعة الأردنية مصورة عن نسخة بجامعة برنستون(٢).

٢- وجود (ثبت) (قائمة) اجازة «لمؤلف آخر يدعى» عبدالباسط بن أحمد الهيتمي الأزهري كتبت في ١٠ رمضان عام ٩٢١هـ تقع في عشر ورقات ومنها نسخة بالجامعة الأردنية في شريط رقم ١٩مصور عن نسخة بجامعة (بيل) ونظرا لأن ابن حجر التحق بالجامع الأزهر عام ٩٢٤هـ، كما أوضحنا سابقا، فإن من المستبعد أن تكون هذه الاجازة له وفيها خطأ في اسم، بل تكاد تجزم بأنها لهيتمي آخر غيره، الا أنها ربما تكون سبب اللبس لتقارب تاريخها مع مرحلة طلبه للعلم. وفي أواخر سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة (٩٣٣هـ) زار ابن حجر مكة المكرمة فيما يبدو أنها أول زيارة له، فحج البيت وأقام بمكة يطلب العلم بعض الوقت ثم عاد إلى مصر ليزور مكة مرة ثانية ومعه أسرته للحج سنة سبع وثلاثين وتسعمائة (٩٣٧هـ) ثم حج للمرة الثالثة سنة أربعين وتسعمائة (٩٤٠هـ). ويبدو أنه كان في هذه المرة قد حقق بعض الشهرة فقد طالت اقامته بمكة يدرس ويفتي ويؤلف، وقد أخذ العلم على يديه لفيف من العلماء من أشهرهم البرهان بن الأحدب، والشيخ شهاب الدين الدؤلي. وقد قيل في سبب انتقاله من مصر واقامته في مكة المكرمة أنه كان قد اختصر كتاب «الروض» للمقري وشرع في شرحه فأخذه بعض حساده وأتلفه تماما فعظم عليه هذا الأمر واشتد حزنه، وترك مصر بعد هذه الحادثة، حتى غلب عليه لقب المكي نسبة إلى إقامته بها إلى وفاته هناك عام ٩٧٣هـ (ثلاث وسبعين وتسعمائة للهجرة).

وابن حجر الهيتمي من فقهاء المذهب الشافعي المعدودين، ومركزه في ترتيب فقهاء هذا المذهب متقدم، حيث يرجع إلى فتاواه بعد كلام الرافعي والنووي والقاضي زكريا.

الامام ابن حجر غلبت ألقاب تبعية عليه أشهرها شهاب الدين وكنيته أبو العباس

مؤلفاته

اضطرب الذين أرخوا لابن حجر في الاتفاق على مجموع مؤلفاته أو ضبط أسماء بعضها ضبطا دقيقا. ومن خلال استعراضنا لما ورد في هذا الصدد فيما أتيح لنا من مصادر نستطيع فيما يلي ايراد الأسماء الكاملة لمؤلفاته التي تناثرت أسماؤها في عدة مصادر بعد أن قمنا بموازنة دقيقة لمختلف الروايات، وفيما يلي قائمة مؤلفاته:

١- شرح قطعة صالحة من ألفية ابن مالك.
٢- شرح مختصر أبي الحسن البكري في الفقه.
٣- شرح مختصر الروض.
٤- الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان. (مطبوع)
٥- الفتاوي الهيتمية (٤مجلدات). (مطبوع)
٦- الامداد في شرح «الارشاد» للمقري.
٧- تحفة المحتاج لشرح المنهاج (مجلدان) (فقد شافعي). (مطبوع)
٨- مبلغ الأدب في فضائل العرب. (مطبوع)
٩- كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع. (مطبوع)
١٠- الصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة. (مطبوع)
١١- الدرر الزاهرة في كشف بيان الآخرة.
١٢- الزواجر عن اقتراف الكبائر. (مطبوع)
١٣- أشرف الوسائل إلى فهم «الشمائل» للترمذي.
١٤- شرح الأربعين النووية. (مطبوع)
١٥- نصيحة الملوك.
١٦- الايعاب في شرح العباب.
١٧- تحذير الثقات من أكل الكفتة والقات.
١٨- شرح مشكاة المصابيح للتبريزي.
١٩- الاحكام في قواطع الاسلام.
٢٠- معدن اليواقيت الملتمعة في مناقب الأئمة الأربعة.
٢١- الدر المنظم في زيادة القبر المعظم. (مطبوع)
٢٢- فتح الجواد بشرح (الارشاد للمقري)(٣).
٢٣- شرح همزية البوصيري المسمى (المنح المكية). (مطبوع)
٢٤- نصيحة الملوك.
٢٥- شرح ألفية عبدالله بن فضل الحضرمي «المنهج القويم في مسائل التعليم». (مطبوع)
٢٦- تحرير المقال في آداب وأحكام وفوايد يحتاج اليها مؤدبو الأطفال (حققه كاتب المقال).

هذه قائمة تمثل ما ذكره الذين أرخوا لابن حجر الهيتمي، إلا أن لنا هنا بعض الملاحظات التي تتصل بمؤلفاته:

* أن أحدا ممن أرخوا له لم يصل بمؤلفاته إلى العشرين، وانما وصلنا بها إلى هذا الرقم بعد موازنة الروايات وتجميعها من أكثر من مصدر.

* ان محقق كتاب (الخيرات الحسان) أشار في تقديمه إلى كتاب في (الألفاظ المكفرة) لابن حجر، ولم نعثر له عند غير هذا المرجع على كتاب بهذا الاسم. وهناك رسالة تسمى «الخصال المكفرة للذنوب» نخشى أن تكون للحافظ ابن حجر العسقلاني المشهور (ت٨٥٢هـ) واضطربت نسبتها إليه.

* أشار هو في ثنايا الكتاب الذي حققناه «تحرير المقال» إلى كتاب له اسمه «ايضاح الأحكام» لم يرد له ذكر في هذه القائمة.

* يوجد له كتاب مخطوط في الخزانة العامة بالرباط برقم ٢٢٨٤ يقع في ست وخمسين وأربعمائة صفحة (٤٥٦صفحة) يسمى: (اتحاف الأخصا بتاريخ وفضائل المسجد الأقصى)، لم يرد له ذكر أيضا في هذه القائمة.

* وكتاب (تحرير المواعظ والنصائح لأرباب الولايات والمصالح) في ١٣١ورقة موجود بمكتبة اكسفورد، ومنه نسخة بالجامعة الأردنية(٤).

* ويعد كتابه (تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال) من التراث التربوي الاسلامي العظيم، وان كان ما يزال مجهولا لدى التربويين العرب حتى الآن، وتنبع أهميته مما يلي:

١- أنه يعبر عن شخصية مؤلفه وطبيعة تكوينه الفكري كفقيه تعبيرا واضحا.
٢- انه يمثل نوعا نادر الوجود في الكتابات القديمة، وهذا النوع المقصود يعنى بتفاصيل العملية التعليمية كواقع منظم له تقاليده وآدابه.
٣- انه يلقي الضوء على مسألتين شغلتا بال مفكري التربية المسلمين عصورا طويلة، وهما:
أ- أجور المعلمين بين الجواز والمنع.
ب- أحكام الوقف الخيري (بوصفه مصدرا من مصادر تمويل التعليم).
٤- انه يتناول إلى جانب ذلك قضية أخلاقيات مهنة التعليم تناولا لم يسبقه اليه غيره - في حدود علمنا المحدود - من جوانب عدة منها:
أ- العلاقة الأخلاقية/السلوك بين المعلم والمتعلم.
ب- الأمانة العلمية/المهنية.
جـ- أخلاقيات ممارسة العقاب البدني.
٥- أن المؤلف يصدر في تأليفه هذا الكتاب عن منهج بحث أسلامي صرف هو منهج القياس عند الفقهاء والأصوليين(٥).
٦- ان الكتاب يعطي معلومات جانبية ذات أهمية فيما يتعلق بالتنظيم الداخلي للمدارس في القرن العاشر الهجري (الاسكان - التغذية - القيد والتسجيل - الطرد - غياب التلاميذ.. الخ)■

هوامش ومراجع

١- معلومات الجزء الخاص بحياة ابن حجر، مستقاة من المصادر التالية :
(١) خير الدين الزركلي، الأعلام ط٦ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤)، م١ ص٢٣٤.
(٢) ابن حجر الهيتمي، الخيرات الحسان في مناقب الامام الأعظم أبي حنيفة النعمان، مقدمة بقلم الشيخ خليل الميس مدير أزهر لبنان، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣).
(٣) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، د.ت) جـ٨ م٤ ص٣٧٠و٣٧١.
٢- حصلنا على هذه المعلومة من نسخة نحتفظ بها من قائمة مخطوطات الجامعة الأردنية.
٣- يلاحظ أنه قدم شرحين لكتاب الارشاد المقري الأول وهو (الامداد) المذكور في رقم (٦) مبسوط، والثاني وهو (فتح الجواد) مختصر.
٤- فهرس مخطوطات الجامعة الأردنية م٤ ص١٠٩٣.
٥- هناك فروق بالطبع بين الفقهاء والأصوليين (رجال أصول الفقه - لأن (أصول الدين تطلق غالبا على علم الكلام)، إلا أن هذه الفروق مدرسية الطابع وليس هنا مجال الخوض فيها، فعلاقة أصول الفقه بالفقه كعلاقة المنطق بالفلسفة كما قالوا، ولكن الفريقين جميعا يلتقيان عند القياس بوصفه (غاية الفكر الأصولي) بوصفه اسلامي النشأة، عندما يلتقيان عند التفرقة بين القياس كما يفهمونه والقياس الأرسطي، وقد أوضح هذا باقتدار عالم الفلسفة الراحل د.علي سامي النشار في كتابه: مناهج البحث عند مفكري الاسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الاسلامي، بيروت: دار النهضة العربية، ط٣، ١٩٨٤م.

حاز الامام إعجاب اساتذته ومشايخه فأذن له بالافتاء والتدريس في سن العشرين

يوم حنين وعاقبة الغرور

إعداد: عيد أحمد حسين

إن المتفحص لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابد أن تستوقفه غزوتان أولاهما كانت أول تطبيق عملي للتوكل والأخذ بالأسباب في المعارك، والثانية كادت أن تدور الدائرة فيها على المسلمين حصاداً للغرور والعُجْب بالنفس، وكأن أصحابها لم يستفيدوا من الغزوة الأولى التي رسخت مفهوما عمليا في الأذهان - بعد أن رسخه القرآن نظرياً - مؤداة أن النصر بيد الله تبارك وتعالى ولا يتوقف على القلة والكثرة...

فقد كان المسلمون ضئيلي العدد بالنسبة لمشركي قريش في بدر الكبرى، ومع ذلك كان النصر حليفهم، وفي حُنَين - التي لم يكن بينها وبين بدر سوى ست سنوات - أُعْجِب المسلمون بكثرتهم واغتروا بقوتهم وغفلوا عن أن النصر بيد الله حتى انهزموا في أول أمرهم لولا أنهم هبوا من غفلتهم وأصلحوا قلوبهم مع ربهم... فكتب الله لهم النصر.. وكان في هذا اليوم من الدروس العسكرية والنفسية ما لا يُنْسى.

حنين واد قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة أميال شهد الغزوة السادسة والعشرين

وحنين وادٍ قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً من جهة عرفات (١)، وقد كانت هذه الغزوة في السنة الثامنة من الهجرة تحرك الرسول لها يوم السبت السادس من شوال (٢)، وذلك عقب انتهاء الرسول صلى الله عليه وسلم من فتح مكة وعفوه الشامل عن الجميع. وتعد هذه الغزوة السادسة والعشرون من الغزوات التي قادها الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه. (٣)

أسباب الغزوة

وبينما كان المسلمون قد مضى على مقامهم بأم القرى خمسة عشر يوما إذ ترامت (٤) إليهم أنباء مفادها أن قبيلتي هوازن وثقيف تجمعتا لغزو المسلمين قبل أن يغزوهم، ذلك أن فتح مكة كان له أكبر الأثر في توحيد شبه الجزيرة العربية كلها تحت ظل الإسلام كما كان له أثر معنوي عميق على المسلمين والمشركين على حدٍ سواء، فقد أصبحت شبه الجزيرة العربية قوة ذات عقيدة واحدة، وهدف واحد، ولم يبق على الشرك إلا بعض القبائل كقبيلتي هوازن وثقيف، ومن الواضح أن قضية إسلام ان هذه القبائل أصبحت قضية وقت ليس إلا، لانهيار أكبر حصن للشرك في «مكة»، ولانهيار أكبر عدو للإسلام «قريش». (٥) من أجل هذا تجمعت هذه العناصر واتفقوا على غزو محمد قبل أن يغزوهم، وعلى مفاجأته بهذا الغزو قبل أن يأخذ جيش المسلمين حظه من الراحة والاستقرار. وقد أمَّرَ هؤلاء عليهم مالك بن عوف وكان شابا في الثلاثين من عمره قوى الإرادة ماضي العزيمة فجمع إليه عدداً كبيراً منهم «بنو سعد» وهم الذين كان الرسول صلى الله عليه وسلم مسترضعاً فيهم. (٦)

استبداد بالرأي

وكان ضمن جيش المشركين «دريد بن الصمة» وكان شيخا كبيراً عمي بصره، وصار لا ينفع إلا برأيه وتجاربه في الحروب، وكان رأي مالك بن عوف أن يخرجوا ووراءهم النساء والذراري والأموال حتى لا ينفروا، فلما علم «دريد» سأله: لم ذلك؟ فقال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله كي يقاتل عنهم. فقال دريد: وهل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك. ولكن مالك بن عوف لم يستمع لمشورة هذا الرجل. (٧)

تسليح المسلمين وخروجهم

ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن عند «صفوان بن أمية» دروعا

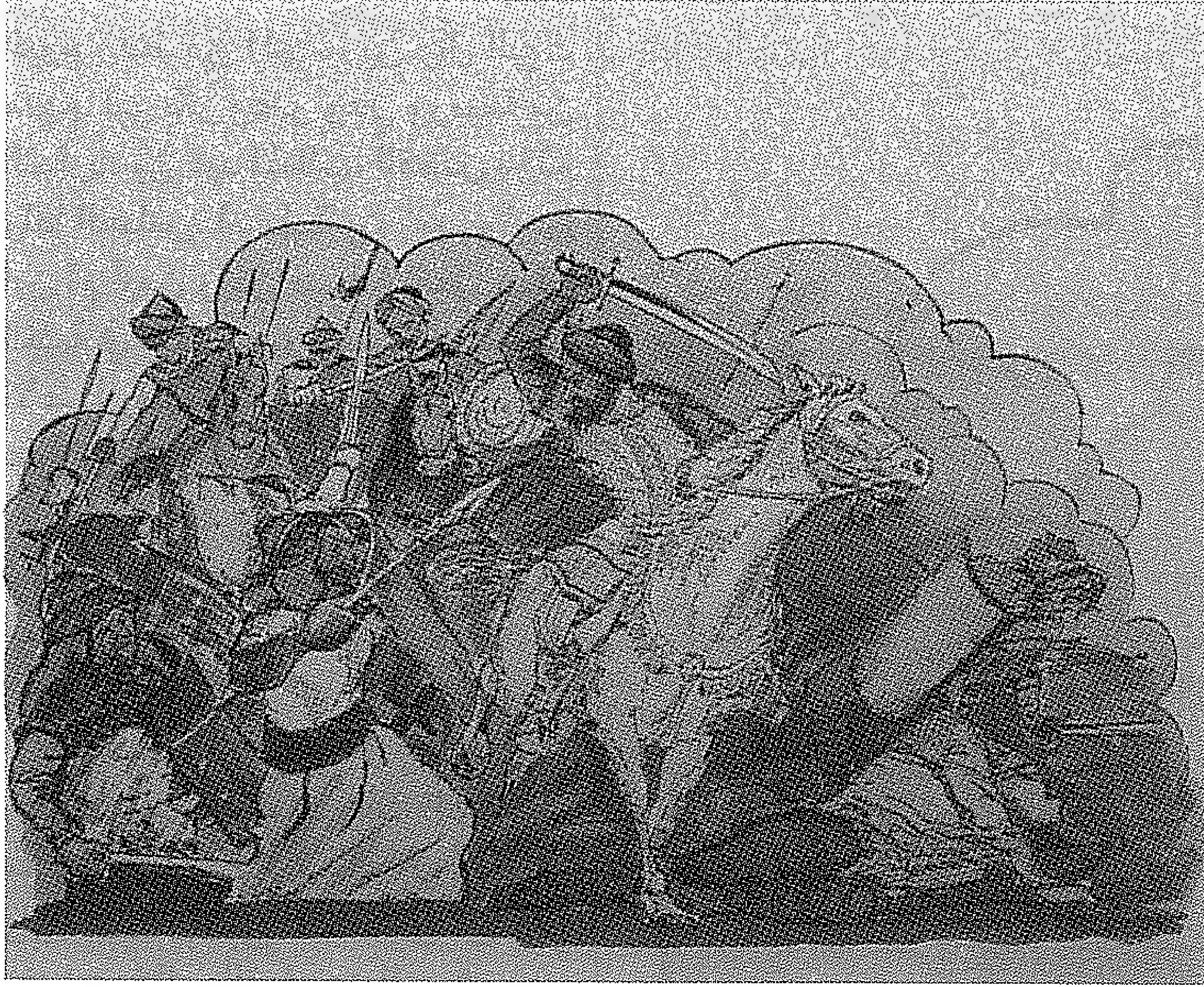
وسلاحا، فلما عزم الأمر أرسل إليه ـ وهو يومئذ مشرك ـ فقال: يا أبا أمية، أعرنا سلاحك نلق به عدونا غداً. فقال: أغصباً يا محمد؟ فقال: بل عارية مضمونة.
فأعاره مائة درع بما يكفيها من السلاح، وسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكفيهم حملها ففعل. فلما تمت الوقعة جمعت دروع صفوان فوجدوا أن بعضها فُقِدَ، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضمنها له فأبى وقال: أنا اليوم في الإسلام أرغب. (٨) وكان عدد جيش المسلمين اثني عشر ألفا، منهم العشرة آلاف الذين كانوا في فتح مكة، وألفان من الأعراب والطلقاء، والمؤلفة قلوبهم والنساء يرجون الغنائم، وخرج في الجيش ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو، واستخلف النبي على مكة «عتاب بن أسيد الأموي» وكان عمره عشرين عاماً.

آفة الغرور

سار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان قريبا من معسكر العدو، فصف الغزاة وعقد الألوية فأعطى لواء المهاجرين لعلي بن أبي طالب، ولواء الخزرج للحباب بن المنذر، ولواء الأوس لأسيد ابن حضير.. وكذلك فعل مع القبائل الأخرى.
وركب صلى الله عليه وسلم بغلته ولبس درعيه والبيضة والمغفر واغتر بعض المسلمين حتى قال «لن نهزم اليوم من قلة». (٩)
إن السهولة التي تم بها فتح مكة وإحساس جمهور المؤمنين أن الجاهلية تلفظ أنفاسها الأخيرة فلن تبدي مقاومة تذكر وظن حدثاء العهد بالإسلام أن شيئا ما لن يقف في طريقه، كل ذلك جعل الجيش يزحف للقاء المشركين وهو غير مكترث لما سوف يواجه، ولم يكترث؟! إنهم قلة كانوا يكسبون المعارك الطاحنة، فكيف وهم اليوم يخرجون في عدد لم يجمعوا مثله قبلا. (١٠)

ذات أنواط ومفاهيم جاهلية

في الطريق من حنين مر المسلمون «بذات أنواط» وهي شجرة عظيمة



كانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب يأتونها كل سنة يعلقون عليها أسلحتهم ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوما.
فقال بعض حديثي العهد بالإيمان يا رسول الله اجعل لنا «ذات أنواط» كما لهم «ذات أنواط» فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «الله أكبر، قلتم ـ والذي نفس محمد بيده ـ كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة قال إنكم قوما تجهلون، إنما السنن لتركبن سنن من كان قبلكم. (١١) ونهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذا الأمر الجاهلي.

التقاء الجيشين وثبات الرسول صلى الله عليه وسلم

نزل المسلمون حنيناً قرب المساء على أبواب واديها، وقبيل الفجر تحرك الجيش الإسلامي، ولم تكد الطلائع تتقدم إلى مدخل الوادي حتى خرج لهم الكمين وشدوا عليهم شدة رجل واحد وأمطروهم بوابل من النبال، فكان هذا الأمر مفاجئا للمسلمين مما أدى إلى ارتجاج الصفوف من هول ما رأوا، (١٢) فولوا أعنة خيلهم، وأزمة إبلهم مقهقرين حتى وصلت فلول المنهزمين إلى مكة.
ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم الجيش على كثرته قد اختل نظامه واضطرب أمره، وولى الكثيرون الأدبار، فماذا يصنع؟! (١٣)
أفتضيع تضحيات عشرين سنة في هذه اللحظة من عماية النصبح؟!
أفتنحى عنه ربه؟ وتخلى عنه نصر الله إياه؟! كلا لن يكون هذا، دون هذا تبيد أمم وتفنى أقوام، ودون هذا الموت يدخل محمد في غماره لعل في الموت لدين الله نصرا، وإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، وثبت محمد في مكانه. (١٤) إنه ليعلم أنه رسول الله، وأنه ناصره، وإنه البطل الذي لم يعرف عنه الفرار قط.
انحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين وقد أغضبه الفرار فقال: أين أيها الناس؟ هلموا إليّ أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله فلا يرد عليه شيء وركبت الإبل بعضها فوق بعض وهي موليه بأصحابها. (١٥)
وصار يركض صلى الله عليه وسلم بغلته البيضاء ركضا في نحر العدو، والعباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم آخذ بلجامها يكفها به إرادة ألا تسرع، وأبو سفيان بن الحارث بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بركابه ينافح عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي:

أنا النبي لا كذب
أنا ابن عبد المطلب

وكان من دعائه في هذا اليوم «اللهم أنزل نصرك، اللهم إنك إن تشأ لا تعبد في الأرض بعد اليوم. وثبت مع الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا

النصر بيد الله تبارك وتعالى ولا يتوقف على القلة أو الكثرة والدليل غزوة بدر الكبرى.

اليوم رهط من المهاجرين وآل البيت منهم: أبو بكر وعمر وعلي وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، الفضل وقثم ولدا العباس، أسامة بن زيد، وأيمن ابن أم أيمن ولكن ماذا تفعل هذه الثلة في هذا البحر اللجي من جيش الأعداء فتفتق عقل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الأمر الحكيم فقد أمر أن ينادى: يا معشر الأنصار، يا أصحاب الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة!....(١٦)

تطهير واستجابة ونصر

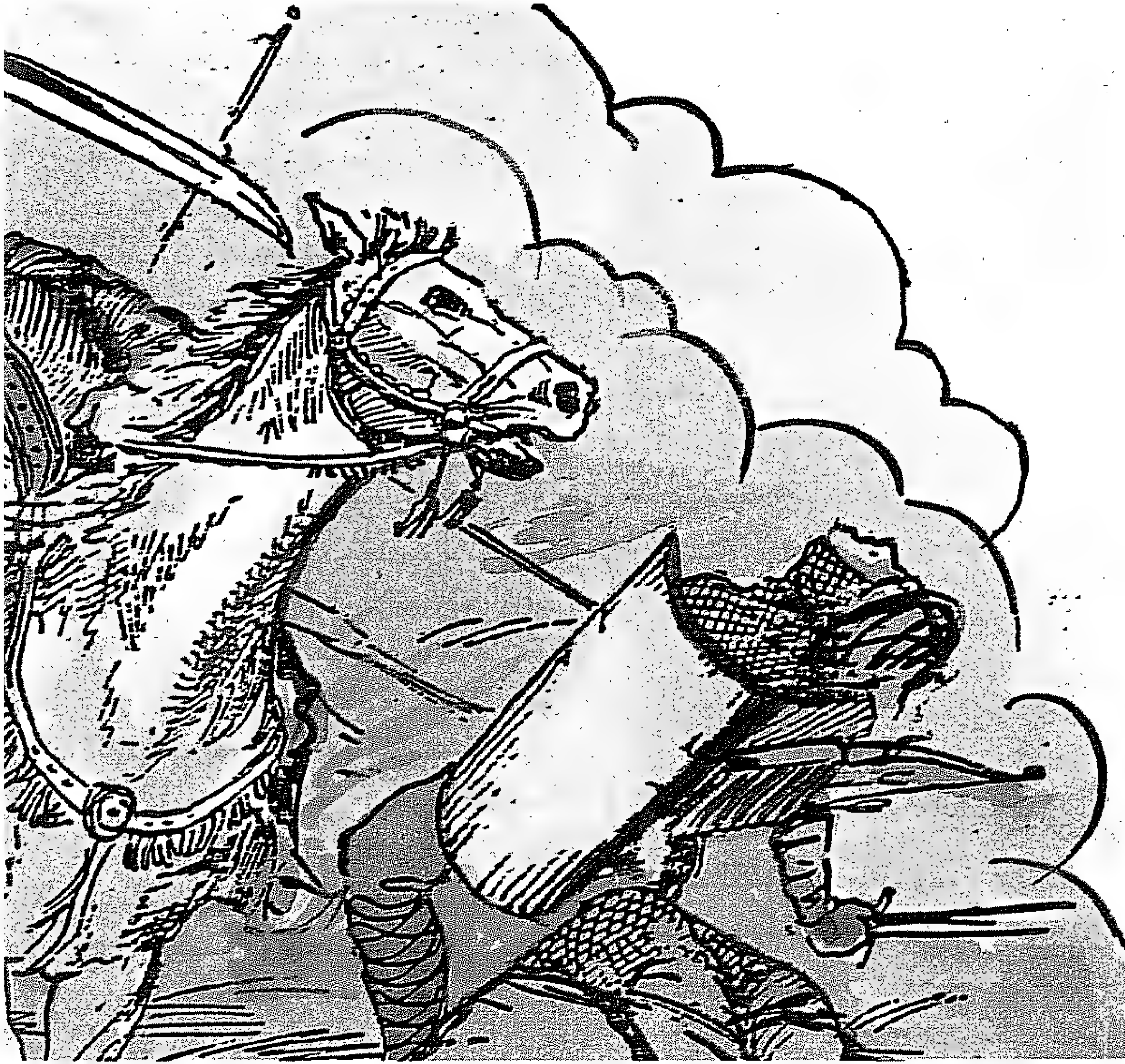
وحركت هذه الكلمات ذات الذكريات مكامن الإيمان والشجاعة في النفوس وأزالت ما غشى النفوس من هلع وفزع، فثاب الفارون إلى رشدهم وأجابوا: لبيك.. لبيك، وجعل الرجل منهم إذا لم يستطع أن يلوي عنق بعيرة ينزل عنه ويأخذ سيفه ورمحه ويؤم الصوت حتى تجمع حول الرسول صلى الله عليه وسلم عدد كبير. واشتد القتال وأشرف رسول الله على المعركة فقال الآن حمي الوطيس، وأمد الله المؤمنين بجنده واشتدت مطاردة المسلمين للفلول المنهزمة من هوازن وثقيف، وماهي إلا ساعة حتى انهزم المشركون. (١٧)

مطاردة العدو

عندما دارت الدائرة على المشركين فر من نجا منهم بقيادة مالك بن عوف إلى الطائف، وقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون يتابعون مطاردة العدو حتى أدخلوهم الطائف، ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم ظل يحاصر الطائف لكنها استعصت عليه لسورها الحصين. فآثر الرسول صلى الله عليه وسلم تركها، لأنه ليس من مصلحة المسلمين بذل ضحايا كثيرة. (١٨) وذلك بعد المجهود الضخم الذي بُذل في هذه الغزوة.

نتائج الغزوة

أفاء الله على رسوله المؤمنين بالأموال والأبناء والنساء، وقد قتل من المشركين عدد غير قليل منهم «دريد بن الصمة».



ومن قاتل في هذا اليوم قتال الأبطال السادة: علي بن أبي طالب، وخالد بن الوليد، وأبو قتادة حتى سماه الصديق أسد من أُسْد الله.

وممن استشهد في «حنين» أيمن بن أم أيمن، وزيد بن زمعة بن الأسود، وسراقة بن مالك الأنصاري.

وقد كان لهذا النصر أثره في نفوس كثير ممن بقي من أهل مكة على شركهم، فأسلموا لما عاينوا نصر الله وإعزازه لدينه (١٩)

وفي غزوة «حُنين» أنزل الله سبحانه قوله: «لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين. ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين. ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم» التوبة/ ٢٥ ـ ٢٧.

ولما انهزم المسلمون في بداية الأمر تكلم بعض جفاة الأعراب، وممن كانوا حديثي عهد بالإسلام بكلام ينم عن التشفي والشماتة فقال «كلدة بن الحنبل» وهو أخ لصفوان بن أمية لأمه «ألا بطل السحر اليوم» فقال له صفوان وكان لا يزال مشركا: «اسكت، فض الله فاك فوالله لأن يربني "يملكني" رجل من قريش أحب إليّ من أن يربني رجل من هوازن». (٢٠)

وأما عن الغنائم التي أفاء الله على رسوله وعلى المؤمنين فبيانها كالآتي:

- ٢٤ ألف بعير.
- ٤٠ ألف شاة.
- ٤ آلاف أوقية من الفضة.
- ٦ آلاف نسمة من السبي. (٢١)

إن في ذلك لعبرة

إن تاريخنا الإسلامي حافل بمظان العبر والعظات للمسلمين في كل زمان ومكان، وما عليهم إلا أن يعيدوا قراءة هذا التاريخ ويَعُوا ما فيه جيداً.

وغزوة حُنين كما عرفنا فيها دروس عظيمة لمن كان له عقل أو ألقى السمع وهو شهيد ومن هذه الدروس:

ـ إخلاص النية لله تعالى في الجهاد فقد ذكر بعض المؤرخين (٢٢) أن

التاريخ الإسلامي حافل بالعبر والعظات في كل زمان ومكان وعلى المتشكك إعادة قراءة التاريخ



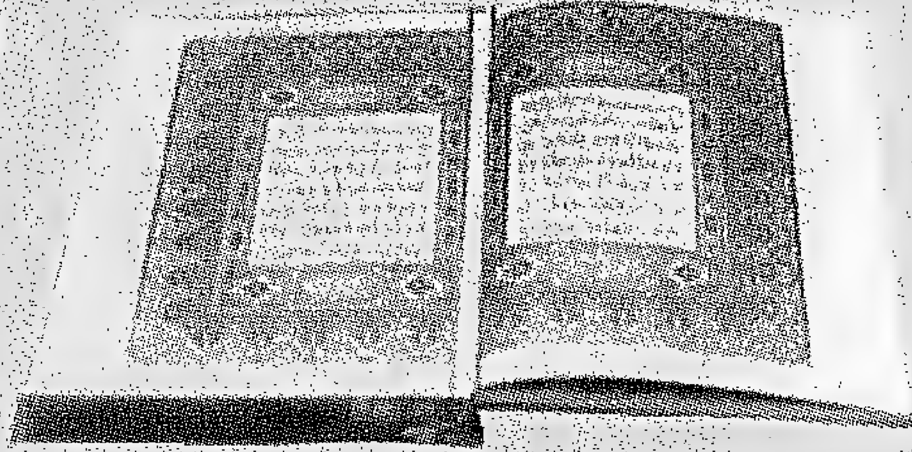
جيش المسلمين كان فيه أخلاط كثيرون من المشركين والأعراب والمؤلفة قلوبهم، وهؤلاء لا يقاتلون عن عقيدة وإخلاص، وإنما يقاتلون لمغنم أو عصبية.
وعليه فإننا يجب أن نجعل نوايانا خالصة لوجه الله تبارك وتعالى في جميع ما نقوم به من أعمال.
ـ احترام آداء ذوي الخبرة والتجربة، ومناقشة هذه الآراء بالعقل لا العاطفة فهذا مالك بن عوف لم يستمع لرأي «دريد بن الصمة» ـ كما رأينا ـ في عدم اصطحاب النساء والأموال والذراري في الجيش، ولم يناقشه طويلا حتى يقنعه أو يقتنع هو برأى «دريد».
وهذا استبداد بالرأي وإعراض عن المشورة.
ـ جواز الإستعانة بالمشركين على المشركين، فقد استعار الرسول صلى الله عليه وسلم من صفوان بن أمية دروعه، وقد ضمنها الرسول صلى الله عليه وسلم له ووفى بذلك.
ـ البعد عن الغرور واقتلاع هذه الآفة الذميمة من النفس، وعلى الرغم من أن المسلمين قد تعلموا درساً عظيماً في بدر وهو أن النصر ليس بالقلة أو الكثرة، وإنما النصر بيد الله إلا أنهم في حُنين نسوا ذلك وراحوا يفخرون بكثرتهم ولكن أنى للكثرة أن تفعل شيئاً؟!
ولو أنهم أخلصوا النوايا وأبعدوا هذه الآفة عن نفوسهم لانتصروا.
ـ عدم قتل الوليد والمرأة والعسيف «الأجير»، وهذه من المواقف الإنسانية للرسول صلى الله عليه وسلم فقد روى أنه مرّ بامرأة مقتولة قتلها خالد بن الوليد والناس واقفون عليها ينظرون ويتعجبون من خلفها حتى لحقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته فانفرجوا عنها، فقال: «ما كانت هذه لتقاتل» وقال لأحدهم «إلحق خالداً فقل له: لا تقتلنّ وليداً ولا امرأة ولا عسيفاً» (٣) أين هذه الإنسانية الشفافة من الفظائع التي يرتكبها سفلة وخنازير البشرية صباحاً ومساءً في الأقليات الإسلامية!!
وفي تحليق للكتاب الإسلامي محمد حسين هيكل عن الغزوة يقول: «إن المسلمين لم يحرزوا هذا النصر المؤزر رخيصا، بل دفعوا ثمناً غالياً لعلهم لم يكونوا يدفعونه لولا تخاذلهم الأول وتدافعهم مهزومين ليقول فيهم أبو سفيان لا يردهم إلا البحر، دفعوا الثمن غالياً من مهج الرجال وأرواح الأبطال الذين استشهدوا في الموقعة». (٢٤)
... وبعد فتلك إحدى غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم التي وقعت في شهر شوال نذكرها هنا لنستفيد من تاريخنا المشرّف ونأخذ منه ما يعنينا في مسيرتنا وأهدافنا التي خلقنا الله من أجلها.

الهوامش:

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد محمد أبو شهبة ج٢ ص ٣٧٩.
(٢) القبس الوضاء من سيرة خاتم الأنبياء، د. الطيب النجار ط. ١٤١٠ه. ص ٢٠٨.
(٣) راجع جدول للغزوات التي خاضها الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه في كتاب «الرسول للقائد» للواء للركن محمود شيت خطاب ص ٤١٨.
(٤) حياة محمد صلى الله وسلم، محمد حسين هيكل، ط ١٠، دار المعارف ص ٤٣٢.
(٥) الرسول القائد، اللواء الركن محمود شيت خطاب ط٣ دار القلم ص ٣٥٣.
(٦) القبس الوضاء ص ٢٠٨.
(٧) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ٣٨٠.
(٨) السيرة النبوية.. ص ٣٨٠.
(٩) السيرة النبوية.. ص ٣٨٠.
(١٠) فقه السيرة، محمد الغزالي ط الأولى ١٣٧٣٠هـ. ص ٢٩٤.
(١١) السيرة النبوية.. ص ٣٨١.
(١٢) القبس الوضاء.. ص ٢٠٩.
(١٣) السيرة النبوية.. ص ٣٨١
(١٤) حياة محمد.. ص ٤٣٤.
(١٥) فقه السيرة... ص ٢٩٥.
(١٦) السيرة النبوية ص ٣٨١ ـ ٣٨٢.
(١٧) السيرة النبوية ص ٣٨٢.
(١٨) القبس الوضاء ص ٢١٠.
(١٩) السيرة النبوية ص ٣٨٣.
(٢٠) السيرة النبوية... ص ٣٨٣.
(٢١) الرسول القائد... ص ٣٦١.
(٢٢) د. محمد أبو شهبة في كتابة السيرة النبوية.. ص ٣٨٤.
(٢٣) السيرة النبوية ص ٣٨٤.
(٢٤) حياة محمد.. ص ٤٣٧.

المسلمون لم يحرزوا نصرهم الإسلامي رخيصاً بل دفعوا فيه ثمناً غالياً من مهج الرجال وأرواح الأبطال

القصة القرآنية



إن طبيعة الفصل التأثيرية في الأشياء قد جعلته يعم كل معنى في نفسه مقترنا باحد الأزمنة الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل، ومنحته في الوقت نفسه استقلالية في الوجود وفي الظهور بمعنى خاص يختلف في الاسم عن غيره من الافعال، ويتفق في عمومية المعنى

بقلم/د/الشفيع الماحي أحمد

. إذ المعنى هو ما ظهر وبرز به للوجود، ولهذا عرف الفعل بأنه (اسم الحدث)(١) ولا يراد بالتعريف في مجمله إلا الاظهار لتلك الكيفية عن فاعل ما، بحيث يبقى المعنى قائما بغيره، أي يبقى الفاعل أو الذات متصفة بما صدر عنها من أحداث.

الاظهار مرهون إلى حد كبير بالذات المحدث له والمسببة في وجوده فتعطيه المعنى في الظهور والقوامة في الوجود.

تعدد مسميات الأحداث

غير أن الاظهار مرهون إلى حد كبير بالذات المحدثة له. والمسببة في وجوده، فهي التي تعطيه المعنى الذي يظهر به، أو إن شئنا الدقة، تعطيه قوامه في الوجود، ليستقل بنفسه في المعنى وفي التأثير على حد سواء، استقلالا يخلق له كيانا فريدا به يعرف واليه يشار، ويكون له من الخصائص والمميزات ما ليس لغيره من الكيفيات الصادرة، أو من الأحداث في مرحلة ظهورها.

ولعل هذا ما أدى إلى تعدد مسميات الأحداث تعدداً بعدد الاحداث نفسها. لأن الحدث الواحد قد تختلف مناحي تأثيره في الأشياء، فاستلزم ظهوره باسم وصفة مستقلة، بها يعرف حين تتعدد وتكثر الأحداث، حتى لا يختلط بها ويضيع في جملتها. ومن ثم يفقد خصوصية تأثيره. وخصوصية معناه حين يظهر ويبرز للوجود.

من تلك الأحداث التي استقلت بنفسها اسما ووجودا. وظهرت بمعنى خاص بها. وطبيعة في التأثير متميزة عما عداها الحدث المسمى (بالقص). والذي يدل في أصله المعرفي ومن خلال خصوصيته تلك على تتبع للشيء أو تتبع للأثر،(٢) مما يعني أن القص كحدث مستقل ما هو الا تلك الكيفية التي هي تتبع لأثر شيء ما تتبعا ابرز ما فيه هو اقتفاء اثره وملازمته له، وكل تتبع لآثار شيء ما هو أن يقتفي فيه الفاعل اثاره وشواهده وما يدل عليه أو يشير إليه حتى يبلغ في التتبع حد التمام، فيتخذ من خلال ذلك المعنى الذي يعرف باسم (القص).

يقول تعالى في القص بالمعنى السابق: ﴿ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً﴾ [الكهف/ ٦٤] أي

رجعا من الطريق الذي سارا فيه الطريق الأول الذي سلكاه يقصان الأثر، أي يتتبعانه، فأتيا الصخرة حيث سارا في الطريق الأول، وأيضا قوله تعالى: ﴿وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون﴾ [القصص/١١] ومعنى القص في قول الأخت ان تتتبع آثاره حتى تعلم خبره وما انتهى اليه أمره.

ومن معنى القص بالمفهوم السابق اشتقت احداث هي في دلالتها المعرفية تتبع للشيء حتى يبلغ حد النهاية ولكنها تستقل بنفسها في المعنى وفي التأثير، منها كلمة القصاص كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى﴾ [البقرة/١٧٧] وقوله تعالى: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص﴾ [المائدة/٤٥] فالمقتص في الآيتين يفعل بمن وقع عليه فعل القصاص مثل ما فعله في غيره، أي يتتبع نفس ما فعله بغيره فيفعله به، دون أن يزيد عليه أو ينقص منه.

قص الشعر

ومن فعل ذلك أيضا في قص الشَّعر، لأن قص الشعر هو في التسوية بين كل شعرة وأختها، فصارت الواحدة كأنها تابعة للأخرى ومساوية لها، فسمي معنى الحركات كلها بالقص، لما فيه من التتبع والاقتفاء، ومنه قول أهل اللغة(٣) ضرب فلان فلاناً فأقصه، أي أدناه من الموت، والمعنى أنه ضربه على كيفية تتبع فيها أثر المنية فإذا مات اكتمل معنى القص بحدوث الوفاة. وإذا لم يمت قيل إنه ضربه ضربا اقتص فيه اثر المنية، أيا كان مآل قصه أو تتبعه.

أما القصة فقد احتفظت في دلالتها المعرفية بمعنى التتبع للأمر، واقتفاء أثره، ولكنها استقلت في التتبع والاقتفاء بخصوصية الاخبار. فاصبح معناها أنها تتبع للآثار بالاخبار عنها، أو في معنى آخر انها إخبار عن أمور يتلو بعضها بعضا، أو الخبر عن مجموع الأمر في معنى ثالث.(٤) مما يعني أخيرا أن القصة هي خبر طويل يتلو بعضه بعضا. ولأجل هذا انفصلت عن الخبر فسميت قصة. وانفصالها عن الخبر لا يعني اتخاذها حكما يجردها عن كونها خبرا، بل هي من حيث دلالتها على إفادة السامع علما ومعرفة في حكم الخبر، ولا يضعف ذلك من معناها شيئا.

فالقصة اذن هي تتبع للاحداث والوقائع بإظهارها والاعلام عنها بطريقة فيها احاطة بالاحداث والوقائع احاطة تامة، فمن ناحية الخبر والاعلام عنها افادت علما ومعرفة، فسميت خبرا، ومن ناحية تتبعها للخبر تتبعا فيه شيء من الطول والشمول والاستقصاء سميت قصة، وتلك ميزة تسامت بها القصة عن الخبر فأضفت على أحداثها ووقائعها طابع الانسياب والحيوية والاندفاع، وكلها خصائص وثيقة الصلة بالحياة في سيلانها الذي لا يفتر ولا ينقطع.

وقد وردت كلمة القصة في القرآن بمعنى الاخبار المتتبعة في كثير من الآيات منها قوله تعالى: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾[يوسف/٣]

وقوله تعالى: ﴿إن هذا لهو القصص الحق﴾ [آل عمران/٦٢] ووردت كلمة الخبر بمعنى العلم بالأشياء المعلومة على جهة الخبر(٥)، فقال تعالى: ﴿إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سآتيكم منها بخبر﴾ [النمل/٧] وقال ﴿يومئذ تحدث أخبارها. بأن ربك أوحى لها﴾ [الزلزلة/٤و٥].

إن كلا من القصة والخبر وكما وضح يدلان على وجود المخبر به، والاعلام عنه، وأهمية التتبع في القرآن والإعلام عنه. تنبع من أن إخبار القرآن هو إخبار عن الحقيقة بالصدق. الصدق في التعبير عن الوقائع. والصدق في تصوير الاحداث، حتى تصل صورة المعنى إلى النفس حية وبعيدة عن أي مؤثر ينحرف بها عن حقيقتها.

استخدام القرآن للقص

استخدم القرآن في مقابل الاخبار المتتبعة في مجال القصة وداخل حدودها كلمة الأنباء في مقام الاعلام عن الأحداث فقال تعالى: ﴿تلك القرى نقص عليك من أنبائها﴾ [الاعراف/١٠١] وقال تعالى: ﴿كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق﴾ [طه/٩٩] وقال تعالى: ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾ [الكهف/١٣] والنبأ يقف في المعنى بإزاء الخبر لأنه كالخبر ينقل من مكان إلى مكان، ومن شخص إلى آخر. ويفترق(٦) عنه في أمرين:

الأول: ان النبأ خبر له فائدة عظيمة، وشأن كبير. ويحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر نبأ حتى يتضمن من المعاني ماسبق ذكره، ولتضمن النبأ معنى الخبر يقال له نبأ، ولتضمنه معنى العلم يقال

القصة احتفظت في دلالتها المعرفية بمعنى التتبع للأمر واقتفاء أثره فأصبحت أمورا يتلو بعضها بعضاً.

أنبأته بمعنـى اعلمته. ومن ذلك اشتقـاق النبوة. لأن النبي مخبر عن الله، وليس كذلك الخبر.

الثاني: ان النبأ لا يكـون إلا للإخبـار بما لا يعلمه المخبر، ويجوز أن يكـون بما يعلمـه وبما لا يعلمـه، ولهذا يقـال في اللغـة، تخبرني عن نفسي ولا يقـال تنبئني، ويقـال تخبرني بما عندي، ولا يقـال تنبئني بما عندي.

ولعل في ارتباط النبأ بالقص دون الخبر فيما قصه الله تعالى من قصص الماضين إشارة ذات دلالة قوية إلى أن ما حـدث للناس وقصـه القرآن خطير الشأن، وجليل القـدر، لذلك عبر عنـه بالنبأ والانبـاء مسقطا كلمة الخبر على الرغـم من علاقتها الوثيقـة بالقصة، ليتلقـاه المخـاطب بطـريقـة غير تلك التي يتلقى بها سائر الأخبار.

وعلى أي حـال فـالقصـة القرآنيـة مجمـوعـة من الأحداث متتاليـة الوقوع تأخذ في تسلسلهـا المتتابع معنى (القص)، وبما أنها كـذلك فإن عنـاصرهـا هي نفس عنـاصر كل فعل، أي المكـان والزمـان ونسبـة الحدث إلى فاعل أو محدث. ثم أخيرا الحدث بـوصفه الغـايـة من القص، وكل هـذه العنـاصر متغلغلـة في نسيج القصة. وجـزء أصيل ومتأصل فيها. ولا تنفك عنهـا وعن مفهـومهـا. ولا تصور لأحـداث القصـة بدونها.

غير أن النقطـة المحـوريـة في القصـة القـرآنيـة ومـرتكزهـا الاسـاسي هو الحدث وحـده، مجردا عن المكان والزمـان وعن نسبته إلى فاعلـه ومحدثه، وهو أمر فرضته طبيعة القصـة القرآنية. وحتمته وظيفتها الفـريـدة في سيـاق المنهـج القـرآني العـام. وضمن العقيـدة في مفهومهـا المعرفي، أمـا العناصر الأخـرى فتغـدو بعد تجردهـا التام معـاني هي بالفعل جـزء مفهوم من الحدث. وملحوظة فيه على وجه التفصيل، ولا يـراد بها إلا خـدمـة الحدث واظهـاره للـوجـود، ولكنها ليست مرادة لذاتها بأي وجه من الوجوه.

فالمكان مثلا كما يجيء ضمن الأحداث هوَ الموضع الحاوي لكل حـدث، ومستقـره، فهو لـه أشبـه شيء بالوعـاء. ومن البدهي ألا يتصور حـدث انساني بلا موضع ومستقر، إن لم يكـن فعليا فعلى الأقل ذهنيا، لأن المكان يقف وراء كل حدث، وخلف كل واقعة، وان لم يذكر أو لم يتصور، إذ لا يعقل حدث الا وهو حال في بعد يحويه، وموضع يشغله، ومن هنا جاءت أهمية المكان للحدث كعنصر لابد منه، بيد أن المكان لا يؤثر في الحدث تأثير الإيجاد، إذ هو كما رأينـا منفصل عن الحدث، وجريان الأحداث في تـدفقها الزماني يسقط المكـان، ويستقل الحدث وحـده بـالـوجـود الفعلي والذهني على حد سواء.

ولم يـرد في القـرآن ذكـر لمكان مـا يـرفعـه فـوق مستـوى الحدث، ولم يلفت إليـه التفاتـا يبعـده عن دائرة العمـومية والاطـلاق ويقربـه إلى خصوصيـة التعيين، وإذا ذكـر بـالتعيين فانما يـذكـر لـدواعي المعرفة، ولضرورة فرضتهـا أحداث القصة بحيث لا يتصور الحدث بـدونه، وذلك لأن المعنى بالذكـر هو الحدث وحده، فمثلا يقول تعالى في قصة موسى عليه السـلام ﴿ودخل المدينة على حين غفلـة من أهلهـا﴾ [القصص/١٥] والمدينة هنا هي مدينة فرعون، وقد دخلها مـوسى بالفعل، وهي أحـد المواقع التي جرت فيها أحداث القصة، ولذلك خصت بالذكر تخصيصا مبهما، اذ تصور الأحـداث متوقف عليها، ومـرهون بها، ولو لم تذكـر لتعذر تتـابع الأحـداث في مجراها الطبيعي.

مواضع الذكر

أما المواضع التي خصت بالذكر كما في قوله تعالى: ﴿واذكـر أخـا عـاد إذا أنـذر قـومـه بـالاحقـاف﴾ [الاحقـاف/٢١] وقـولـه تعـالى: ﴿كـذب أصحـاب الحجـر المرسلين﴾ [الحجـر/٨٠] وقـولـه تعـالى: ﴿فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾ [طه/١٢] فـامـا بقصـد الشرح والإبانـة، أو لإقـامـة الحجـة والشهادة على قوم بعينهم. أو لأنها مـواضع لوقائع جـرت، ولأحداث مضت ارتبطت بأمـاكنها، فـوردت واثبتت لمقتضيـات ولضرورة ودواع ليس من بينهـا الأحـداث المقصـوصـة، لأن الموضع مهما التصق بـالأحـداث، ومهما بلغ من الأهميـة، فقـد أعـد منـذ البدايـة وهيء لها، ولكنه لا يتـدخل في الأحداث ذلك التداخل الذي يؤثر في بنية الحدث.

والـزمـان من حيث الابهام والعمـومية كـالمكـان تماما، لأن الزمان يحدد الشريحة الزمانية التي تمت في اطـارها الأحـداث، فـاذا انجزت قيل انها احـداث وافعال مـاضية، أي بعـدت عن الزمـان الذي وقعت فيه، فهي على هـذا نفذت في زمان سابق على الـزمان الذي قصـت فيه اخبـارها، ولا وجـود مادي سـاعة الكـلام عنها، ومـا بقي لها من وجـود هـو الوجـود المعرفي والعلمي.

وعلى هذا فالماضي يعطي للاحـداث زمانية حدوث، فيعبر عنهـا بأنها أحداث قـد تقدم أو سبق زمـانها، لانجازهـا في زمن غير الزمن الـذي قصت فيه، ولهذا

النبأ خبر له فائدة عظيمة وشأن كبير يحصل به علم ولا يكون إلا للإخبار بما لا يعلمه المخبر.

قال تعالى: ﴿ومضى مثل الأولين﴾ [الزخرف/٨] أي الذين نفذت أفعالهم في زمان سابق. وبقيت اخبارهم تحكي عما فعلوه، وتقص ما أنجزوه من أعمال.

وفي القصة القرآنية ورد الزمان مطلقا بلا قيد، اللهم الا قيد الماضي وحده، وحتى هذا القيد أبهم على نحو فريد جعل الماضي كله ماضيا قرب فيه البعد الزماني إلى حد بات معه الزمان، لا هو زمان موغل في القدم، ولا هو زمان حديث في وقت الإعلام عنه، بل هو زمان جرت فيه أحداث سابقة على كل من أخبر أو أعلم عنها، وبذلك القت القصة القرآنية الحاجز الزماني بين الحدث الماضي وبين والوقت الذي يخبر فيه بالحدث، بحيث يتلقاه المقصوص عليه وكأنه حدث سابق على وجوده. وسبقه قريب يثير انتباهه بشدة إلى شيء عظيم القدر، وهنا تصبح الوقائع لقربها منه وقائع يمكن الشعور بها. وان استحال عليه رؤيتها رأي العين.

نظرة متأنية

ونظرة متأنية على الماضي كما أضمر في القصة القرآنية التي ترينا كيف ان الماضي هو ماضٍ لمن سمع بوقائعها، لا بوصفه ماضيا للاحداث والوقائع، لأن الماضي قد جرد من صبغته الزمانية وتحول إلى زمان فيه استمرارية تجري حية في حاضر كل ملتق للقصة القرآنية. ولعل هذا يفسر لنا ما لوحظ منّ كون كل وقائع القصص لم تنسب إلى زمان بعينه، وانما نسبت إلى الماضي وحده، وذلك حتى يكون الماضي في خدمة الحدث، فاذا قيد الزمن أو حدد تحديدا يفقده عموميته، فقد الحدث قيمته كمرتكز جوهري للقصة، ومن ثم تفقد القصة أهم دعامة من دعائمها.

أما نسبة الحدث إلى المحدث أو الفاعل فهي نسبة تامة سواء ذكر معرفا باسمه، أو وصف بصفة اشتهر بها. أو عزى إلى قومه، أو نسب إلى مكان بعينه، فالنسبة إليه ظاهرة وصريحة، لأن الوقائع في روايات القرآن هي كما حدثت بالفعل، فيستحيل صرف النسبة الاحداثية إلى غير محدثها، ولكن المحدث أو الفاعل يرد ضمن سياق المنهج الرباني، ويرمي إلى غاية يتخطى فيها نسبة الحدث إليه، أي يتخطى خصوصية الاحداث، وينفذ بعمق في بنية الحدث، ولأجل هذا تجرد القصة القرآنية الفاعل من خصوصية أحداثه، والحدث نفسه من نسبته اليه.

ومهما يكن من أمر فأهمية الفاعل في القصة تكمن في كون المتلقي لوقائع القصة يصعب عليه تصور حدث بلا محدث، والمحدث يؤدي دوره في القصة من خلال صفته الانسانية، لينظر للحدث من منظور إنساني محض. ثم ليسقط بعد ذلك دوره الاحداثي ليبقى الحدث وحده معبرا عنه، لأن المقصود من المحدث أن يقف شاهدا على أفعاله. وفي الوقت نفسه يكون مثالا وأنموذجا على شاكلة المقصوص. وليس بعيدا عنه، وتصدر منه الحوادث كما تصدر منه هو، فاذا تحققت المثلية بلغ الحدث عنده حد المشاهدة العيانية.

والقصة القرآنية في إيرادها للأشخاص المحدثين لا تقصدهم من حيث ذواتهم المعينة في سياق الوقائع المعروفة. اذ يجرد ذلك التحديد الشخصية من سمة العمومية، وبالتالي يخرج وقائعها عن نطاق القصة لتلج بكل ثقلها الإحداثي في بنية التاريخ، وتدخل في نسيجه الذاتي لتكون جزءاً منه، ومن ثم تفقد خاصية المثال والانموذج بكل ما يحمله من قابلية التكرار والإعادة، فتجمد وقائعها في حدود ماضيها لا تكاد تبرحه أبداً.

يتضح من كل هذا أن القصة القرآنية تولي اهتماماً كبيرا للحدث حتى عد الحدث مناط القصة كلها، بل هو مقصودها أولا وأخيراً ولهذا السبب تجرد الحدث من عناصرها كلها، ليقف مستقلا بنفسه. له شخصيته المميزة، وكيانه الفريد، ليمتلك من وراء كل ذلك القابلية الآسرة للتكرار والاعادة في كل زمان ومكان، ولدى الناس جميعاً.

نعم إن أحداث القصة القرآنية ووقائعها مبهمة المكان والزمان ومبهمة الشخصيات، وكل ذلك لأجل تدعيم المنهج الرباني من جهة، ولكي تصبح جزءاً أصيلا من العقيدة، وكل منهما لازم للآخر، فلا القصص القرآنية منفصلة عن المنهج، ولا المنهج منفصل عن القصة، ولو انفصل كل منهما عن الآخر، واستقل منفردا بوجوده ليؤدي وظيفته بمعزل عن الآخر ــ كما هو الحال في قصص التوراة والانجيل ـ لما كان كل ما في القرآن من أخبار متتالية تأخذ شكل القصة ومعناها، بل كان تاريخيا لأحداث ووقائع ماضية ممعنة في القدم، والتاريخ مهما ترقى في توثيقه للأحداث، ومهما اتخذ من معان تقربه من جوهر القصة القرآنية، لا يمكنه تدعيم منهج رباني للناس أجمعين مهما اختلف زمانهم ومكانهم.

لكل هذا تميزت الأحداث في القصة القرآنية بقوة باطنية أشبه في خفائها بالروح، واشبه في وجودها بمظاهر الروح وصفاتها، هي التي اغدقت عليها

القصة القرآنية تولي اهتماما كبيرا للحدث حتى أصبح مناط القصة كلها.

صفة ومعنى الحياة، أو بتعبير أدق هي التي جعلتها حية لا تحمل القابلية للفناء ولا الجمود، فهي في حركة دائمة أوصلتها قمة كمالها المعرفي، فتميزت عن التاريخ وسائر الاخبار التي تقف عند حد الإعلام في سكون أشبه بالموت منه بالحياة.

استمدت أحداث القصة معنى من مصدرين:

أولهما: تصوير الحدث تصويرا لديه القوة على الايحاء النفسي، وذلك باختيار كلمات وعبارات ذات انغام متعددة، ومنبع ذلك ليس الكلمة أو العبارة ذاتها، وانما باطن النسق الذي تصاغ فيه العبارة بلا افتعال ولا تصنع.

فالطريقة التي تصاغ فيها العبارات تتفاوت في قوتها التعبيرية وفي إيقاعاتها وأنغامها، وتلك تختلف باختلاف الاحداث المصورة لها والوقائع التي ترويها، وهي تهدف من وراء ذلك لينسجم التعبير في صياغته اللفظية مع الحدث في صورته الفعلية، ليثير في القلب معنى لا يقف عند إفادته معرفة وعلما. بل يتعداه ليثير معنى حيا يتجسد فيه الحدث تجسدا يصغي فيه القلب إلى حركته الاحداثية إلى حد يشاهده أمامه وكما وقع بالفعل.

استمع إلى هذه العبارة في حروفها وشكلها، وفي طريقة وصفها، وما يتدفق من داخلها من نغم وهي تصور نهاية الطوفان في قصة نوح عليه السلام تصويراً يدفع بالواحد للتجاوب مع ذلك الحدث الرهيب، وكأنه يحدث ويجري أمامه، وكله من خلال كلمات وألفاظ مألوفة ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر﴾ [هود/٤٤]، وأيضا قوله تعالى: ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية. سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾ [الحاقة/٦و٧].

وثانيهما: وصف الاحداث والوقائع بنبرة قصصية، بحيث تجعل كل شيء يتحرك بسهولة ويسر، ابتداء من إيقاع الحياة البطيء حتى انفعالات البشر المنبعثة من نفوسهم والمسوقة مع جريان الأحداث، فتبدو الحياة أمامنا مفعمة بالحركة والبساطة، يقول تعالى: ﴿وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحاً لعلي ابلغ الأسباب. أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب. وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد. يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار﴾ [غافر/٣٦-٣٩].

إن الحيوية التي يعطيها الوصف لاحداث القصة تتجاوز دائرة الصور الذهنية المتخطية للأحداث، وتنقل المستمع إلى حيث جرت الاحداث ونفذت الوقائع، فتعطيه يقينا بأن ما يتحرك أمامه شيء يراه بعينيه ويسمعه بأذنيه، ويشعر به شعورا مباشرا، أي ما يجري أمامه حياة وليس قصة عن الحياة أو وصفا لها.

بهذين المصدرين تصل أحداث القصة إلى قوى الانسان العقلية فتتحول من حيث هي أخبار عادية لوقائع ماضية إلى إدراك يتغلغل في صميم القلب والنفس فيسكن هناك كتجربة ذاتية خاصة لا تكاد تنفك عنه. فيحس من جرائها بسعة في التفكير، ونظرة عميقة للحياة والاحياء، فكأن القصة قد رمت لنقل القارىء أو المقصوص عليه من معنى الخبر في إفادته المعرفية المجردة إلى الشعور بها شعورا وجدانياً، متجاوزة في نقلتها تلك العقل والذهن لتطبع في النفس صورة الحدث كما وقع بالفعل، عندها لا يزول من النفس ما طبع فيها من أحداث، ويبقى فيها ما بقي في النفس من نبض الحياة ■

النبأ خبر له فائدة عظيمة وشأن كبير يحصل به علم ولا يكون إلا للإخبار بما لا يعلمه المخبر.

الهوامش

١- الحدث المعني بالذكر هو ما يقوم بالفاعل، وهو المعنى المصدري كالضرب والقيام وغيرها من المعاني، لأن الحدث هو الشيء بعد أن لم يكن، والمراد بقيام المعنى اتصاف فاعله به، وهو الفعل الذي هو كناية عن حركة أو عمل الانسان، ومعنى العمل قريب في المعنى من معنى الفعل، إلا أن العمل يطلق على الفعل الذي يكون من العاقل بفكر وروية، ويحتاج إلى امتداد زمان بخلاف الفعل الذي يتم دفعة واحدة من غير بطء. ولهذا قرن العمل بالعلم.

والفعل يعم كل معنى صادر عن ذات، فيطلق على ماكان بإجادة أو بغير اجادة، وما كان بعلم أو بغير علم، وماكان بقصد أو غير قصد، وماكان من الانسان أو الحيوان أو الجماد، ولأجل هذه العمومية اعتبر الفعل موضوعا لحدث ولمن يقوم به ذلك الحدث في زمان معين، ونسبة تامة بينهما.

٢- معجم مفردات ألفاظ القرآن ـ الراغب الاصفهاني ص٤١٩، وأيضا معجم مقاييس اللغة جـ(٥) ابن فارس ص١١.

٣- معجم مقاييس اللغة جـ(٥) ابن فارس ص١١.

٤- الفروق في اللغة ـ أبو هلال العسكري ص٣٠.

٥- معجم مفردات ألفاظ القرآن ـ الراغب الاصفهاني ص١٤٢.

٦- المصدر السابق ص٥ وأيضا الفروق في اللغة ـ أبو هلال العسكري ص٢٩.

العالم الإسلامي وشروط النهضة

كما يراها مالك بن نبي

أ.د. محمد عبد الستار نصار - كلية الشريعة - جامعة قطر

الإسلام ليس ديناً مرحلياً انما جاء ليمثل الاتصال بين السماء والارض لتبليغ رسالة من رسالات الله للعالمين

الكتابة عن الاسلام قد تأخذ شكلا تقريريا مُضياً استعراضيا، دون ان يكون له ادنى صلة بواقع المسلمين، وقد يفرض وجود هذا الشكل مبررات يدعي اصحابها ان مخالفتها منافية للمنهج العلمي، لعل اشهر هذه التبريرات دعوى الاكاديمية والمنهجية وفي تقديري ان الكتابة عن الاسلام مهما تعددت اشكالها، اذا لم تجمع بين ماهو ممضوٌعليه والواقعية والمستقبلية، على اي مستوى يكون ذلك الجمع، فانها تغدو بعيدة عن المطامح التي ينبغي ان تكون لدى من يكتب عن الاسلام بصدق.

ان الاسلام ليس دينا مرحليا، ليمثل اتصال السماء بالارض لتبليغ رسالة من رسالات الله تعالى في حقبة معينة من التاريخ، او لواقع جغرافي خاص، انه دين الله للعالمين وعالميته هذه تشمل النطاقين: الزماني والمكاني معا، وهذا يعني: ان عطاءه موصول، وحقيقته خالدة، من ثم ينبغي التعامل معه على انه منهج الله، الذي جاء لتنتظم به الحياة منذ نزول الوحي المعصوم وحتى تقوم الساعة

ودور العقل المسلم الواعي، انما يتجلى في كيفية التعامل مع مصدر هذا الدين: الكتاب والسنة، لتحكم بهما حركة الحياة، حتى يظل الحق متمثلا في قوانين الله سبحانه واحكامه التي احتواها كتابه الكريم، وسنة رسوله العظيم، وماتستلهمه العقلية المسلمة المجتهدة من هذين المصدرين، فتسقط بذلك الحجة على الجاحدين.

واذا كان هذا المعنى قد وعاه المسلمون في مراحل تاريخهم الزاهرة، وكان هذا الازدهار والتقدم الذي شهده تاريخهم عبر مراحله، يرجع اساسا الى ذلك (الوعي) فان النتيجة المنطقية لذلك.انه متى خبا ذلك الوعي أو زال، كان هذا عاملا حاسما في انحسار المد الاسلامي، وضعف دولة الاسلام، وبالضرورة تخليها عن الصدارة والقيادة. وهذا ماتم فعلا بالنسبة للحضارة الاسلامية في يوم الناس هذا، اذ لقيام الحضارات وبقائها، او سقوطها اسباب موضوعية، تشكل سننا ثابتة لاتتحول ولاتتغير، لأن الوجود كله قد قام على قانون الاسباب والمسببات، وحتى يتأكد في ضوء هذه الحقيقة، دور الانسان في صناعة الحضارة وازدهارها، او هبوطها وسقوطها.

والامة الاسلامية في ضوء هذا المعيار، ليست بدعا بين الامم، لاسيما وان المسؤولية الانسانية واضحة جلية في تعاليم كتابها وسنة نبيها، من ثم كان صعودها الحضاري امرا له اسبابه وبواعثه، كما ان أفول نجمها كان كذلك اطراد لسنن الله في الكون والحياة.

واذا وقفنا وجها لوجه امام واقعنا الذي نحياه لنشخص الداء ونصف الدواء، فليس امامنا الا الرجوع للشروط والاسباب التي جعلها الله سبحانه وتعالى مناطا لقيام الحضارة والنهضة، من ثم يكون امام الناظر سنن موضوعية لاتقبل الاستثناء، وواقع تاريخي يكون قدره من الايجابية او السلبية بقدر تعامله مع تلك السنن.

ان هذا المعنى العظيم الذي تلخصه الآية القرانية الكريمة: ﴿ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم﴾ [الرعد:١١] قد استلهمه كثير من المصلحين في امتنا على امتداد تاريخها، كل عالج المشكلة من زاويته الخاصة: الاشعري، الغزالي، ابن تيمية، ابن خلدون، ابن عبد الوهاب، ابن باديس، جمال الافغاني، محمد عبده، محمد اقبال، واخيراً المفكر الاسلامي مالك بن نبي الذي استوحينا من كتابه شروط النهضة عنوان هذا المقال.

شروط النهضة
كما يراها مالك بن نبي:

وقبل ان امضي في بيان هذه الشروط أريد أن أقول: ان كتابات ذلك المفكر الممتاز تتسم ببعض الخصائص التي قد لاتتوافر لدى سواه، منها: عمق التحليل، دقة الاستنتاج، شمولية النظرة، غزارة التجربة التي عاناها من جراء إلمامه الواسع والعميق بثقافة العصر، وسعة الفجوة بين الواقع الاسلامي، والنمط الحضاري الذي تحياه امم الغرب في يوم الناس هذا، ولايعني هذا ان الرجل متفائل بالنسبة لذلك النمط كي يحل مشاكل انسان العصر، كما انه - كذلك- غير

متشائم بالنسبة لواقع المسلمين، انه هنا يضع ايدينا على الامكانات التي يمكن بها، ان يأخذ العالم الاسلامي طريقه نحو النهوض، كما كان ذلك من قبل، واذا كان المسلمون قد اصابهم نوع من الغفلة عن اسباب وشروط النهوض، فليس من قبيل المستحيل ان يستيقظوا من غفلة وان يثبوا من رقاد، ليعيدوا النظر فيما بين ايديهم من عوامل واسباب، هي نفسها التي جعلتهم في عدة قرون اصحاب السبق والقيادة على المسرح الحضاري والانساني.

انه يتخذ من الحديث عن دور الابطال في التاريخ وكذلك في السياسة، والفكرة الوثنية مدخلا الى التركيز على تلك المقولة التاريخية، المستوحاة من كتاب الله تعالى (غير نفسك يتغير التاريخ) ثم يشير في عمق الى الفرق الواضح بين مايمكن ان يسمى (ترقيعا) وبين الاصلاح بمعناه الحقيقي الشامل، لا سيما في المرحلة الاخيرة من تاريخ امتنا، ان المصلحين الذين ظهروا في تلك المرحلة، كانوا يتعاملون مع ظاهرة الانحطاط والتخلف في العالم الاسلامي من وجهات النظر الخاصة، التي تكونت لدى كل منهم، حتى ظهر اصلاحهم اشبه مايكون بعلاج لاعراض الامراض دون معرفة اسبابها الحقيقية، فجمال الدين الافغاني ينادي بالإصلاح السياسي، ومحمد عبده يقول بالاصلاح الاجتماعي، والعقيدة الدينية هي المدخل لهذا الاصلاح، وقد فات كل منهما ان الخلل الذي اصاب الامة سياسيا واجتماعيا انما يرجع اساسا الى اسباب انهزامها نفسيا وداخليا، ولعل هذا هو السر في ان هذه الحركات الاصلاحية لم تؤت الثمار التي كانت ترجى منها، ويمكن ان يقاس عليها كل ماسبقها ومالحقها من حركات.

ان شروط النهضة في نظر (مالك بن نبي) ترتكز على مقومات ثلاثة تشكل ماينبغي ان يكون لاحداث التغيير في العالم الاسلامي:

أولها: الانسان.

ثانيها: المادة.

ثالثها: الزمن.

واذا كانت الحضارة ناتجا لوجود هذه المقومات الثلاثة، فهل يعني ذلك: وجودها التلقائي عندما تتوافر هذه المقومات أو تلك العناصر؟ ان العملية في رأي مالك بن نبي ليست عملية تكديس لعناصر لافاعلية بينها، حيث لاقيمة لوجودها مع غياب تلك الفاعلية، وانما تعد الحضارة ناتجا طبيعيا لوجود تلك العناصر في حالة واحدة فقط، وهي وجودها على شكل يجعل التناسق والتناغم والفاعلية بينها صحيحا، ان القرآن الكريم- وكذا التاريخ- يحدثنا عن حضارات سادت ثم بادت، ولم يكن انسحابها من مسرح التاريخ امراً عفويا، بل يرجع الى فقدان الفاعلية بين تلك العناصر، اذ الحقيقة انه لاقيمة لوجود المواد التي بها تصنع الحضارة، مهما بلغ شأنها من الكثرة والتنوع وعلو الشأن، ووجود الوقت الكافي لاستغلالها في ظل حياة انسانية خاملة، لاطموح لها ولاغاية تشدها اليها، انه على الرغم من كون هذه العناصر الثلاثة تشكل مثلث النهضة، الا ان عنصرها الاول - الانسان- هو العنصر الفاعل في تلك القضية، من ثم نلحظ ان القرآن الكريم قد ادار الحديث حوله وله، وحين لفت الانظار الى الكون بجميع معطياته. فانما أراد بذلك حقيقتين بارزتين:

اولاهما: ابراز الكون في شكل متسق ليكون آية دالة على وجود خالقه جل وعلا، فيزداد الناظر اليه بصرا بحقيقة موجده، وهو الحق تبارك وتعالى، ومتى كان الأمر هكذا كان ايمانه قائما على الوعي والاختيار.

ثانيهما: ان هذا الكون بكل تنوعاته وتشكيلاته مسخر لحياة الانسان، حتى يرقى الى الغاية التي يمكن ان تصل اليها، والممتدة الى اقصى حدود الامتداد في ظل الايمان الصحيح بمواهب هذا الكون ومسخره. ان القرآن الكريم قد جعل استغلال الطاقات الكونية التي تشد الحياة الى أعلا الآفاق وأسماها، أمرا واجب الاتباع، فقد جاءت بعض آياته بهذا الوضوح مثل قوله تعالى:﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور﴾ [الملك:١٥] وقوله: ﴿فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ [الجمعة:١٠].

ومما لاشك فيه ان الاحكام الالهية التي جاء بها الاسلام بدءا من اقصى احكام الاعتقاد، ومرورا بأحكام الحلال والحرام والواجب والمسنون والمستحب والمكروه، ووصولا الى انواع المباحات، انما كانت كلها ضوابط تنظم حركة الانسان في الحياة، حتى يظل انسانا سويا، وفي حالة اعراضه وجنوحه يكون مسؤولا عن ذلك مسؤولية تامة، ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيا من حى عن بيّنة، وهكذا تكون الحياة الانسانية في صورتها الصحيحة، وفي هذا محاربة للجهل بحقائق هذا الدين، والاهتداء الى الحكم التي تنطوي عليها التكاليف الشرعية في حدود الطاقة الانسانية.

ومما لاشك فيه كذلك ان استغلال طاقات الكون المأمور بها في القرآن الكريم على الوجه الذي بيناه، ينطوي على قانون لازم لذلك الاستغلال يمكن ترجمته على هذا الشكل: اذا كان استغلال الطاقات الكونية أمرا واجبا حتى ترقى الحياة بذلك، فعلى الانسان أن يدأب في الكشف عن الاسباب التي تمكنه من هذا الاستغلال، وفي هذا محاربة للجهل بحقائق الاشياء وخصائصها ومانتطوي عليه من سنن تحكمها ينبغي معرفتها بطريقة علمية صحيحة.

في ضوء هذا التوجيه يكون الزمن- وهو العنصر الثالث- وعاء آنيا لفاعلية الانسان مع الكون والحياة، وبهذا يتخطى الانسان مرحلة التكديس الى مرحلة البناء، وعمارة

الاحكام الالهية التي جاء بها الاسلام كلها ضوابط تنظم حركة الانسان في الحياة

هذا الكون على الوجه الذي يريده الحق تبارك وتعالى، ان مسؤولية الانسان عن ذاته وفاعليته ومسؤوليته عما استودع الله في الكون من طاقات على وجه تعمر به الحياة بكل انواع الخير، وكذا مسؤوليته عن وقته مسألة أخلاقية ودينية معا، انها تلازمه في حياته، وسيسأل عنها يوم القيامة، ولن تزول قدمه حتى يجيب على تلك الاسئلة الحاسمة: عمره- شبابه- علمه- ماله: من أين اكتسبه وفيم انفقه.

معامل الاستعمار والقابلية:

لاينكر (مالك بن نبي) الآثار السيئة التي احدثها الاستعمار في العالم الاسلامي، ولكنه في نفس الوقت يعترف بأنه ايقظ شعور المسلمين نحو التخلص منه، وقد كانت الجزائر ومصر وسوريا والهند من اظهر البلاد التي قامت فيها حركات تناوىء الاستعمار بالتحرر، ولكن المسألة الهامة التي ركز عليها كثيرا -وقد كان له الحق كل الحق فيما ذهب اليه -هي ان الاستعمار لو لم يجد امامه نفوسا قابلة لوجوده لما امكنه ان يحتل بلادنا ويتصرف في مقدراتنا، ومن ثم كان على الذين يعلقون كثيرا، على الاسباب الخارجية لتأخر العالم الاسلامي- والاستعمار هو اظهر هذه الاسباب- ان يراجعوا انفسهم، ان الخلل النفسي الذي اصاب المسلمين بالضعف، والانهزام الداخلي هو الذي مكّن الاستعمار من رقابهم واراضيهم، والمسألة في نهايتها ترجع الى هذا السبب وحده، وهذا كلام اشار الى مثله العلامة ابو الحسن الندوي في كتابه الممتاز (اذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) فقال: فالقرآن وسيرة محمد ﷺ، قوتان عظيمتان تستطيعان ان تشعلا في العالم الاسلامي نار الحماسة والايمان وتحدثا في كل وقت ثورة عظيمة على العصر الجاهلي وتجعلا من أمة منخذلة ناعسة، امة فتية ملتهبة حماسة وغيرة وحنقا على الجاهلية، وسخطا على النظم الجائرة.. ان وجدا الى تلك النفوس سبيلا (وهذا يعني ان مايعتري الجماعة الاسلامية من ضعف في مظهرهم الحضاري، الذي يمكن اعداءهم منهم، انما يرجع اساسا الى فتور الايمان في نفوسهم والحمية الدينية في قلوبهم.

نظرة الى المستقبل:

ان نظرة المسلم الى الماضي، انما ينبغي ان تكون للعبرة والدرس، وما ساق القرآن الكريم قصص السابقين الا لهذه المهمة الواضحة: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ [يوسف:١١١] اعتبارا بالايجابيات والسلبيات على السواء، اذ ليس تاريخ الاسلام تاريخ قديسيين، ولكنه تاريخ بشر، يصيبون ويخطئون، ومن المهم جدا ان تتضح امام جيلنا اسباب الانتصارات التي حققتها الحضارة الاسلامية على مسرح التاريخ، واسباب الهزائم التي جعلتها تتراجع، وهذا التراجع ليس مستحيل العودة، طالما ان الاسلام هو المثل الحقيقي لمنهج تلك الحضارة وهو الدين الخاتم الخالد وكتابه محفوظ بحفظ الله له، واذا كان المسلمون قد تمثلوه في الماضي على حقيقته تمثلا صادقا فأداهم الى ان يكونوا صانعي احدى الحضارات الكبرى التي سجلها التاريخ، فانهم اليوم في مقدروهم ان ينهضوا من كبوتهم، بما يملكون من تلك الطاقات: الانسان الذي يتمثل الاسلام في ثوابته ومتغيراته مع عدم اغفال منجزات العصر، والمادة التي تشكل قدرا هائلا في العالم الاسلامي، والزمن، الذي يشهد فاعلية الانسان مع هذه المادة، ينسق هذا كله دين صحيح.

ان من الواجب- كما يقول مالك بن نبي- الا توقفنا اخطاؤنا عن السير حثيثا نحو الحضارة الاصيلة، فان الحياة تدعونا ان نسير دائما الى الامام، -بحيث يكون- سيرا عقليا روحيا، يري الناس من ان الحضارة بالمعنى الصحيح، ليست اجزاء مبعثرة ملفقة، ولامظاهر خلابة، بل انها جوهر ينتظم جميع اشياء الحياة وافكارها، روحها ومظاهرها،انها قطب يتجه نحو تاريخ الانسانية، وان قضيتنا منوطة بذلك التركيب، الذي من شأنه ازالة التناقضات والمفارقات المنتشرة في مجتمعاتنا اليوم، وذلك بتخطيط ثقافة كاملة، تغذي كل ملكات الانسان المسلم ومستوياته، حتى يستقيم للأنفس استقرارها وتوازنها وانسجامها.

-وبعد-

فهل لتلك النداءات الحية المشرقة، والمليئة بكل القيم العليا، التي شكلها الاسلام من آذان تسمع وأعين تبصر وقلوب تعي وتخشع، وعقول تتأمل وتتدبر، بعد ان طال ليل امتنا؟ ﴿ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ [ق:٣٧].

وكأني بالمفكر المسلم (مالك بن نبي) يستنكر موقف أولئك الماضين الذين يرضون لمواقفهم من الحضارة ان تكون اجترارا لحضارة الاسلام في عصورها الزاهية، انهم في هذا يفتخرون بماض صنعه اسلافهم، ولكن أين دورهم وأين مكانتهم، وكأنه يستشعر ذلك المعنى العظيم الذي استوعبه الشاعر العربي حين قال:

لسنا وان كرمت أوائلنا
يوما على الأحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا
نبني ونفعل مثلما فعلوا

ان موكب التاريخ لايتوقف للكسالى، الذين عطلوا مواهبهم بأيديهم، ورضوا بأن يكونوا في ذيله أو على هامشه، في الوقت الذي يملكون فيه كل مؤهلات الريادة والقيادة، لقد انشد هذا المعنى الرائع، الشاعر التونسي (أبو القاسم الشابي) فقال:

ألا انهض وسر في سبيل الحياة
فمن نام لم تنتظره الحياة

نظرة المسلم الى الماضي لابد أن تكون للعبرة والعظة والدرس

فن الحــوار

بقلم د. خالص جلبي

الحوار يتكامل طرفه مع مقابله، في مركب جديد متطور، متفوق على كل من المركبين السابقين، وفي الصدام يلغي كل طرف الآخر، ليموت الاثنان في النهاية، لأنه في اللحظة التي يلغي فيها أحد الأطراف الطرف الآخر يكون قد حكم على نفسه بالإلغاء. فالحوار هو آلية نجاة الجميع. لأنه وثيقة الاعتراف المتبادل بالوجود الذي أسبغه الله على الجميع. يروى في حوار جرى بين اثنين أن أحدهما قال للآخر: هل لك في الحوار؟ فقال: على عشرة شروط!! قال وماهي؟ قال: ألا تغضب، ولا تعجب، ولا تشغب، ولا تحكم، ولا تقبل على غيري وأنا أكلمك، ولا تجعل الدعوى دليلاً، ولا تجوز لنفسك تأويل آية على مذهبك، إلا جوزت لي تأويل مثلها على مذهبي، وعلى أن تؤثر التصادق، وتنقاد للتعارف، وعلى أن كلاً منا يبغي من مناظرته، أن يكون الحق ضالته والرشد غايته!!(١)

دخل علي صديقي التركي (عاصم) مع طفله الصغير، الذي أعجبته مكتبتي، فانطلق في هذا العالم الجديد يكتشف؟! إلا أنه سرعان ما عاد إلى منعكسات اللجم التي عُوّد عليها، فكانت والدته لا تنطق إلا بلفظ لا تلمس وممنوع!! المهم كان حرف (لا) المقدس يتكرر كالمطرقة على رأس الصبي المذهول، وبقي الطفل يتأرجح بين كلمات اللجم، والقانون الميمي الثلاثي (ما يصير. ممنوع. مافي) ونظرات التخويف، وبعض من صفعات والده التربوية!! وأردت أن أقوم بتجربة صغيرة مع هذا الطفل، فبدأت في (حواره)، وكان دوري أن أعلمه (أسماء الأشياء) (٢)، فبدأ الطفل وتجرأ في (نطق) ولكنني أدركت أن هذا الطفل (الصفحة البيضاء) التي يتشكل فيها (نقشنا) بقدر الجهد المبذول.

والإنسان في الواقع كمعادلة ليس أكثر من وضع صيرورة، ومحصلة تراكمية بطيئة للحظات الجهد الواعي خلال وحدات الزمن التي مرت قبل كل لحظة جديدة، وهذا التراكم لا يتوقف إلا بالموت، فالموت هو توقف الصيرورة، وإن كان كثير من الناس أمواتاً وهم محسوبون من الأحياء.

هذه الواقعة السابقة أثارت في ذهني بعض الذكريات في الوسط الألماني الذي عشت فيه فترة طويلة، وطريقة المرأة الألمانية في معالجة طفلها اليومي. كنت أتأملها وهي تعطيه كل الوقت، تنمي عقله، بـ(احترام السؤال) وتشجيع (الحوار) وطرد شبح الخوف منه، وجرأة (النقد والنقد المضاد) والتعبير عن وجهة النظر أمام الملأ من دون وجل أو اضطراب، جنباً إلى جنب، مع العناية بغذائه ونظافته وحمامه اليومي، وتشكيل السلوك عنده في عدم إلقاء شيء على الأرض، أو عدم إخراج الأصوات من فمه أثناء ارتشاف الشوربة أو الشاي. وأدركت أن الطفل في مجتمعنا ينبت وقد اغتيلت عنده مجموعة من الصفات النفسية الإيجابية، لعل أبرزها (روح الدهشة) في تأمل العالم، وبكسب العادات العقلية الجديدة هذه، ينشأ الطفل ليس على الإنطلاق وحب اكتشاف المجهول، بل على السلبية والجمود والخوف والتقليد الأعمى.

فكرة الزوجية

إن الزوجية هي القاعدة الأولى التي ينطلق منها الوجود المخلوق عداه سبحانه وتعالى فكل شيء من الأناسي والحيوان والثمار و(الأفكار) خلق زوجين وليس فرداً، وبغرض التزاوج ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ [الذاريات ٩] فالإنسان يولد من زوجين أب وأم، كذلك الحيوان والنبات، وكذلك الأفكار، فكل فكرة هي مولود من أب وأم، وفروع وأصول... وتزاوج فكرتين يخصب العلاقة بذرية جديدة صحيحة البنية، ولكن مع هذا قد يحدث زواج ولا يحصل الإنجاب، بفعل عقم أحد أو كلا طرفي العلاقة.

إذا فشلت العلاقة الجنسية فشل الزواج في الغالب، ولكن إذا نجحت فإنه لا يعني أن الحياة الزوجية في مركب استقرار، بل لابد من الشرط الكامل (الجامع والمانع) (المودة والرحمة)، فحتى يأتي الأطفال إلى الدنيا لابد من زواج بين رجل وامرأة، وحتى يرى الحيوان ذريته من أي نوع، لابد من زواج ذكر بأنثاه، وحتى تنمو ثمار النبات، لابد من اللقاح والزوجية، فـ(ولادة) البشر و(تكاثر) الحيوان، و(إثمار) النبات، يتوقف كله على التلاقح والزوجية. فالزوجية هي: «أس الكون وأساس الوجود المخلوق عداه سبحانه وتعالى». هذا القانون ينطبق أيضاً على الأفكار، باعتبارها وحدات مخلوقة. وتعبير القرآن (من كل شيء) يجعل القاعدة تعم المخلوقات كلها، فتدخل دنيا الأفكار تحت هذه القاعدة،

العلاقة الزوجية إذا فشلت فشل الزواج وإذا نجحت نجح الزواج وعم الاستقرار

باعتبار أن كل فكرة هي (مخلوقة) من مخلوقات الله، فكما أن كل شيء مخلوق، كذلك فهو خاضع لقاعدة الزوجية... ولا تشذ الأفكار عن هذه القاعدة، ففكرة (١) عندما تتزاوج مع فكرة (ب) يتولد منهما فكرة (ج)، وكما أن كل إنسان له أب وأم، كذلك فكل فكرة لها آباؤها وأبناؤها بل وأحفادها، وكما كان للبشر أبناء وحفدة كذلك كان للأفكار ذرية صالحة وطالحة، كذلك تبادل الأفكار واللقاء والبحث. مع هذا فإنه ليس كل الأزواج عندهم ذرية واجتماع جاهلين هو اجتماع عقيمين، والعقيم من طرف واحد يسبب عدم الانجاب فكيف إذا كان من الطرفين؟!...

إلا أن علاقات الأفكار في تزاوجها تخضع للقوانين التالية (بعضها على الأقل):

١ـ تقول الفكرة الأولى: فكرة كائن حي، بمعنى أنه يحمل صفتي (الحركة والتكاثر) وهكذا فالفكرة تحمل في ذاتها قدرة الاندفاع الذاتية، لذا يجب علينا أن لا نزهد بأي فكرة ندلي بها في أي وسط إنساني واع. والقرآن اعتبر الكلمة الطيبة كائناً حياً (كشجرة طيبة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها).

٢ـ وتقول الفكرة الثانية: هناك في عالم الأفكار قانون (النمو أو الفناء الذاتي) فالفكرة السيئة فيها خلل كروموزومي، يقودها إلى وضع سرطاني فتنمو بشكل شاذ، مما يؤدي بها في النهاية إلى حتفها (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة). خلافاً للفكرة الجيدة التي فيها صفتا (الخيرية والديمومة).

٣ـ وتقول الفكرة الثالثة: اعتبر القرآن أن العاقبة هي للأفكار الصالحة فهي التي ستبقى في حين أن بقية الأفكار السيئة تمتاز بالجزئية وعدم الصمود مع عنصر الزمن (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) [الرعد/١٧]، وهكذا سقطت الشيوعية ومضت الفاشية وانقرضت النازية. فهو قانون تاريخي صارم.

وتقول الفكرة الرابعة: إن الكون يقوم على مبدأ التعددية فالجبال مختلف ألوانها، والألسنة متعددة، والشعوب متباينة، والأفكار متضاربة، وهذه القاعدة متأصلة في الوجود، وعلى أساسه تمت برمجته (ولذلك خلقهم) فهو جل جلاله خلقهم مختلفين حتى تبقى الحياة في حالة صحية ونمو ويقظة.

وكما أن العقم ليس حالة مستعصية وثبت علمياً أنه يمكن معالجة العقم كي يصبح منتجاً. كذلك العقول والأفكار واللقاءات. قد يحصل اجتماع معها، وتبادل آراء بين العقماء، ولكنه من نوع تبادل الجهل، وكثير من الاجتماعات هي في الواقع إما في صورة (مجاملات) أو إذا حصل خلاف في الرأي حدث (نزاع) فكثير من الناس في لقاءاتهم على الانعكاس على أحد طرفي علاقة مشؤومة هي (مجاملات ـ منازعات) وبذلك يتعطل الجهد العقلي في هذا اللقاء فلا يثمر. إن جو المجاملة في البحث يعني بكلمة أخرى التهرب والالتفاف حول الموضوع، والاحتفاظ بالخنادق الفكرية، وبذلك لا تتعرض الأفكار للتجلية والتمحيص، وبالتالي النمو والبللورة، فهو تهرب لبق من البحث تحت ضغط فكرة: إن البحث سيقودنا إلى النزاع واختلاف القلوب، ولذا حفاظا على علاقاتنا الشخصية يجب أن نتجنب البحث الجدي والحوار الفعال.

والكثير لا يتصور خلاف الرأي إلا في صورة (النزاع) وإذا حصل النزاع حصل تبادل الجهل، وارتفعت الأصوات، وعم الصخب، وتفشت المهاترة، لذا كان من الأفضل في مثل هذه الأجواء أن يتوقف العقل عن المتابعة لأن العتبة العقلية تتوقف هنا، وتبدأ عتبة الحنجرة والحبال الصوتية!!.. وجرت سنة الله في خلقه أن رفع الصوت في مثل هذا الجو، يتماشى بشكل طردي مع ضعف الحجة، فكما يلجأ البعض إلى ثخانة الصوت وذبذبات الحبال الصوتية، كتعويض عن عمق الحجة وقوة البرهان، فإن آخرين قد يلجؤون إلى رفع العصا أو فوهة البندقية، بل وحتى سبطانة المدفع والرأس النووي الموجه؟!

وفي البلاد المتخلفة توقف العقل عن العمل منذ فترة طويلة، فهو في إجازة مفتوحة حتى إشعار آخر، وعندما ينطق العقل، فعليه أن يقول قولاً لا يوقظ نائما ولا يزعج مستيقظاً؟! فلا يرحب بمقلقي (النوم العام)، ذلك أن حركة العقل خطرة أكثر من الانشطار النووي «وما يستوي الأعمى والبصير. ولا الظلمات ولا النور. ولا الظل ولا الحرور. وما يستوي الأحياء ولا الأموات» [١٩ ـ ٢٢/ فاطر].

وكما أن الحوار وتبادل الآراء هو زوجية الفكر فإن (الصممية) هي عقم هذا الجو. والصمم أنواع: "فقد يكون لغوياً، وقد يكون ثقافياً. فكما أن الحروف لها شفيرتها الخاصة بها، لكل حرف وكلمة في الدماغ، ولكل لغة، كذلك هو في عالم الأفكار. فإذا اجتمع مثلاً من يؤمن بمادية التاريخ وفائض القيمة وآلية وسائل الإنتاج، مع آخر قضى عمره في دراسة النحو والصرف والمعلقات الشعرية فقط، فإنّ ما يحدث بينهما سيكون عجباً، ليس لأن الحروف والكلمات غير مفهومة، بل لأن موجة الحديث كلها متباينة، كما في جهاز« الراديو» عندما يوضع على الموجة القصيرة والبث على الموجة المتوسطة (٣).

العقل على مفترق الطرق:

أحسن الفيلسوف الفرنسي (ديكارت) حينما اعتبر أن أفضل الأشياء توزعاً بين الناس وبالتساوي هو العقل، لأن كل فرد يعتقد أنه أوتي منه الكفاية، فلا يريد المزيد ولا التغيير، وعندما ينظر الإنسان إلى نفسه في المرآة فقد يشتهي أن يجعل أنفه أصغر، أو شفتيه أكثر حمرة، أو جسده أكثر رشاقة، أو قامته أكثر طولاً، ولكنه لا يفكر للحظة واحدة أن يجعل عقله أفضل بناء، وأكثر نضجاً، وأحسن توجيهاً فعنده شعور الإطمئنان لهذا الجانب، أكثر من اطمئنان التماسيح وهي تتشمس على شطآن الأنهار!!

ويصل ديكارت إلى تقرير حقيقة على غاية من الأهمية.

يقول ديكارت: «إن قوة الإصابة في الحكم وتمييز الحق من الباطل يشهد

القرآن اعتبر أن العاقبة هي للأفكار الصالحة التي ستبقى

البلاد المتخلفة توقف العقل عن العمل وتجعله في إجازة مفتوحة حتى اشعار آخر

بأن اختلاف آرائنا لا ينشأ من أن البعض أعقل من البعض الآخر، وإنما ينشأ من أننا نوجه أفكارنا في طرق مختلفة، ولا ينظر كل منا في نفس ما ينظر إليه الآخر، لأنه لا يكفي أن يكون للمرء عقل بل المهم هو أن يحسن استخدامه، وإن أكبر النفوس مستعدة لأكبر الرذائل مثل استعدادها لأكبر الفضائل» (٤).

وإذا كان الأمر بهذا الأهمية فيمكن وضع قاعدتين عقليتين مهمتين في الحوار والبحث، تتولد منهما نتائج في غاية الخطورة في أرض الواقع، سلباً وإيجاباً حسب الزحزحة العقلية.

١ـ القاعدة الأولى تقول: في أي حوار عقلي اعتبر أن ما عندي صحيحاً ويحتمل الخطأ، وما عند الآخر خطأ ويحتمل أن يكون صحيحاً.

٢ـ وتقول القاعدة الثانية: وهي «آلية الفيلسوف الألماني ليسنغ» (٥) إن الرغبة إلى البحث أهم من امتلاك الحقيقة، لأن امتلاك الحقيقة الحقيقية المطلقة إدعاء، وخدعة، وتعطيل للجهد الإنساني، وغير ممكنة لأنها ملك لله وحده فقط. فالعقل بين احتكار تفسير النصوص، أو تشغيله لفهم النصوص، فالأول يقع في مغالطة أن فهمه للنص يساوي النص، والثاني يتحرر بإدراكه أن فهمه للنص هو (كم) أقل من النص دوماً — وإلا أصبح هو النص ـ ويتناهى إلى الصفر، لا بل قد ينقلب تحت خط الصفر فيصبح سلباً، كما حصل للخوارج في التاريخ الذين قتلوا المسلمين وأبقوا على المشركين.

يقول ليسنغ: «لو أخذ الله الحقيقة المطلقة في يمناه والشوق الخالد للبحث عن هذه الحقيقة في يسراه، ومعها الخطأ لزام لي، وسألني أن أختار، إذنا لجثوت ذليلاً عند يسراه بكل تواضع، ثم قلت يا رب: بل أعطني الرغبة في البحث، لأن الحقيقة المطلقة لك وحدك».

والآن ما النتائج المترتبة على العقليتين والتفكيرين؟؟

هذا التحليل يترتب عليه نتائج خطيرة، فطالما رأت العقلية أن هناك هامشاً للخطأ والصواب في الفكر الذي تحمله، فإنها تميل إلى المراجعة والنقد الذاتي، وبالتالي تفتح المجال أمام تصحيح الأخطاء والنمو والنضج، في حين تنبع من العقلية الثانية نتائج مختلفة تماماً، فطالما امتلكت (الحقيقة النهائية) فهذا يعني وبشكل آلي، أنه ليس هناك هامش للخطأ، بل كل ما عندها صواب، وهذا يعني بالتالي أن لا حاجة للمراجعة، وبالتالي لا داعي لتصحيح الأخطاء إذ لا أخطاء، وكيف يخطىء من هو مقدس؟

إذن لا نمو ولا نضج، أي (لا حياة) وبذلك يستل نور الحياة تدريجيا من هذه العقلية فتنتقل بالتالي إلى مرحلة توقف نبض الحياة، وبالتالي التجمد والتحجر والتحول إلى كائنات محنطة في متحف الحياة المتحرك. ومن الناحية العملية تفضي العقليتان إما إلى مجتمع مزدهر، أو إلى حرب أهلية مبطنة أو قائمة، فحين تترك العقلية الأولى المجال لهامش من الخطأ، وبالتالي قدرة المراجعة والنقد الذاتي، فإن هذا ينبني عليه التسامح مع الطرف الآخر، بل احترامه، بل وحمايته، وطلبه، لأنه مع جدلية الطرف الآخر يميل الطرف الأول إلى التصحيح، وتقويم الأخطاء، ولذا فإن الطرف الثاني يصبح ضرورياً، ليس فقط «للفرملة» والتوازن، بل ضروري لصحة الأول ودوام استقامته ونضجه، لذا كان على الطرف الأول ليس احترام وجود الطرف الثاني فحسب، بل أن يسعى لإيجاده إن لم يكن موجوداً، وليس على العكس الغاؤه إن كان موجوداً!..

فرق رهيب إذن بين العقليتين؟!

العقلية الأولى تقوم على (ثنائية التفكير = الديالوج)، تفسح المجال للأخطاء، للنقد المضاد، للمراجعة الذاتية، للتسامح مع الطرف الآخر، لاحترامه لما فيه من خير عميم، ولحمايته لأنها بذلك تحمي نفسها بالذات (٦) لإيجاده إن لم يكن موجوداً لأنها لأنها تضمن وجودها باستمرار وجوده، وإذا اختلفت مع الآخرين، اخذت بعين الاعتبار أن الموضوع لا يتعدى (خطأ في الفهم) يمكن إصلاحه بالحوار، والصبر عليه، و(قتل الموضوع بحثاً وليس قتل الإنسان إعداماً). العقلية الثانية ليس عندها قدرة المراجعة، ولماذا المراجعة طالما كانت تملك الحق المطلق؟؟ فمهمتها إذن محصورة في نشر ما تعرفه، وعلى الآخرين أن يحظوا بشرف الاستماع، من مصدر المطلق!! هي عقلية (أحادية التفكير = المونولوج)، لا تقبل الاعتراض ولا تسمح به، فإذا قام اعتراض العقل كان شاذا غير مرحب به، فكان مبررا لتصفيته (Elimination) وحذفه من الوجود غير مأسوف عليه، وهي على ما يبدو طريقة سريعة واقتصادية!! فلماذا الحوار الطويل في ساعات غبية تافهة، لمردود هزيل!! في حين أن طلقة واحدة و(كلمح بالبصر) تحل المشكلة ودفعة واحدة!! كما يحدث في قصف كابول اليومي الآن!! العقلية الثانية تلغي الطرف الثاني إن كان موجوداً، وبكل حماس وإخلاص وطمأنينة بال، بأنها نفذت إرادة الوجود، كي تنفرد هي بالوجود. إذن فالاتجاه الأول يوجد ملغياً، والثاني يلغي موجوداً، وهذا هو الفرق بين العقليتين، وبالتالي هذا هو الفرق بين الحياة والموت، فلا يستويان...

مراجع وهوامش

(١) مجلة ١٥ — ٢١ مجلة الفكر الإسلامي المستقبلي، العدد ١١ السنة الثالثة — ص ٤ — نقلت بشيء من التصرف.

(٢) تأمل الآية: وعلم آدم الأسماء كلها ـ البقرة ـ الآية رقم ٢١.

(٣) يراجع بالتفصيل كتاب النقد الذاتي للمؤلف بحث لماذا النقد الذاتي؟ـ مؤسسة الرسالة ص ٩٣.

(٤) رينية ديكارت ـ المنهج لإحكام قيادة العقل والبحث عن الحقيقة في العلوم ـ ترجمة فواز الملاح — دمشق ـ محمود صالح ـ ص ٢٢ .

(٥) من فلاسفة التنوير في القرن الثامن عشر.

(٦) ومفهوم الجهاد في الإسلام ينبع من هنا في حماية الإنسان بما فيه المخالف، حتى لا يبقى إنسان يفتن ويضطهد من أجل آرائه (حتى لا تكون فتنة) لأن المجتمع الإسلامي هو مجتمع اللاإكراه (لا إكراه في الدين) أي مجتمع حرية العقيدة.

دعائم وأصول العلاقات الدولية في الإسلام

بقلم: محمود رمضان محمد

● وضع الإسلام دعائم وأصول العلاقات الإنسانية/ الدولية، على أسس وقواعد، وذلك من منطلق «الوحدة الإنسانية، والتي عبرت عنها آيات كثيرة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾ [النساء: ١].

ويبين لنا القرآن الكريم أن الله خلق الناس شعوبا وقبائل لا للتناحر والتقاتل، ولكن ليتعارفوا قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ [الحجرات: ١٣].

● ومن هذا المنطلق.. وضع المنهج القرآني، والدستور السماوي، الأسس والدعائم والأصول التي تقوم عليها العلاقات الإنسانية، الدولية، في الإسلام، منها:

١- المساواة بين الناس:

■ يقرر الإسلام أن الناس جميعا سواء في الإنسانية وفي الحقوق والواجبات، فمصدر النشأة واحد، والمصير كذلك واحد، كما جاء في أول سورة النساء.

«والإسلام في تقريره مبدأ المساواة بين الناس مهما تكن عقائدهم وألسنتهم وأجناسهم قد سبق القانون الدولي وفاقه»(١).

كما جاء الإسلام ليحارب فكرة التمييز بالألوان، حارب التمييز بالعنصر والجنس، فالناس جميعا لآدم بل استوى في ذلك جميع الأجناس والطوائف.. قال تعالى: ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾ [النساء: ١٢٤].

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «الأساس الذي تقوم عليه كل الأسس في تنظيم العلاقات الدولية في الإسلام وهو التعارف الذي جعل الغاية العالية من اختلاف الناس عناصر وقبائل، وأن هذا التعارف لا يكون إلا بين متماثلين، ولا يكون بين أدنى وأعلى، لأنه لو كان هناك أعلى وأدنى فإن التحكم يكون، وحب السلطان يعلو، وبذلك يكون التناكر، وتنمر الإنسان للإنسان، وبذلك وجبت المساواة في المعاملة وطالب بها النبي ﷺ، فقال: «أحب لأخيك ما تحب لنفسك» رواه الطبراني، وأن هذا الحديث ينطبق على الجماعات والدول كما ينطبق على الآحاد، فلا فرق في قانون العدل والمساواة بين الآحاد والجماعات بل إن ما يطالب به الواحد يطالب به الجمع ممثلا في الدولة(٢).

٢- السلم أصل العلاقات بين الناس:

■ جاء الإسلام هاديا للبشرية كلها منظما للعلاقات على أساس من العدل المطلق، ورفض القتل والاستعباد والقهر واستغلال الشعوب.

الإسلام دين السلام جعل للسلام شأنا كبيرا في الدنيا والآخرة ودعا إليه، قال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ [المائدة ١٥ و ١٦].

● السلام شعار هذه الأمة، وقد نص الحديث على أنه تحية البشرية التي علمها الله لآدم تحية له ولذريته، يلزم الجهر به وإفشاؤه، بل إفشاء السلام هو الطريق إلى الجنة، كما جاء في الأحاديث الصحيحة، قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إن فعلتموه تحاببتم؟ افشوا السلام بينكم»(٣).

وتحريم الاعتداء والأمر بالجنوح إلى السلم إذا جنح إليه الأعداء يؤكد حرص الإسلام على توطيد دعائم السلام في الأرض: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾ [المائدة: ٢].

وقال تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ [البقرة: ١٩٠].

وقال تعالى: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ [الأنفال: ٦١].

○ إن ما يسمى «التعايش السلمي» هو أمر دعا إليه الإسلام وعلى أسس من المساواة والأخوة والعدالة والكرامة

العدالة هي الميزان المستقيم الذي يحقق العلاقات بين الناس في حال السلم وحال الحرب، ففي السلم يكون حسن الجوار قائما على العدالة، وفي الحرب

● إن ما يسمى «التعايش السلمي» هو أمر دعا إليه الإسلام وعلى أسس من المساواة والأخوة والعدالة والكرامة(٤).

٣- العدالة:

■ قامت كل علاقة إنسانية في الإسلام على العدالة، واعتبار الناس جميعا سواء وإن كانت ثمة تفاضل فبالأعمال والجزاء عليها، إن خيرا فخير وإن شرا فشر. وأن نصوص القرآن كثيرة، والعدالة حق للأعداء، كما هي حق للأولياء، وقد نص القرآن على أنه لا يصح أن تحمل العداوة على الظلم، فإن العدل مع الأعداء أقرب للتقوى، وقد صرح القرآن بأن أساس الأحكام الإسلامية المنظمة لعلاقات الناس جميعا بعضهم مع بعض، أفرادا وجماعات هو العدل، وقد ذكر سبحانه وتعالى أن العدل هو الشريعة التي قامت عليهارسالة محمد ﷺ وقامت عليها النبوات السابقة والكتب المنزلة جميعا.

● وإذا استعرت نيران الحرب فإنه يجب أن يكون العدل هو الذي يسودها، وأن تكون المعاملة للمغلوب لا ظلم فيها ولا شطط، يقول تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [المائدة: ٨].

ويقول سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم﴾ [النساء: ١٣٥].

وقال تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾ [النحل: ٩٠].

● ومن الآيات القرآنية الدالة على أن العدل هو الأمر الذي اجتمعت عليه النبوات والديانات السابقة كلها، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب بالحق والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ [الحديد: ٢٥](٥).

● يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «وإذا كان لكل دين سمة، فسمة الإسلام العدالة، فالعدالة هي الميزان المستقيم الذي يحقق العلاقات بين الناس في حال السلم وحال الحرب، ففي السلم يكون حسن الجوار قائما على العدالة، وفي الحرب يكون الباعث عليها العدالة، وأن كل المبادىء الإنسانيةمن تسامح وحرية يكون في ظل العدالة، فالتسامح الذي يؤدي إلى ضياع الحقوق لا يكون تسامحا ولا يكون رحمة، بل يكون ظلما، ويؤدي إلى أشد أنواع القسوة(٦).

٤- احترام العهود والمواثيق:

■ للعهود والمواثيق في الإسلام حرمة مقدسة يجب الوقوف عند حدها، وعدم تضييعها أو التفريط فيها، والنصوص في ذلك كثيرة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون. ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة﴾ [النحل: ٩١، ٩٢].

فهذا النص القرآني الكريم.. يحتم الوفاء بالعهد وعدم نقضه، ويحذر من الخديعة، ويشبه الذين يعقدون العهد ثم ينقضونه بالحمقاء تغزل غزلا محكما، وبعدها تنقضه، وفي هذا إشارة إلى أن نقض العهد لا يفعله إلا الحمقى.

● ولقد كان عمل النبي عليه الصلاة والسلام منبئا عن مقاصده في العهود فما كانت للتحكم ولكن كانت لتقرير السلم وتنظيم الجوار وإنهاء حالة الحرب أحيانا أخرى، ومعاهداته ﷺ مع اليهود تؤكد ذلك.. ومن هذه المعاهدات، معاهدته مع يهود المدينة، فكان قوام المعاهدة حسن الجوار، واشترط عليهم شروطا والتزم لهم بحقوق، والأساس فيها تنظيم السلم فيما بينهم وبينه.

٥- التعاون الإنساني:

■ يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «إن أول مظهر للتعارف الذي هو الغاية المثلى من اختلاف الأجناس والألوان هو التعاون، وأن التعاون هو مظهر التلاقي النفسي في المجتمعات صغيرها وكبيرها. والتعارف العملي في الأسرة الإنسانية،قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ [المائدة: ٢].

ولقد نفذ الرسول ﷺ، مبدأ التعاون الدولي عندما جاء إلى المدينة فعقد مع اليهود حلفا أساسه التعاون الدولي، والتعاون على البر، وحماية الفضيلة من الأذى وأكد ذلك بالمواثيق، ولكن اليهود نقضوا حلف التعاون، ودبروا الأمر مع المشركين ضد النبي ﷺ، وكان أساس هذا التعاون أن يتضافروا على دفع الاعتداء، وإقامة الحق، وهذا مايسمى في عصرنا «بالتعايش السلمي» -كما ذكرنا من قبل- وكان عليه الصلاة والسلام يعقد المعاهدات مع القبائل العربية لإيجاد تعاون إنساني لإعلاء المعاني الإنسانية، وكان يحث على كل تعاون على الخير ويؤيده، وينبذ كل تعاون على الشر ويحاربه.

ولقد ذهب إلى مكة حاجا فعلم أن قريشا تريد منعه فمد يد المسالمة إليهم وهو يقول: «لو

دعتني إلى أمر فيه رفع البيت الحرام لأجبتهم»(٧).

٦- الحرية:

■ إن الحرية ثمرة من ثمرات التعارف الإسلامي الذي دعا إليه القرآن الكريم، فإن التعارف الحقيقي لا يكون إلا بين الأحرار، فلا يكون سيد وعبد، ولا مسيطر ومقهور، بل يكون بين الأحرار على قدم المساواة، ولا تكون المساواة إلا على أساس التعادل في الحرية(٨).

● لقد احترم الإسلام حرية العقيدة احتراماكاملا، فمنع الإكراه في الدين كما جاء في القرآن الكريم: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ [البقرة:٢٥٦] وقال تعالى: ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ [يونس: ٩٩].لقد حرر الإسلام الإنسان من أي سيطرة عليه في علاقته بربه فتنفى الوساطة بينه وبينه، قل تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ [البقرة: ١٨٦] وقد احترم الإسلام إنسانية الإنسان بعدم إكراه أحد على اعتناقه وقرر أسلوبا للتفاهم بين أتباعه ومخالفيهم في الدين لتستقر أوضاع المجتمع، فجعل أساس الجدل الديني الإقناع وإقامة البرهان، وقرع الحجة بالحجة والتزام جادة العقل والمنطق، قال تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وعلى هذا المبدأ سار المسلمون في معاملتهم وحروبهم مع أهل الأديان الأخرى، فكانوا يبيحون لأهل البلد الذي يفتحونه أن يبقوا على دينهم مع أداء الجزية والطاعة للنظام القائم، وكانوا في مقابل ذلك يحمونهم ضد كل اعتداء، ويحترمون عقائدهم وشعائرهم ومعابدهم. هذا إلى جوار حرية الرأي والفكر وحرية الإقامة وتقرير المصير.

٧- الفضيلة:

■ إن العلاقات الدولية سواء أكانت بين الأفراد أم الجماعات، وسواء أكانت العلاقة في حالة الحرب أم في حالة السلم يجب أن تسودها الفضيلة، فإن قانون الأخلاق قانون عام يشمل الناس جميعا دون تفرقة بين جنس وجنس أو قوم وقوم، فلا فرق بين جاهل وعالم، وأن ما يكون شرا بين الأفراد في شعب واحد يكون شرا بين الجماعات والدول، ولذلك نجد القرآن الكريم كلما أمر بالجهاد كان بجواره الأمر بالتقوى، وتقوى الله قوامها الاستمساك بالفضيلة، فمثلا نجد النص القرآني يأمر بالمعاملة بالمثل عند الاعتداء، فمن اعتدى يدفع شره، ومن قاتل يقاتل، ولكن اقترن ذلك بوجوب الاستمساك بالتقوى، والتقوى تكون في التمسك بالفضيلة، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله﴾ [البقرة: ١٩٤](٨) ولا يصح للمسلمين أن يجاروا أعداءهم إن اعتدوا على الفضيلة، بل ليلتزموها هم، فإذا كان العدو يقتل النساء والذرية لا يصح أن نقتلهم، وإذا كان العدو ينتهك حرمات النساء لا ننتهك حرماتهن(٩).

هكذا تكون معاملة المسلمين لغيرهم على أساس الفضيلة لا يعدونها، لأن هذا الدين جاء لحماية الفضيلة ولإنشاء مجتمع فاضل، تسوده الفضيلةوتختفي فيه الرذيلة وليس من المعقول أن تنتهك حمى الفضيلة مع المخالفين، لأن هذا الدين رسالة الله تعالى إلى أهل الأرض.

٨- التسامح:

■ دعا الإسلام إلى التسامح والصفح الجميل، والصفح الجميل هو الصفح في علو ومن غير استسلام للشر، قال تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ [فصلت: ٣٤].

وقد طبق النبي ﷺ مبدأ التسامح في علاقته مع المشركين وغيرهم في معاهداته وحروبه، كما حدث في صلح الحديبية وفتح مكة.

● وبعد.. ما أوردناه، هو القليل من تلك المبادىء القويمة والقواعد التي تبنى عليها العلاقات الدولية.. وذلك هو المنهج الإسلامي الذي لو طبق في عصرنا هذا، لتوقفت أنهار الدماء المتدفقة في مشارق الأرض ومغاربها من أجل صراعات مختلفة، معظمها مبني على باطل، فما أحوجنا إلى تعاليم الإسلام في هذا العصر. لكي يسود البشرية العدل والتسامح والفضيلة، ويتعاون الجميع.. من أجل إسعاد الجميع، ويتعامل البشر بحب نابع من أعماق القلب■

المراجع:

١- د. محمد الدسوقي (دعائم العلاقات الدولية في الإسلام)، مجلة «الدوحة) العدد ١٢٨.

٢- ص ٩٧٤، مجلة (الأزهر) ذو القعدة ١٣٨٣هـ.

٣- رياض الصالحين، عن رواية مسلم، ص ٣٣٦.

٤- بتصرف عن كتاب «فلسفة الحرب في الإسلام». تاليف د. نادية صقر، ص ١٠٧ دراسات في الإسلام، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية (مصر) ١٤١٠هـ.

٥- الدوحة ١٢٨، مرجع سابق.

٦- ص ٣٨ و٣٩ د. خديجة أبو أتلة (الإسلام والعلاقات الدولية في السلم والحرب). دار المعارف، ط ١، ١٩٨٣.

٧- مجلة الأزهر عدد ذو القعدة ١٣٨٣هـ.

٨- الإسلام والعلاقات الدولية، مرجع سابق.

الحرية ثمرة من ثمرات التعارف الإسلامي الذي دعا إليه القرآن الكريم

قبل رحيله بفترة قصيرة دكتور إبراهيم بيومي مدكور..
رئيس مجمع اللغة العربية للوعي الإسلامي:

القرآن الكريم.. ليس نصاً أدبياً.. وغير قابل للنقد!!



مثل كل شيء في حياتنا يتعرض للغزو الأجنبي.. قيم وعادات غريبة.. طعن في ثقافتنا وتاريخنا.. تتعرض اللغة العربية حالياً لهجمة شرسة يقودها بعض من أبنائها وكأنهم طابور خامس يمثل رأس الحربة للاستعمار الثقافي الجديد.. حيث يحاول تيار التغريب إضعاف اللغة العربية ويتصدى لهؤلاء جهات عديدة وعلى رأسها مجمع اللغة العربية وحراسها وكان على رأسهم الدكتور إبراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة العربية رحمه الله.. وكان لنا معه هذا الحوار قبل وفاته بأيام.

حوار أجراه/ حمدي الحلواني

* باعتبار أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم.. فما هو ردكم على من يقولون إن القرآن نص أدبي ويجب أن نخضعه للدراسة والنقد من قبل المتخصصين في اللغة العربية؟!

ــ هؤلاء لا دينيون وأنا لا أتحدث إليهم لأنهم لا يستحقون ذلك، لأنني أؤمن بمبدأ رئيسي وهو «من لا دين له لا وجود له ولا قيمة له» وأنا لا أخشى بأس هؤلاء لأنهم خونة لدينهم ووطنهم... والخائن دائماً ليست لديه الجرأة على الجهر برأيه.. ولهذا فالخيانة وحدها كفيلة بأن تقضي عليه.. وأمثال هؤلاء الأقزام نجدهم غرباء في مجتمعنا الإسلامي.. وهذا الأمر ليس بجديد على الإسلام والقرآن..

طغيان العامية

* ماهي أهم الأسباب التي أدت ضعف الاهتمام باللغة العربية؟!

ــ لاشك أن هناك العديد من الأسباب التي أدت إلى الضعف أهمها: طغيان العامية عليها في الكثير من حياتنا حتى في أماكن التدريس ابتداءً من المدرسة إلى الجامعة.. بالإضافة إلى ندرة استخدام العربية الفصحى في الحديث داخل المنزل العربي بوجه عام بعد أن أصبح لكل شعب عربي عاميته أو لهجته المحلية الخاصة به.. وكذلك عدم تبسيط اللغة العربية بالقدر الكافي الذي يسهل على العامة فهمها واستيعابها بيسر وسهولة.. الأمر الذي ينعكس على استخدامهم لها.. وكذلك عدم وجود الاهتمام الكافي بها من المؤسسات العلمية والتعليمية في ظل زيادة أعداد الطلبة وتكديسهم في المدارس التي ضاقت بهم.. الأمر الذي يجعل من الصعوبة بمكان أن يقوم المدرس بتوصيل المعلومة المبسطة إليهم..

ولهذا نجد مستوى التلاميذ في تدهور و بعد فترة يخرج من بين هؤلاء التلاميذ من يقوم بالتدريس..

اللغة العربية وقضايا العصر

* إذن ماهي جهودكم من أجل النهوض بمستوى اللغة العربية في الشارع العربي بوجه عام وفي المؤسسات التعليمية بوجه خاص؟!

ـ الدكتور إبراهيم مدكور:

قام المجمع بإثراء قراء اللغة العربية بالمعاجم اللغوية التي تتناسب مع مختلف المراحل التعليمية.. ونحن في سبيلنا الآن إلى إخراج المعجم الكبير ليستفيد منه المتخصصون.. كما أن المجمع لا يبخل برأي أو مشورة إذا طلبت منه في سبيل النهوض باللغة العربية.. ولكن العبء الأكبر في ذلك يقع على وزارتي التعليم والثقافة من خلال التعاون الوثيق فيما بينهما ونحن على أتم الاستعداد للاشتراك معهم في أي

*** طغيان العامية في حياتنا سبب ضعف العربية و..الأمية هي العائق الأول للنهوض بمستواها!!**

أمـر يتعلق بـاللغة العـربيـة إذا دعت الضرورة إلى ذلـك حتـى نستطيـع أن نخـرج اللغـة العربيـة بـروح تـلائم العصر وتكـون سهلة وبسيطة للفهم والاستيعـاب والاستخـدام.. والـذي أرجوه أن تتسع دائرة الكتابة بالعربية في قضايا حيوية ومعاصرة..

العربية وأثرها على الحركة الأدبية

* هناك رأي يقول: إن ضعف اللغة العربية انعكس على الحركة الأدبية في الوقـت الحاضر.. فلم يعد هنـاك أدباء ذوي تأثير في الشارع العـربي أمثال: العقـاد وشـوقي وحـافظ إبـراهيم وغيرهم الـذيـن عبروا عن آمـال وآلام هذه الأمة.. فما تعليقكم؟!

ــ هـذا الكـلام فيـه قـدر كبير من الصحـــة.. ولكن علينـــا أن نعترف بتطورات الـزمن وأن هناك مـرحلـة جفـاف.. وأخـرى ري وشبع أدبي.. عـلاوة على الأحـداث والظـروف التي يعيش فيهـا المجتمع.. وإذا مـا كـانت هنـاك قضـايـا قـومية تشغل ذهن المواطن العــربي أم لا.. كل ذلـــك يؤثر..

فإذا نظرنا إلى القـرن العشرين مثلاً نجـد أن السنـوات العشر الأولى منـه كانت ضعيفـة ثم العقد الثـاني أقوى والثالث أقوى فأقوى.. وخلال العقود الثلاثـة الأخيرة استيقظنا من غفـوتنا لقـوميتنـا واعتززنـا بلغتنـا.. ولكننـا مازلنا في حـاجة إلى المزيد من التمسك بلغتنـا وقوميتنـا أكثر وأكثـر، لأن من آمن بدينه ولغته لا تخشى عليه بأساً.. بشرط أن تتعـاون الجهـات المعنيـة لتجعل من نفسهـا جسراً يعبر عليـه محبو العربية في كل مكان من خلال ما تقدمـه من قضايـا لغويـة تتلاءم مع عقلية العصر لتكون سلسة قادرة على الهضم غير مستعصية على الفهم لدى أبنائها..

خواجات العرب

* إذن فما قولكم فيمن أطلق عليهم «خواجات العرب» وهم الذين يدخلون اللغات الأجنبية في حديثهم على حساب العـربية على اعتبـار أن ذلك نوعـاً من التعبير عن الثقافة؟!

ـ إنه لأمر مـؤسف حقاً.. وأرجو أن يكون ذلك مقصـوراً في دائرة ضيقة.. وأتمنى أن يعود إلينـا الاعتزاز بلغتنا.. فنحن لسنـا أقل مـن الأمم التي تعتـز بلغتهـا في أمور حيـاتها كلهـا بل إنها تطوع ما يستجد من أمور لتتلاءم مع لغتها الأصلية..

والنهـــوض بهذه المهمـــة تقع مسؤوليته على كاهل وزارتي التعليم و الثقـافـة في المقـــام الأول.. وكـذلك يحتـــاج إلى دعم كـــافـــة المنظمات والهيئات التي تهتم باللغـة العربية في أنحـاء العـالم العـــربي من خـــلال التـعاون والتنـسيق فيـما بيـنها للنـهوض بهذه المهمة..

وأظن أن هذه الظاهرة بدأت تضعف الآن، وبـدأنا نحس بـأنفسنا ونـؤمن برسالتنا.. والمتشدقون بغير العربية صورهـم بدأت تقل يـوماً بعـد يوم في ظل تـولـد الشعـــور بالقوميـــة الـعربية..

وسائل النهوض بالعربية

* من وجهـــة نظركم الـوســائل التي يمكن من خلالهـــا النهـوض بمستـوى اللغـــة العربــــية بين أهــلها؟!

ـ هناك مجموعة من الوسائل أهمها: أن يبدأ الاهتمام بالحديث بها ابتـداءً من المنزل عن طـريق تشجيع الأسرة لأبنـائهـــا على الحديث.. ثم اهتمام المدرسـة والمؤسســات التعليمية عن طريق إعداد الكوادر القادرة على تقديم اللغة العربية بصورة سهلة وميسرة.. الأمـر الـذي يحبب الطـلاب فيهـا.. والتعـاون بين المؤسســات التعليميـة والثقافيـة في النهوض بـرسـالـة اللغة العـربية واستخـدام وسائل الإعـلام الحديثة وبخاصـة الإذاعة والتلفاز في النهـوض بمستوى اللغـة عنـد عامـة الشعب.. وقبل ذلـك كلـه تضـافـر الجهود للقضاء على الأمية بـاعتبارها العـائق الأول للنهـــوض باللغـــة العربية..

مجمع اللغة العربية في القاهرة:

شوقي ضيف خلفاً لمدكور؟

أعلن «مجمع اللغـــة العـربيــة» في القاهرة عن خلو منصب الرئاسة، بعد رحيل الـدكتـور: ابراهـيم بيـومي مـدكـور، وفتح بـاب الترشيح لهذا المنصب الرفيع. وعلمـت «الوسط» من مـصادر مـوثوقـة في القـاهرة، أن اسم الـدكتور: شـوقي ضيف، نـائب الـرئيس الحـالي، يتـردد بكثـرة في الكواليس بصفتـه الأوفر حظاً بين المرشحين لرئاســـة «مجـــمع الخالدين».

وكـانت الأوسـاط الأدبية والعلميـة والأكـاديميـة ودعت، آخـر أيـام عـام ١٩٩٥، الدكتـور: مدكـور الذي رحل عن عمر يناهز الثالثة والتسعين كرّسه للبحث والاجتهـاد، وعـرف على أوسع نطاق عالماً ومفكراً من الطراز الرفيع. انضم الـــراحـل إلى «مجمع اللغـــة العـربية» منـذ نصف قـرن (١٩٤٦)، وتـولى أمـانـة سره خلفـاً للـدكتـور: منصـور فهمي، ثم انتقل إلى الأمـانـة العامـة (١٩٦١) ووصل إلى الـرئاسة (١٩٧٤) خلفاً للدكتـور: طـه حسين. وكـان لنشـاطـه المجمعي أثـر كبير في تطـور هذه المؤسسـة العلمية لتـواكب حـركـة المجتمع وروح العصر. ومن المعـروف أن الراحـل جمع بين ثقافـة عربية أصيلة، وثقافة أوروبية منفتحة تلقـاهـا في الســوربـون، واشترك في الحركة الـوطنية وسجن في أثنـاء ثورة ١٩١٩، وبقي ١٥ عـــامــا في مجلس الشيوخ. كما عرف باهتمامه بالفلسفة الإسلاميـة وخصوصـاً ابن سينـا. أما الدكتور: شوقي ضيف (مواليد دمياط ١٩١٠) فقد بدأ حيـاته محرراً للمعجم «الوسيط»، ولـه ما يـزيد على الأربعين كتـاباً بين تحقيق وتـرجمة وتأليف في التـــاريخ الأدبي ودراســـات أدبيــة وبـلاغيـة ونقــدية. حــاز ضــيف جــائزة الدولـة التقديـرية لـلآداب في مصر سنة ١٩٨٠، كما نال جائزة الملك فيصل العـالمية في الأدب العـربي سنة ١٩٨٢ ■

من يؤمن بدينه ولغته لا تخشى عليه بأساً!!

العلمانية النشأة الخبيثة

منذ أن نشأت العلمانية وهي تحاول أن تضرب بجذورها في التربة العربية والإسلامية مستخدمة في ذلك كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، وقصة العلمانية في بلادنا هي في الحقيقة صراع بين بلادنا المسلمة والاستعمار كآخر حلقة من حلقات التحدي الوثني الأوروبي المتسربل بقشرة مسيحية مزورة. وقصة العلمانية هي قصة الصراع بين الحضارة الوثنية الأوروبية أو آخر فصول هذا الصراع مع الحضارة الإسلامية، وهذا الصراع ممتد في التاريخ والجغرافيا وشهد الكثير من المراحل وأخذ الكثير من الملامح حسب الزمان والمكان. وهذا الصراع بدأ مبكرا جدا في حياة الرسول ﷺ الذي أدرك بفراسته ونبوته أن هذا الصراع سيشكل المساحة الأكبر في تاريخ الإسلام، ووضع له الأسس الصحيحة وهي أن الهجوم خير وسائل الدفاع، وهكذا خاض المسلمون في حياة الرسول ﷺ الكثير من المعارك ضد الدولة البيزنطية وحلفائها، على اعتبار أن هذه الدولة تمثل في ذلك الوقت المواقع المتقدمة للحضارة الأوروبية الإغريقية والرومانية، كما خاض المسلمون في حياة الرسول ﷺ الكثير من المعارك ضد الدولة الرومانية وحلفائها في مؤتة وتبوك ودومة الجندل، وجهز الرسول ﷺ جيش أسامة ابن زيد لغزو الشام إلا أنه ﷺ مرض فأوصى بإنفاذ هذا الجيش،

العلمانية هي الصراع بين الحضارة الوثنية والحضارة الإسلامية

بقلم: محمد السيد عامر

ووف الخليفة الصديق رضي الله عنه بهذه الوصية بعد وفاة الرسول ﷺ. واستمر الصراع بعد وفاة الرسول ﷺ، ونجح المسلمون في تحرير الشام وشمال أفريقيا من الدولة الرومانية، بل ووصل المسلمون إلى الأندلس وأقاموا فيها حضارة إسلامية زاهرة لمدة ثمانية قرون، وهددوا الدولة البيزنطية نفسها في شرق أوروبا، وحاصروا روما أيضا أكثر من مرة ووصلوا بنفوذهم ووجودهم إلى مختلف جزر البحر المتوسط قبرص وصقلية، إقريطس (كريت) وغيرها، وعندما أصبح وجود الدولة الرومانية البيزنطية نفسه مهددا بعد موقعة ماتركرت (ملازجرد) التي انتصر فيها السلاجقة على الدولة البيزنطية سنة ١٠٧١م، ولذلك قامت الدولة البيزنطية بالاستنجاد ببابا روما وهكذا نشأت الحروب الصليبية في الشرق العربي ١٠٩٥ ـ ١٢٩١م ومع فشل هذه الحروب الصليبية واندحارها ثم استمرار عملية الصراع في الأندلس وشمال أفريقيا قبل هذه الحروب الصليبية وبعدها وأثناءها، ومع ظهور الخلافة العثمانية التي أوصلت الإسلام إلى قلب أوروبا وأسقطت الدولة البيزنطية نهائيا وفتحت القسطنطينية ١٤٥٣م على يد محمد الفاتح ووصلت الجيوش العثمانية الإسلامية إلى أسوار فيينا وجنوب روما ودخل الإسلام إلى ألبانيا والمجر والبوسنة والهرسك وكوسوفو، وخضع الصرب والكروات والمجريون والرومانيون وغيرهم للحكم الإسلامي العثماني، عندها أحست أوروبا بالخطر الشديد وقررت تغيير التكتيك من الصدام العسكري إلى الاختراق الثقافي والسياسي. ومن خلال هذا الاحتكاك المباشر والذي وصل إلى قلب أوروبا عن طريق الأندلس إلى جنوب فرنسا وسويسرا، وعن طريق العثمانيين إلى كل أوروبا الشرقية ومن خلال جزر البحر المتوسط كان من الممكن أن يعرف الأوروبيون حقيقة الإسلام فيدخلون فيه وقد حدث هذا بالفعل في أكثر من مكان أوروبي مثل ألبانيا والبوسنة والهرسك وكوسوفو وغيرها، وكان لابد لأوروبا من جهاز للدعاية لحماية رعاياهم من الأثر الإسلامي، ونشأ من هنا الاستشراق الذي كان في البدء محاولة لمعرفة الإسلام بهدف تشويه صورته في عيون الأوروبيين، ومع حالة النوم والاسترخاء التي عاشها العالم الإسلامي طمعت أوروبا في ذلك الوقت فيما هو أكثر من ذلك بعد أخذها بأسباب العلم والقوة، فتحول جانب من الاستشراق إلى تجسس أوروبي مباشر وغير مباشر على الدول الإسلامية لمعرفة نقاط الضعف والتجهيز لحملة

الصراع العلماني بدأ مبكرا في عهد الرسول ووأده أبو بكر الصديق في مهده بحروب الردة.

صليبية جديدة تحت اسم الاستعمار، وكذلك نشأ التبشير ومن الاستعمار والتبشير والاستشراق بدأت الحملة الصليبية الجديدة التي انتهت بسقوط الخلافة العثمانية ووقوع معظم بلاد العالم الإسلامي في قبضة الاحتلال الأوروبي، وحدث تطور جديد في الاستشراق فكان لابد أن يمنع أي محاولة للنهضة في العالم الإسلامي وأي محاولة للمقاومة، وذلك بطمس معالم القوة في الثقافة الإسلامية وإحداث ماسمي بالتفريغ الثقافي، وهذا التفريغ الثقافي يقوم على تشكيل مدرسة ثقافية محلية تتلمذ على يد مستشرقين، وتردد رؤيتهم نفس للإسلام واللغة العربية والآداب الإسلامية وغيرها، وهكذا وجدنا أنفسنا أمام تيارين أسوأ من بعضهما.

الأول: هو هؤلاء الذين ينظرون إلى الثقافة الإسلامية والآداب واللغة، بل والدين بمنظور المستشرقين وفضلا عما في هذا الأمر من تآمر واضح فإنه أيضا أمر غريب وعجيب لأنه من البديهي أنه مهما كان المستشرق قد وصل في تعلم اللغة العربية أو الآداب فإنه سيظل مجرد تلميذ في هذا الإطار ولا يمكن أن يتحول إلى أستاذ أو دارس أو باحث أو صاحب مدرسة لأنه نشأ وتعلم واكتسب ثقافته في أرضية ثقافية أخرى وبديهي أن أحدا لن يفهم لغة أو ثقافة ما إلا إذا كان ابنا لهذه اللغة ولهذه الثقافة.

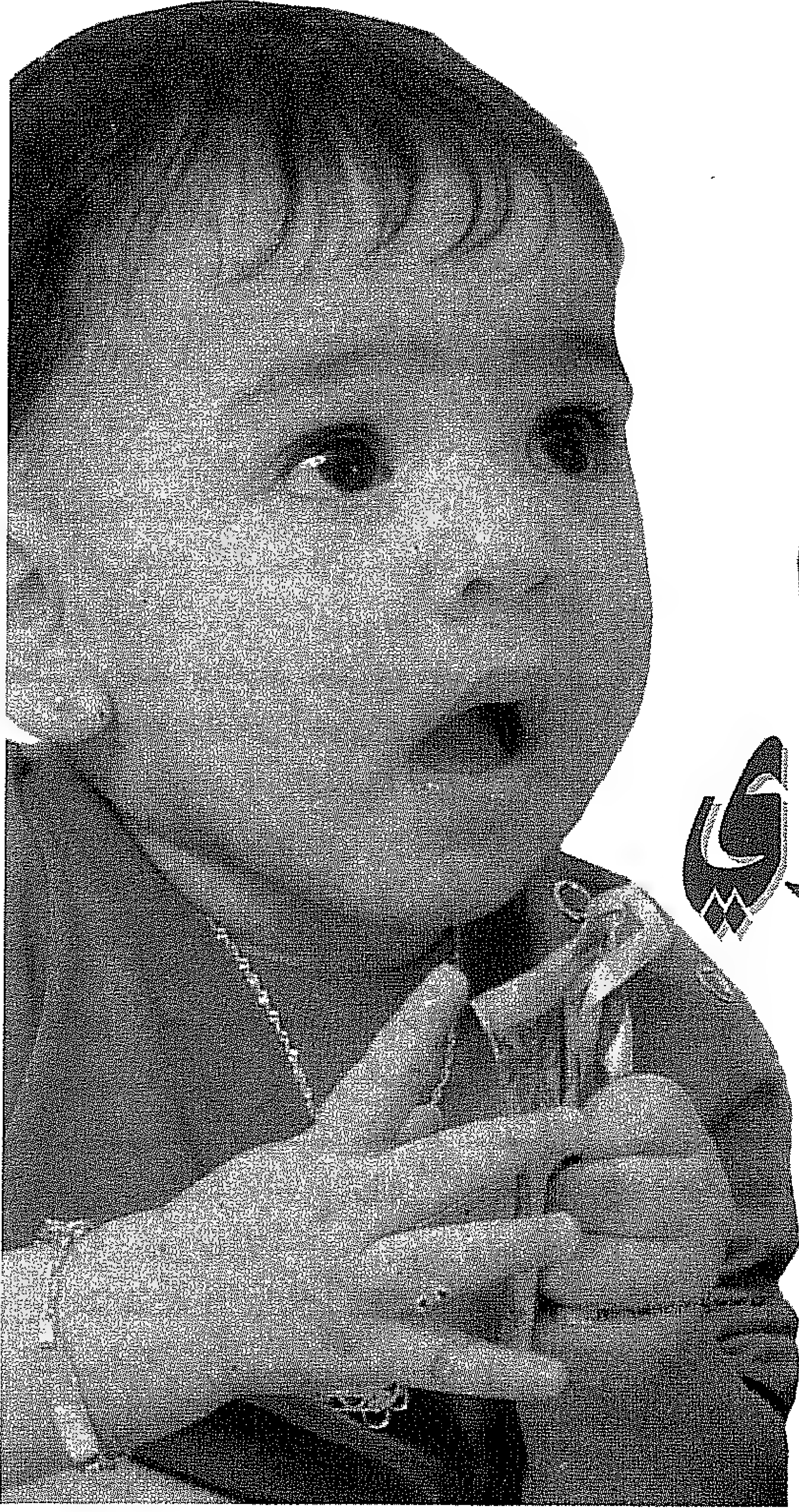
وهذه الثقافة سر من الأسرار الملثمة في كل الأمم وفي كل جيل من البشر وشرط الثقافة هذا ممتنع على المستشرقين كل الامتناع، بل هو أدخل في باب الاستحالة من اجتماع الماء والنار في إناء واحد.

أما التيار الثاني: وهو الذي التقطته أوروبا وعلمته بحيث أصبح غربي التفكير والسلوك



وحصل على العلوم وخاصة الاجتماعي منها من منظور أوروبي فهذا سيأتي إلينا للتبشير بالقيم الأوروبية مباشرة. أي أننا أمام تيار كامل تقريبا أو تيار يفهم اللغة والآداب، بل والدين من منظور المستشرقين وهو منظور سطحي في أحسن الفروض أو مشبوه في أسوئها. من هؤلاء وأولئك نشأت العلمانية وهي محاولة للتفريغ الثقافي الذي يخدم مخططات الغرب أو محاولة لزرع القيم والثقافة الأوروبية فينا، وكل هذا جزء من مخطط واضح المعالم معروف الأهداف. وقد فضح نابليون نفسه هذا الأمر في رسالته إلى كليبر الذي يقول فيها: اجتهد في جمع ٥٠٠ أو ٦٠٠ شخص من المماليك أو من العرب ومشايخ البلدان لنأخذهم إلى فرنسا فنحتجزهم فيها مدة سنة أو سنتين يشاهدون فيها عظمة الأمة الفرنسية ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا وعندما يعودون إلى مصر يكون لنا منهم حزب ينضم إليه غيرهم. وقد قام مفكرون إسلاميون مشكورين بفضح ورصد العلاقة بين الاستعمار وهؤلاء العلمانيين، فالعلامة محمود شاكر فضح لويس عوض في كتابه «أباطيل وأسمار» وجلال كشك فضح ورصد العلاقة المريبة بين الأحزاب الشيوعية والصهيونية وإسرائيل في كتابه «الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ ــ ١٩٥٢» وحتى اليوم الارتباطات المشبوهة نفسها مع دوائر التنصير كحسين أحمد أمين وسعيد العشماوي وهو الأمر الذي فضحه الدكتور محمد عمارة وجلال كشك. وهكذا فإن العلمانية بكل مدارسها وتياراتها ورموزها مشبوهة الارتباطات مشبوهة الأهداف، وهكذا وجدنا كل الدعوات العلمانية من دعوة إلى القومية العربية لضرب الوحدة الإسلامية وتقطيع أواصر المسلمين أو دعوة إلى الفرعونية وغيرها من الدعوات المقيتة التي تستهدف استبعاد الإسلام أو هؤلاء الداعين إلى الكتابة باللغة العامية نكاية في اللغة العربية وعزلا لها وبالتالي عزل القرآن الكريم عن الواقع حتى يضحي كل تراثنا طلاسم على أبنائنا، يحتاج لمن يترجمه لهم أو هؤلاء الذين يدرسون في الإسلام ما ليس فيه أو يهيلون التراب على قيمه الثابتة ■

الأمومة في الإسلام ودورها التربوي



إدراك الأم لحقيقة رسالتها تجاه أطفالها يسهم في منح المجتمع طاقات منتجة

الأم لها دورها الريادي في الأسرة فصلاح الأسرة من صلاحها وفساد الأسرة من فسادها

بقلم:
علال البوزيدي:

تنافست الأقلام في وصف الدور المهم الذي تلعبه الأمومة في حياة الطفولة، ونتج عن هذا التنافس وهذا التباري الهادفين في مجملهما إلى تكريم الأم والتنويه بمكانتها المرموقة في الأسرة والمجتمع وترسيخ قدمها في المجد وتأكيد اعتبارها والاهتمام بها في الاستقرار والفكر، وتخلد اسم الأم وتردد في أقوال مأثورة وأشعار معلومة.

المجال التربوي

في المجال التربوي قيل: إن الأم هي المدرسة الأولى للطفل. وفي المجال الأخلاقي قيل:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الأعراقِ

وفي الجانب الديني قيل: الجنة تحت أقدام الأمهات. كما أن الأمومة ظلت عبر العصور أنشودة الحياة والأجيال، ترددها البراعم المتفتحة، وظلت عبر التاريخ مصدر الإلهام والحنان والعاطفة الصادقة.

والأم هي ذلك العنصر الذي يشكل نصف المجتمع بل هي مصدر صلاح المجتمع أو فساده، فإذا كانت صالحة كان المجتمع صالحاً، فهي التي تزود المجتمع بالطاقات البشرية وتدمجها في صميمه، وإذا كان الدمج سليماً أمكن تأسيس ذلك المجتمع المتكامل النظيف السليم من الأمراض والانحرافات.

وهذا بطبيعة الحال لا يأتي إلا إذا كانت العناصر البشرية المتفاعلة والمتجانسة داخل المجتمع صالحة.

المجتمع الصالح

فالمرأة الصالحة أساس المجتمع الصالح ومن صفات صلاحية المرأة التمسك بالدين والتحلي بالخلق القويم والأمانة والصدق في القول والعلم والإلمام بالعلوم والمعارف النافعة لأن ذلك يجنبها شر الجهل وهو آفة خطيرة بالنسبة للمرأة إذ إن الجهل يجعلها آفة ووبالاً على الأولاد والأسرة كلها. فإذا انحرفت المرأة عن الجادة والصواب أدى ذلك إلى فقدان التوازن في سلامة وحياة الأسرة،

وخصوصاً أن الأولاد يقلدون كل صغيرة وكبيرة عن أبويهم ويفتحون عيونهم بالدرجة الأولى على تصرفات الأم، بل إن حب الاستطلاع لدى الأطفال يدفعهم إلى تقليد الأم وإلى الاقتداء بها في كل قول أو عمل.

إن الأم الجاهلة بشؤون التربية تعجز عن القيام بدورها الصحيح. وإن كانت نيتها سليمة وعاطفتها صادقة، فالنية والعاطفة إذا كانتا متولدتين عن الجهل، فلا طائل تحتهما...

ذلك أن عالم الحيوان نجد فيه غريزة الأمومة مشاعة بشكل عاطفي محسوس، غير أن الأمومة في عالم الإنسان تقتضي - وخصوصاً في هذا العصر — الإلمام بالعلم والمعرفة والدراسية بالشؤون التربوية وفقاً لمتطلبات الحياة الجديدة.

فإذا كانت الأم تدرك دورها وتفهم حقيقة رسالتها تجاه أطفالها، فإنها تستطيع أن تسهم إسهاماً فعالاً في منح المجتمع طاقات خلاقة ومنتجة، وإدراكها لأبعاد رسالتها ولحقيقة الدور المطلوب منها، يجعلها تحرص أكثر من الرجل على تربية أطفالها، وأكثر وعياً بمسألة النسل وما له من انعكاسات وبالتالي أكثر إقبالاً من الرجل على التخطيط العائلي اعتباراً للوقاع ومراعة للإمكانات المادية.

في حين أن الملاحظ هو العكس بحيث نجد أن عقلية الأمومة تدور في فلك لا صلة له بالمنطق ولا علاقة له بالواقع، وإذا طرحنا سؤالاً على أم بدافع الإشفاق على أوضاعها الصحية والسكنية والمادية.

لماذا تلد هذا العدد؟ نفهم من ملامحها وقبل الجواب، ترى في تعدد الأبناء، ضماناً لاستمرار العلاقة الزوجية وأن إثقال كاهل الزوج بالأولاد يساعدها على التمسك به أكثر.

التصور الخاطىء

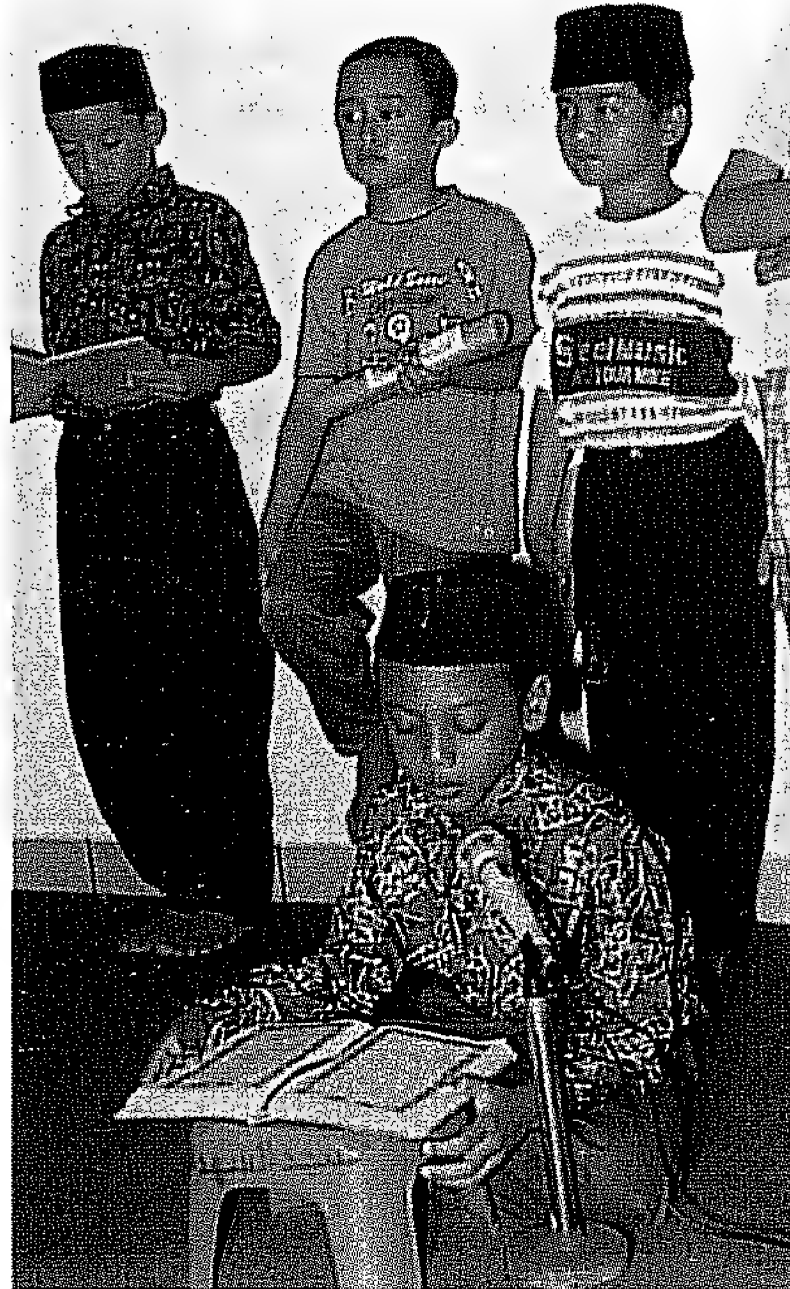
هذا التصور الخاطىء للمرأة يجعلها عرضة للسذاجة والانحراف الفكري، ولعل هذا ما جعل علماء النفس والاجتماع يؤكدون بأنه لابد للأم في هذا العصر من الاستعانة بالخبراء والمتخصصين والاستفادة من آرائهم المرتكزة على الأبحاث العلمية وعملها بمقتضى ذلك يجعل منها أماً صالحة قادرة على حماية الطفولة من كل عوامل الانحراف.

فإذا تفهمت الأم حقيقة الدور المناط بها تجاه أطفالها فإنها ستتمكن من القيام بواجبها على الوجه الأكمل، ولكي تكون مثالية ينبغي أن تلد على قدر استطاعتها وتعلم بأن الأعباء التربوية والظروف العائلية والاجتماعية صعبة إن لم تكن قاسية. وأن العوامل الاجتماعية أصبحت كثيرة ويتمثل بعضها في البؤس والتفكك الأسري وأن الفقر وسوء التغذية من أمراض العصر الخطيرة صحياً وجسمياً وعقلياً وخلقياً.

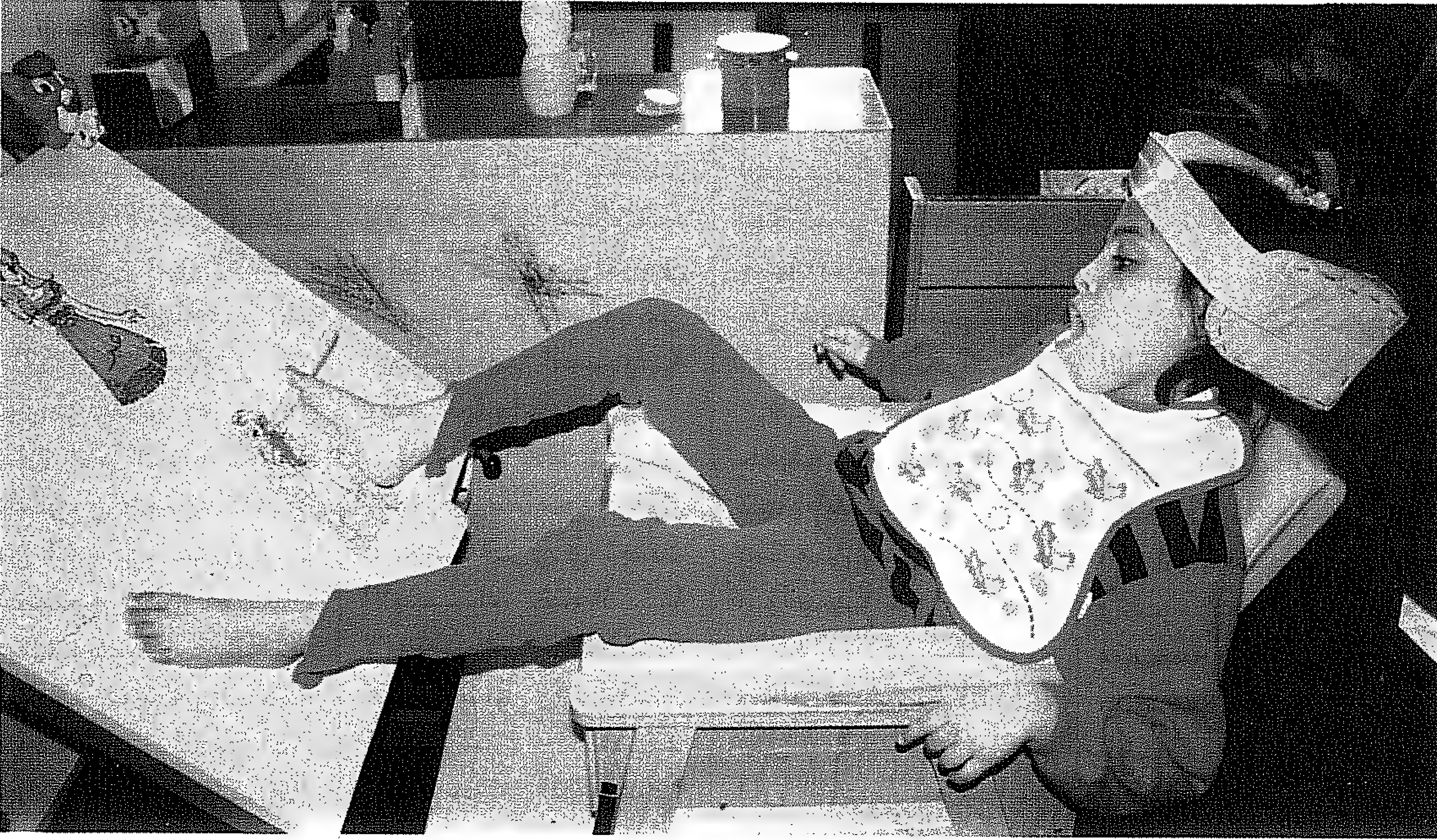
كما على الأم المعاصرة أن تعلم بأن هناك عناصر وتيارات جديدة تزيد من حدة مشكلات الطفولة وترهق الأم كثرة الأبناء قليلة الإمكانات، منها: الخلاعة، والمخدرات، التدخين، السينما، التلفزة، ذلك لأن في جهاز التلفاز النافع والضار بالأطفال وعلى الأم أن تستعمل إدراكها وتقوم بمسؤوليتها فتسمح لأطفالها بمشاهدة النافع وترك الضار، ولنقف هنا عند المسلسلات التلفازية الحافلة بمواقف الجنس وإثارة الشهوة عن طريق المغازلة والنظرات المغرية والقبلات المثيرة، فلذلك تأثيره المباشر على أخلاق الأطفال ودفعهم إلى ممارسة ما ليسوا في وقته. وكما يقول المثل: فالسكين تستعمل لتقشير التفاحة التي يأكلها الإنسان ولكنها تستعمل كذلك لقتله.

وهذه العوامل ذات التأثير القوي أصبح الناس وخصوصاً الأمهات اللائي يعنيهن الأمر أكثر من غيرهن لا يولونها أي اهتمام ولعل هذا ما ضاعف من انحراف الطفولة وتصاعدت معه أرقام الأحداث المنحرفين والأطفال الجانحين والمشردين.

وأمام ذلك كله افتقدت الأم والأب والأسرة والمجتمع زمام الأمر لأن الطفولة عم عليها طوفان الانحراف أو يكاد■



الأبناء يقلدون والديهم بصفة عامة والأم بصفة خاصة



رعاية المعوقين عقليا وتخفيف الضغوط على آبائهم

الأسرة تتعرض لمجموعة من العوائق والصعوبات التي تكيف الطالب عليها من هذه المؤسسات

بقلم: د. محمد عيسوي الفيومي

يشهد القرن الحالي اهتماما يتزايد يوما بعد يوم لتربية الطفل أمل المستقبل ذلك لأن مرحلة الطفولة من أكثر مراحل العمر حساسية، حيث إنها المرحلة التي تؤسس فيها اللبنة الأولى من حياة الصغير، وفيها تتحدد سمات شخصية الفرد.

بالإضافة إلى ما يميزها من أحداث يكون لها أبلغ الأثر في سن الكبر. ولقد أصبحت رعاية الطفولة مؤشرا من مؤشرات التقدم، وتختلف أساليب رعاية الطفل من طفل لآخر ذلك لأن لكل فرد سماته، فهناك طفل رفيع الذكاء وطفل متوسط الذكاء، وطفل منخفض الذكاء هو الذي يحتاج إلى نوع من التربية الخاصة.. تلك التي تهتم بتربية المعوقين وتستخدم بعض الأساليب العملية في التعامل مع هذه الفئة، حيث إن المجتمع ينبغي أن يكفل لهم حق العناية والرعاية.

وإن كانت بعض الأسر التي لديها طفل معوق عقليا تعاني بعض الضغوط النفسية غير أنه ينبغي على هذه الأسر أن تتقبل هذا الوضع دون سأم أو ضجر لأن ذلك من شأنه أن يسيء إلى حالة الطفل النفسية، وعليها أن ترضى بقدر لله باذلة كل ما في وسعها لتحقيق الرعاية لابنهم المعوق.

فليس من السهل أن يتحمل الإنسان مسؤولية الأبوة أو الأمومة كاملة، وذلك لأن مسؤولية الأبوة أو الأمومة أثقل وأعقد المسؤوليات وخصوصا إذا ما أصبح الإنسان أبا لطفل معوق حيث يتوقع الآباء دائما الكمال والسوية لأطفالهم حديثي الولادة.. ولذا فأي شيء أقل من المتوقع يمثل صدمة للوالدين.

اكتشاف التخلف العقلي

يذكر بعض علماء النفس، أن هناك توقعات يحتفظ بها الآباء بالنسبة لأطفالهم حديثي الولادة، فإذا ما حدث عكس ذلك تكون النتيجة فاجعة للآباء، وغالبا ما يثير هذا الاكتشاف مشاعر طبيعية يمتزج فيها الخوف بالألم، وخيبة الأمل والشعور بالذنب والارتباك والحرج والعجز والقصور.

ومن ثم فإن اكتشاف حالة تخلف عقلي في الأسرة تشكل صدمة للوالدين ومشاكل عاطفية عديدة، وأعراض كدر وضيق لا يمكن التغاضي عن آثارها

النفسية نظرا لما تتركه من جروح نفسية عميقة لدى الوالدين والأخوة وتختلف اتجاهات الآباء نحو الابن الذي لديه إعاقة عقلية، فالآباء الذين يشعرون بأنه يهدد آمالهم قد يلفظون الطفل ويرحبون بأية فرصة تخلصهم من وجوده معهم في المنزل.

وفي هذا السياق يذكر خبراء التربية أن رفض أحد الأبوين للطفل المتخلف يعتبر حادثا شائعا ولكن قد يتحول الأمر إلى كارثة عندما يصبح الأبوان متساويين في الرفض، ومن ثم فإن الأبوين الرافضين للطفل الذي لديه إعاقة عقلية قد يحاولان التخلص منه، وذلك بإرساله إلى إحدى المؤسسات الإيوائية التي يقيم بها الابن الذي لديه إعاقة عقلية إقامة كاملة ويبقى المتخلف في هذه المؤسسات حتى يبلغ الثامنة عشرة من عمره وغالبا ما تكون هذه من سنين عمره الأولى التي يكون في أشد الحاجة فيها إلى وجوده وسط أسرة ترعاه ويشعر فيها بالأمن.

ومهما كانت الظروف المؤسسية التي يوضع فيها الطفل توفر له ما يحتاجه فإن ذلك لن يعوضه عن وجوده وسط أسرته الحقيقية.

ويشير المشتغلون في مجال الصحة النفسية إلى أن قرار الأسرة في الإبقاء على الطفل المتخلف في المنزل أو إرساله إلى إحدى المؤسسات يتوقف على قدرة الوالدين على رعاية هذا الطفل أو عدم قدرتهم على ذلك في حالة الكبر أو الوفاة. وفي هذه الحالة يتولى أخوة المتخلف رعايته بدلا من الوالدين.

كما أن التخلف العقلي من الأمور صعبة الفهم والمثيرة للخوف، وقد يكون عدم فهم التخلف العقلي السبب الرئيسي الذي يحدد وضع هؤلاء المتخلفين في معاهد تعليمية مع أنه من الأفضل أن يكون هذا القرار على أساس الدليل والتخطيط العملي.

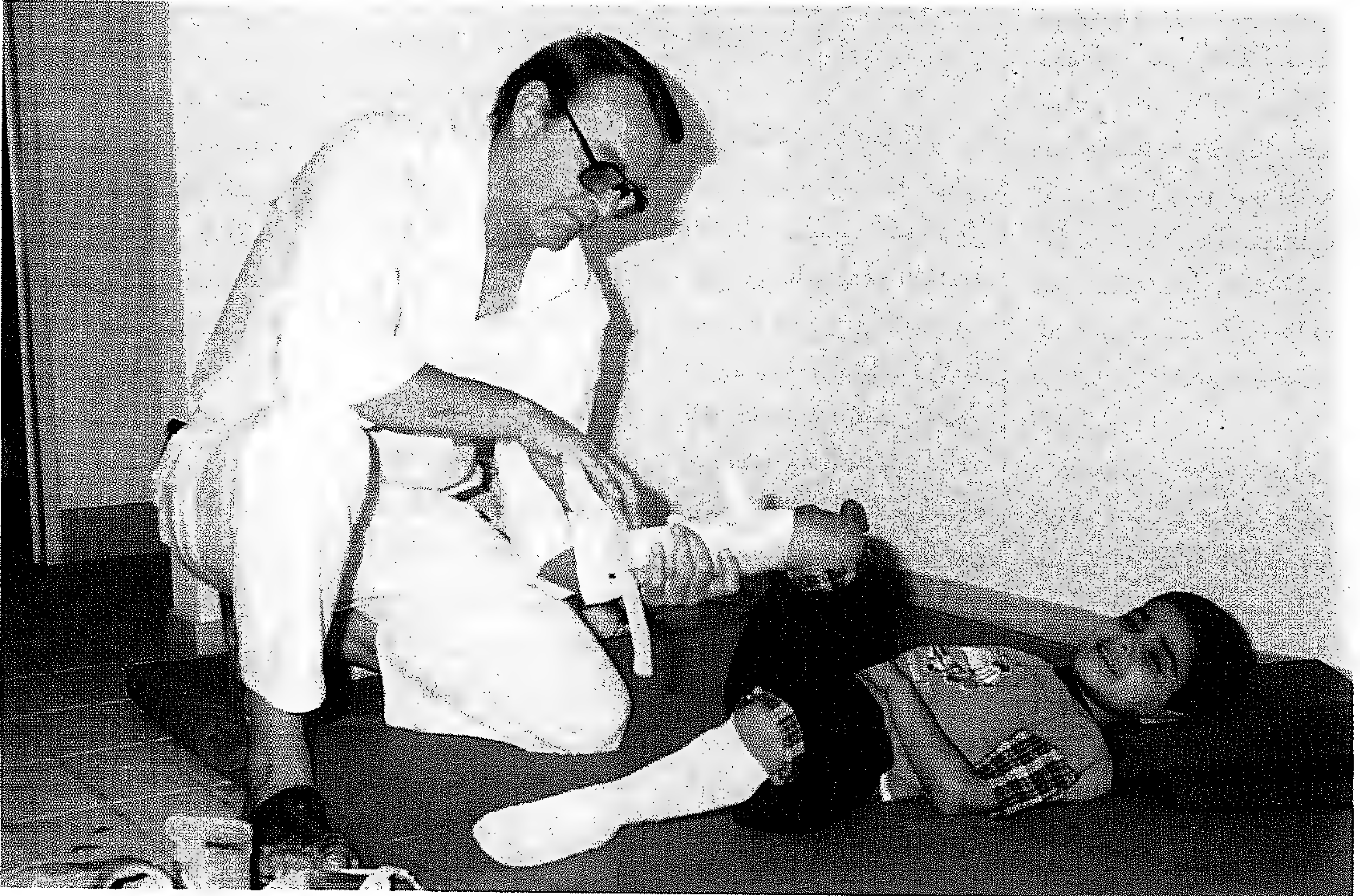
كذلك توصل علماء الصحة النفسية إلى الأسباب التي تدعو الأسر إلى إبعاد الابن المتخلف عنها وإرساله إلى المؤسسات التعليمية التي تتمثل في انخفاض المستوى المعيشي العام للأسرة وعدم قدرة الأم للخروج إلى العمل والضغط العلاجي والعزل الاجتماعي وتدهور صحة الأم وتأثير الطفل على الأطفال الآخرين وكثرة مشكلاته السلوكية.

كما أن آباء المتخلفين عقليا قد يتعرضون لضغوط عادية مثل أي أسرة ممثلة في مشاكل العمل والمرض والصعوبات المادية بالإضافة إلى ذلك تمارس هذه الأسر مصادر ضغوط غير عادية ممثلة في الضغط في المعيشة مع الابن المتخلف عقليا واحتياجات العناية الزائدة وصعوبات العناية بالمتخلف ومشاكله السلوكية والصراعات مع ممدي العون من العاملين في المجتمع، ومن ثم فإن تعرض الأسرة إلى أنواع مختلفة من الضغوط يدفع بها إلى إبعاد الابن المعوق عنها.

الأسرة صاحب القرار

ومما سبق يتضح أن الأسرة هي صاحبة القرار في الإبقاء على الطفل أو إبعاده عنها وإرساله إلى مؤسسات الإقامة الكاملة والتي يخرج منها بعد فترة زمنية معينة ليعود مرة أخرى إلى أسرته وبيئته الطبيعية، فهي نهاية

المعوقون عقليا قبل كل شيء مواطنون لهم حق الرعاية الواجبة كأي مواطن آخر



المطـاف وأمـر حتمي في النهايـة مهما طـالت فترة الإيداع بالمؤسسات.

وفي هـذه اللحظـة يبدأ التفـاعل من جـديـد بين المتخلف وأسرتـه الطبيعية وقـد لا تستطيع الأسرة أن تتعامل مع هذا الابن، وذلك لعدم معرفتهم بطبيعة هذه الإعـاقـة وانقطـاع الصلـة لفترة طـويلـة بين الابن المتخلف عقليا وأسرتـه مما يـؤدي إلى شعـور الأسرة بالغربة نحو هذا الابن.

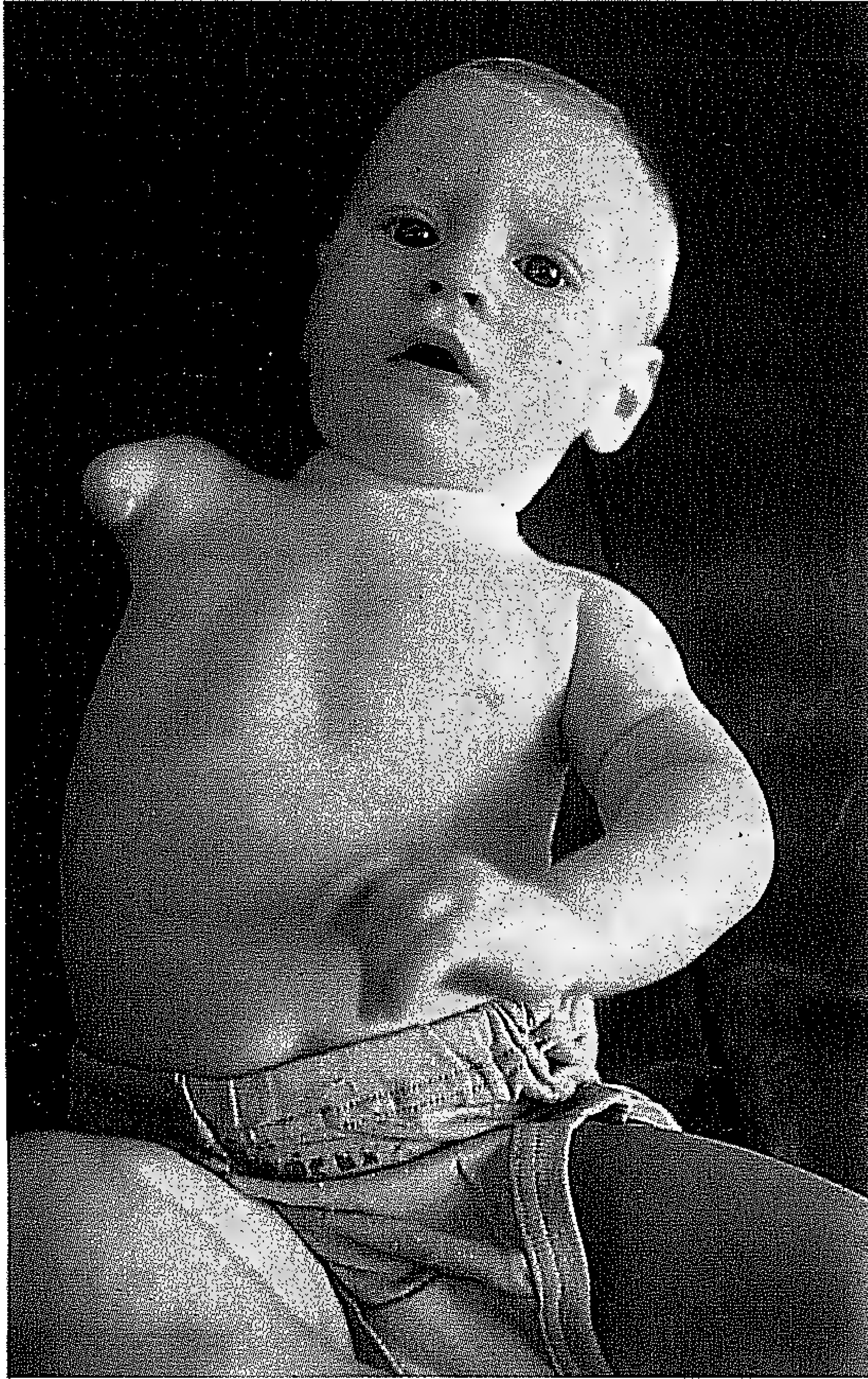
وقـد تتعـرض الأسرة إلى مجمـوعـة من العـوائق والصعوبـات التي تستلزم منهـا مطـالب تكيفيـة قـد تكـون فوق احتمالها مما يـؤدي إلى وقـوعهـا تحت الضغط النفسي.

وتشير كثير مـن الـدراسـات التي تعـرض الأسرة إلى أنواع مختلفة من الضغوط بعـد خروج الابن من المؤسسة.

فقـد كشفت بعض الدراسات أن نتائج خروج المتخلـف عقليـا مـن المؤسسات الـداخلية يمثل منبعـا جـديـدا للضغـوط وفـاجعـة ممكنـة للفـرد المتخلف وأسرتـه، فـالأسر تعـاني من عـدم قـابليـة المتخلف المشـاركـة في المجتمع بصرف النظـر عن اهتمام المجتمع بـه، كما تعـاني أيضـا من عـدم معرفتها بالحقوق الخاصة لهذا الابن بعد خـروجه من المؤسسة.

وتعطي نتـائج دراسـات أخـرى أبعـادا أخـرى للمشكلة لدى تناولها نظرة الأسرة للمتخلـف عنـد استخدامها للعناية الموجهة حيث تواجه الأسر ضغوطا شـديـدة كـونها تـرى المتخلف في صورة أكبر من تخلفه وذلك لبعـدها عنه، ومن المتغيرات التـي تلعب دورا في زيـادة الضغـوط الـواقعـة على الأسرة مـا يسببه مجيء الابن المعوق عقليـا مـن مشكـلات واضطـرابـات في دورة الحياة الأسرية.

وعلي الـرغم مـن أنـه لا يوجد أحد يعطف على الابن المتخلف عقليا مثل والـديه إلا أن تقبل الابن بعـد أن تكون الأسرة قد وصلت إلى مرحلـة الاستقرار النسبي يصبح عمليـة صعبـة ولا شك أن وجـود ابن من تلك الفئة يمثل مصـدرا شديدا للضغوط النفسية ومعاناة للأسرة ولاسيما الوالدين، وهـو مـا يشـار إليـه بالضغوط الـوالدية والتي تعنى تلـك الظـروف أو المطـالب المفـروضـة على الوالدين في سياق تفاعلهم مع أبنـائهم، الأمـر الـذي يفرض على الـوالدين نـوعا من التـوافق في سياق هـذا التفاعل.



نتائج الأبحاث

وتـوضح نتـائج بعض الأبحاث تعرض الأمهات إلى كثير من الضغوط النفسية بعـد خـروج الابـن من المؤسسـة وتـزداد درجـة الضغـوط مع نقص التقبل من الأخـوة العاديين لـلأخ المعوق عقليـا وعدم قـدرة الأم على الحفـاظ على التكامل العائلي وكذا تكرار مظاهر السلوك الانسحابي لدى الابن المعوق.

بـالإضافـة إلى تعـرض الوالديـن إلى أنواع مختلفة من الضغـوط النفسيـة والاجتماعية نتيجة خروج الابـن من المؤسسـة التعليمية، فقد عبرت بعض الأمهـات عـن قلقهـا على مستقبل الابن وكيف يكون مستقبلـه المادي، وعلى الـرغم مـن قيـام بعض الأمهـات بعمل تـرتيبـات مادية للابن المعوق عقليا إلا أنهم غير مطمئنين للرعـاية المستمرة الرحيمة لأبنائهم بعد الوفاة.

وعبرت بعض الأمهـات عن عدم فهمها لاحتياجات الابن المعـوق ومتطلبـاتـه، كما اضطرت بعض الأمهات إلى الاستغنـاء عـن عملهـا بـالخارج والحد مـن الاتصال بـالأصدقـاء، وقد أشـار بعـض الآبـاء إلى أن أبنـاءهم زائدو النشـاط والعدوانية.

وإزاء تعقـد الحياة ومـا تعانيـه الأسرة من معـاناة وصراعات يومية، بل لحظية والتي تتطلب جهـدا نفسيا وجسميا وضغوطـا شـديدة ينبغي دراسـة الضغـوط الـواقعـة على الأسرة التي لديها ابن معوق عقليا حيث تساعد دراسـة الضغوط في فهم السلوك الإنساني عند الفـرد وتـوافقـه مع ذاتـه وتكيفـه مع البيئة المحيطـة حتى يمكن محاولة تخفيف تلك الضغوط لد الآباء لما له من أثـر في رعـايـة الأبنـاء المعوقين.

فالمعوقون عقليا هم قبل كل شيء مـواطنون ولهم حـق الرعـاية الواجـبة كأي مـواطن آخـر لأن الرعـاية ليـست وقفا على فئـة مـن المـواطـنين دون الأخرى إلى جـانب أن القـدر حـرمهـم بعض الامتيازات التـي يتمتع بها الأسوياء.

التخلف العقلي يكون لدى الإنسان الذي لا يستطيع أن يساير أسلوب التربية العادية أو نظام التعليم العادي

فليس من المعقول أن يقسو عليهم المجتمع ويحرمهم الرعاية والعناية فهم يحتاجون للحب والحنان كما يحتاجون إلى الطعام والنوم وإلى رعاية بدنية خاصة، وتفهم وتقبل المجتمع لهم. وكذلك إلى جو أسري هادئ يشعر فيه بأنه مقبول.

كما يحتاج الطفل المعوق لأن يلعب ويسهم مع الأطفال الآخرين في نشاطهم وينبغي ألا يكون عضوا فاشلا، ويتطلب ذلك من الأسرة ومن المربين أن يولوهم جل اهتمامهم ويوفروا لهم العناية الخاصة والجو الصالح الذي يناسب حالتهم النفسية.

التخلف العقلي

هو حالة من الأداء الوظيفي دون المتوسط بشكل واضح في العمليات العقلية فالمتخلف هو الإنسان الذي لا يستطيع أن يساير أسلوب التربية العادية أو نظام التعليم العادي أو هو الطفل الذي لم يصل نموه العقلي إلى غايته فيقل ذكاؤه عن المتوسط، ويتصف الطفل بالعجز في جوانب العقل الثلاثة «الإدراك، الوجدان، النزوع» وهناك تقسيم قديم للتخلف العقلي وآخر حديث حسب نسبة الذكاء وسنكتفي بالتقسيم الحديث وهو نسبة ذكاء ٦٩: ٥٥ التخلف العقلي الخفيف، من ٥٤: ٤٠ التخلف المتوسط من ٣٩: ٢٥ التخلف العقلي الشديد على أن هناك صعوبة في تحديد العادي وغير العادي من المتخلفين من الناحية السلوكية لأن ذلك يتأثر بمكانة المجتمع، ويجب أن يقاس السلوك التكيفي.

أسباب التخلف العقلي

هناك عدة عوامل تؤدي إلى التخلف، منها ما يرجع إلى الوراثة كزيادة الكروموسومات إلى ٤٧ كروموسوما، ومنها ما يرجع إلى العوامل البيئية كتعرض الأم لأمراض معينة أو تعرض الطفل لإصابة المخ أو عدم توافق دم الأم مع زوجها أو تعاطي الأم العقاقير الطبية أو نقص الأكسجين أثناء الولادة أو الإصابة نتيجة استعمال الجفت أو الولادة قبل نمو الجنين أو النزيف أثناء الولادة أو التفاف الحبل السُري حول عنق الجنين أو سوء التغذية وضمور خلايا المخ، أو نقص إفراز الغدة الدرقية أو ولادة الطفل من أم كبيرة في السن أو أثر العوامل النفسية والاجتماعية وجهل الأسرة بالمكونات البيئية والحرمان الثقافي.

طرق تربية المتخلفين عقليا

إنه من الخطأ أن ينظر إلى ضعيف العقل على أنه لا فائدة من تعليمه أو تدريبه وأن أي مجهود يبذل من أجله يعتبر مجهودا ضائعا أولى به أن يستغل في نواحي أخرى فضلا عن أن الاهتمام بهذه الفئة واجب إنساني فهو لا يخلو من الفائدة الاجتماعية لأن تربية ورعاية هذه الفئة ستخلق من أفرادها أناسا عاملين يستطيعون القيام ببعض الأعمال التي تعينهم على كسب رزقهم في حدود إمكاناتهم وقدراتهم المحدودة أو على الأقل تمكنهم من خدمة ورعاية أنفسهم كما ستوفر لأسرهم من الاستقرار ما يساعدهم على التفاعل الاجتماعي السليم وهذه الطرق هي:

نظام المدارس الداخلية

وهذا النظام أقدم النظم التي اتبعت في تربية الأطفال غير العاديين ومنهم المتخلفين عقليا ويقضي فيها الأطفال عدة سنوات تقدم لهم في أثنائها الرعاية اللازمة من الغذاء ووسائل المعيشة المختلفة.

كما تقدم لهم الخدمات الطبية والنفسية والتربوية والترويحية وعلى الرغم من أن هذا النظام منتشر في معظم الدول إلا أن هناك كثيرا من نواحي النقد التي توجه إليه منها أنه يحرم الطفل من إشباع حاجاته النفسية كالحاجة للأمن وإلى التقبل والحب والانتماء كما يشعر الطفل بأنه غير مرغوب فيه وبأنه منفصل عن المجتمع مما يعوق نموه النفسي ويولد في نفسه مشاعر عدم الانتماء والرفض إلى كل شيء، وذلك لاختلاف المناخ داخل هذه المدارس عن المناخ داخل الأسرة حيث إن الطفل بين أسرته يشعر بالحرية والانطلاق والأمن والانتماء ويتفاعل مع إخوته.

المدارس الخارجية

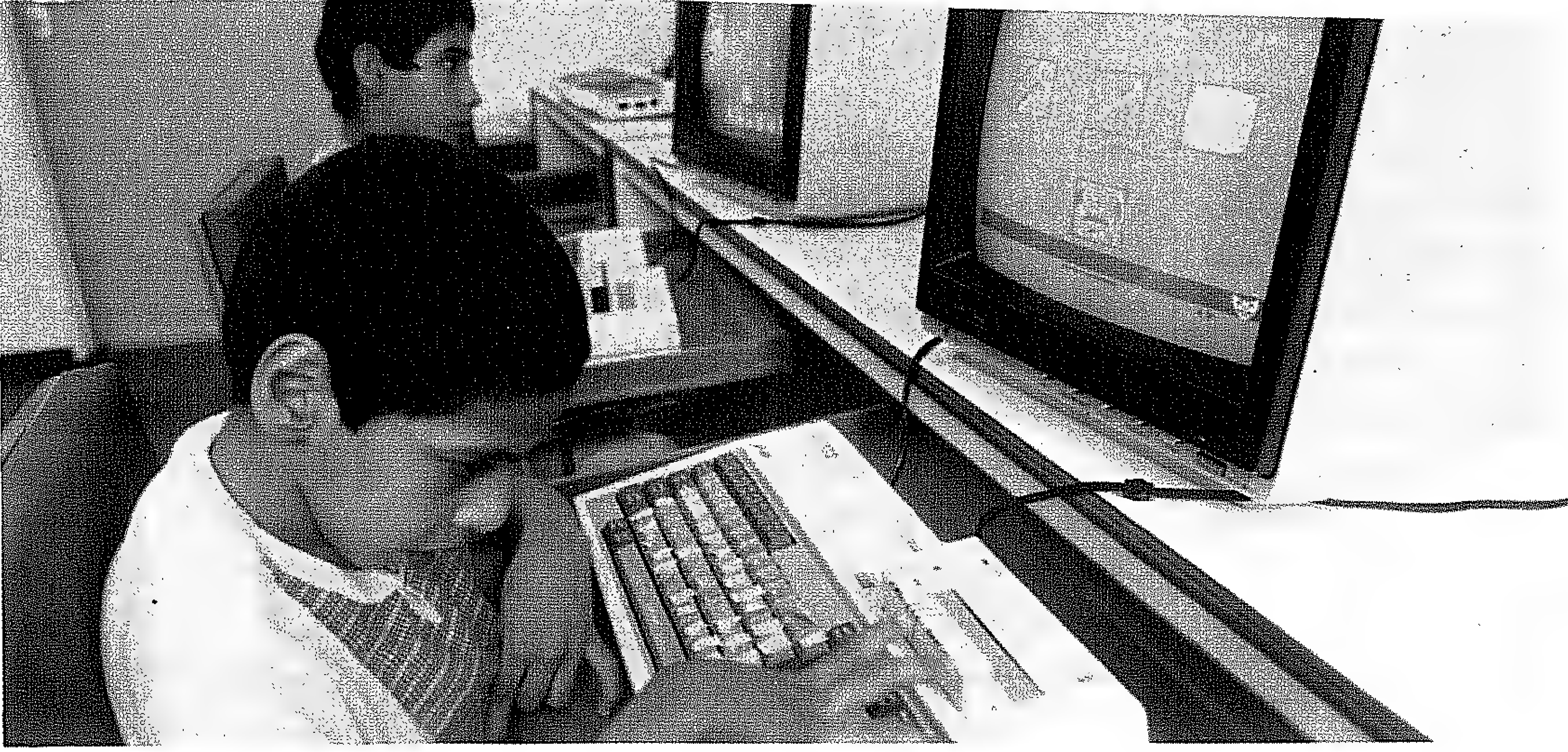
وتقبل هذه المدارس الأطفال المتخلفين حيث يقضون يومهم فيها ثم يعودوا إلى المنزل بعد انتهاء اليوم الدراسي ويعتقد المؤيدون لهذا النوع من المدارس أنهم بهذا لم يحرموا الطفل من الفائدة التي تعود عليه من حياته مع أسرته غير أن لها بعض السلبيات منها:

حرمان الطفل الاتصال والتعاون مع غيره من الأطفال العاديين والتفاعل معهم كما يشعر ببعض نواحي العجز والفوارق بينه وبين الأسوياء، مما يترك في نفسه أثرا سيئا.

نظام الفصول الخاصة

داخل المدارس العادية: ويعتقد أنصار هذا الاتجاه أنه يمكن به التغلب على نواحي القصور في المدارس الخاصة سواء الداخلية أو الخارجية حيث يلتحق الاطفال غير العاديين بفصول خاصة داخل المدارس العادية ويبقون بالفصول الخاصة في أثناء الفترات التي تقدم إليهم فيها خدمات تربوية خاصة ويشتركون مع غيرهم من الأطفال العاديين في أنواع النشاط التي لا تتأثر بنوع التخلف الذي يتصف به الطفل إلا أن هذا النظام لم يحقق النمو الأمثل للمتخلفين ذلك لأن اتجاهات التلاميذ العاديين نحوهم تتسم بالسخرية مما يعوق النمو النفسي لهم، ولهذا ظهر أحدث نظام لتربية المتخلفين عقليا

أسباب التخلف كثيرة منها ما يرجع إلى الوراثة كزيادة الكروموسومات ومنها ما يرجع إلى البيئة كأمراض معينة تعرض لها المعوق



فصدر قرار في أمريكا بقبولهم في المدارس العادية نفسها لأن الإنسان ينبغي أن يتعامل كإنسان تحت كل الظروف.

داخل الفصول العادية: ويقضي هذا النظام قبول التلاميذ المتخلفين في الفصول العادية نفسها مع التلاميذ العاديين وبذلك تتاح الفرصة للطفل المتخلف للاتصال والتعاون مع غيره من الأطفال العاديين لأن الطفل العادي في حاجة إلى أن يتعلم كيف يعيش مع غيره من الأطفال المتخلفين، وينبغي أن تساعد الطفل المتخلف على تحمل المواقف المؤلمة، وكيف يسيطر على نفسه إذا تعرض لمواقف إحباطية كموقف سخرية، ووجود العاديين تحت إشراف المربين وتوجيههم سوف يقلل من التعبير عن مثل هذه الاتجاهات السالبة ومن مهام التربية الحديثة تعديل الاتجاهات غير المرغوب فيها عند الأطفال العاديين نحو الأطفال المعوقين عملا بدعوة القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ [الحجرات - ١١].

وإهمال المدرس تعديل هذه الاتجاهات يعتبر تقصيرا في أداء رسالته، وينبغي على أسرة المتخلف عدم الضجر والسأم منه بل تتعاون معه وتساعده في أن يتعلم كيف يأكل تدريجيا كأن يعرف أولا اسم الشوكة ثم كيف يستعملها وكيف يذهب إلى الحمام وكيف يتعامل مع الآخرين ويمارس مهارات الحياة، وكيف يستخدم المواصلات عن طريق الثواب والعقاب وأن تعمل على تعاون إخوته معه.

كما ينبغي على أسرة المعوق أن تتجه إلى القراءة في الكتب المبسطة وأن يقوموا بزيارة الأماكن التي فيها معوقين وأن تتدرب على إجراء الاختبارات النفسية وأن يتقبلوا مهنة الطفل التي تناسب قدراته واستعداداته ويراعى إعداد معلم يصلح للتعامل مع هؤلاء التلاميذ، وحتى يكون ملما بخصائصهم ويدرك الفروق الفردية فيما بينهم وعلى التربية الحديثة أن تهيىء المجتمع لتقبل فئة المتخلفين عقليا لما لذلك من أثر طيب في نفوسهم بالإضافة إلى الناحية الإنسانية أو تلك التي تستمد من روح الإسلام وتعاليمه وقيمه الراسخة والتي تسعى لتحقيق السعادة للفرد والجماعة.

المراجع:

١- انتصار يونس: السلوك الإنساني - القاهرة - دار المعارف ١٩٧٨.

٢- إيمان فؤاد: أثر برنامج إرشادي في تعديل الاتجاهات الوالدية نحو أبنائهم المعوقين عقليا - رسالة دكتوراه كلية التربية - جامعة الزقازيق ١٩٨٩.

٣- حامد زهران: التوجيه والإرشاد النفسي - القاهرة - عالم الكتب ١٩٧٧.

٤- سمية طه جميل: مدى تقبل الأب والأم للإصابة بالتخلف العقلي وعلاقته بمفهوم الذات وتقدير الذات لدى الابن المتخلف عقليا - رسالة ماجستير - كلية التربية - جامعة طنطا ١٩٩٠.

٥- سيد الكيلاني: دراسة العلاقة بين الاتجاهات الوالدية والتوافق الاجتماعي لدى المتخلفين عقليا - رسالة ماجستير - كلية التربية جامعة عين شمس ١٩٨٦.

٦- صالح هارون: أثر البرامج التربوية الخاصة في توافق المتخلفين عقليا في المرحلة الابتدائية - رسالة دكتوراه - كلية التربية جامعة عين شمس ١٩٨٥.

٧- عبدالله الغانم: الاتجاهات العامة إزاء الأطفال المعوقين وتغييرها في العالم العربي - مؤتمر نحو الاتجاهات العامة إزاء الأطفال المعوقين وتغيرها في العالم الغربي - مؤتمرنحو الاتجاهات أفضل - القاهرة ١٩٩٠.

٨- كمال مرسي: التخلف العقلي وأثر الرعاية والتدريب فيه - القاهرة دار النهضة العربية.

٩- كمال مرسي: الطفل غير العادي من الناحية الذهنية - القاهرة دار النهضة العربية.

كروية الحياة

بقلم/عبد الرحمن قره حمود

من المؤسف
أن كثيرا من الناس، ممن يدعون
التقدمية ، درسوا فلم يعلموا وقرأوا فلم يفهموا،
حسبوا أنفسهم علماء، وماهم بعلماء ذلك لأن الله سبحانه
وتعالى حين وصف العلماء بقوله عز وجل: ﴿إنما يخشى الله من
عباده العلماء﴾ [فاطر/٢٨] قد أخرجهم من زمرتهم.

هؤلاء الناس يصدق فيهم قول العليم الخبير سبحانه ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا﴾ [مريم/٨٣].

إنهم جند إبليس، أو شياطين الإنس، فقد نشطوا ليل نهار، يدعون بمختلف الأساليب والطرائق إلى ترك الدين والابتعاد عما أمر به، والانغماس فيما نهى عنه، ووصف الداعين إليه والمتمسكين به بالرجعيين والمتخلفين.

ولو تتبعنا أقوالهم، وأفعالهم، وما يكتبون لوجدناهم متجردين من الفضائل داعين إلى الرذائل. يقلبون المفاهيم فيطلقون الأسماء الحسنة على ما هو سيء، فبعض الرذائل عندهم فن، ومن يعمل منهم في الأفلام الخليعة فهو بطل ونجم، وحتى الخمر التي سماها رسول الله ﷺ أم الخبائث هي عندهم مشروبات روحية. كل ذلك باسم التقدمية.

وأنا أقول: هل ترك الدين تقدم أم رجوع إلى ما قبل الأديان؟!

وإذا كان التمسك بالدين رجعية وتخلفا فماذا تكون العودة إلى أخلاق ما قبل التاريخ؟

وإذا كان الاعتداء على الأفراد بالوسائل الأولية عند الإنسان البدائي الجاهل وحشية وهمجية، فماذا يكون الاعتداء على الأمم وبالوسائل الحديثة عند الإنسان المتعلم والمتحضر؟!

وإذا لم يشفع للإنسان البدائي جهله فوصف بالهمجية والوحشية، فهل يشفع لابن أواخر القرن العشرين علمه؟! وبماذا سيكون وصفه؟!

لاشك أن الواصف سيلقى عنتا ومشقة، وبعد الحيرة سيقول: إنه لغز، لغز عجيب ومعجز، لله أبوه كيف استطاع أن يتقدم إلى الخلف، حتى لم يبق أمامه إلا أن يصل إلى حيث خرج؟

فلقد أثبت بالإضافة إلى كروية الأرض، كروية الحياة عليها■

الكون بين القرآن والعلم

إذا نظرت إلى السماء في ليلة مقمرة، وتأملت النجوم الزاهرة، فإنك سوف تعجب بهذا الكون، وقد تتبادر إلى ذهنك عشرات الأسئلة عن هذا الكون ونشأته.

وربما تظن أنك الوحيد من أفراد جنسك الذي يريد معرفة الكون فترتاب وتظن في نفسك المرض والعلة.

لكن فلتطمئن، أن كثيراً غيرك قد سلكوا نفس الدرب وسألوا نفس الأسئلة. بل إن الإنسان ـ عموماً ـ منذ بدء الخليقة يريد أن يعرف هذا الكون.

ولعل ذلك يظهر بوضوح في الأساطير القديمة، ومن هذه الأساطير ما افترض أن العالم قد خلق من العدم بفضل قدرة الله العليم القدير وحكمته، وهناك أساطير أخرى جاء فيها أن الخلق لم يحدث من العدم وأن العالم شكل من مادة.

وذهبت بعض المجتمعات إلى أن العالم قد انحدر عن أب وأم أصليين بينما رأت مجتمعات أخرى أن نظام الكائنات المخلوقة ظهر شيئاً فشيئاً مثله مثل نمو الجنين.(١)

الكون بين القرآن والعلم

إن القرآن الكريم هو كتاب الله المقروء، والكون هو كتاب الله المنظور وفيهما وصف لكل ما تتوق النفس إلى معرفته، وذلك مصداقاً لتمام النعمة التي أنعم الله بها على الإنسان، ألا وهي الإسلام.

ولذلك نجد أن القرآن وصف الكون بكل دقة ووضوح، وقد تكلم عن كيفية الخلق، فذكر أن خلق الكون قد تم على مراحل وأن

بقلم: مصطفى محمود السيد

السموات والأرض كانتا مادة واحدة محصورة في مكان صغير في الفضاء ثم تناثرت هذه المادة في الفراغ، لتكون النجوم والكواكب والمجرات قال تعالى: ﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾(٢).

وهذا يتفق مع ما يقول به العلماء من أن الكون قد كان في وقت سابق صغيراً جداً وذا كثافة هائلة ثم حدث الانفجار الكبير وتناثرت مكوناته في أرجاء الفضاء وتكونت السدوم والمجرات.

والكون الذي يحيط بنا عظيم جداً، لا يستطيع العقل البشري مهما أوتي من قوة في الخيال، أو سرعة في التفكير، أن يتصور حدوده لذلك فعندما يقسم الله بمواقع النجوم، فإنه يقسم بشيء له قدرته وهيبته قال تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾(٣).

ويقسم الكون إلى عدد هائل من عناقيد النجوم، التي يطلق عليها اسم المجرات وتدخل المجموعة الشمسية التي ينتمي إليها كوكب الأرض ضمن المجرات التي يشاهدها كل إنسان في قلب السماء وهي «درب التبانة» وتكون هذه المجرة على هيئة قرص ضخم يبلغ قطره ١٠٠ سنة ضوئية، كما أن النجوم تبعد بدورها بعضها عن بعض بمسافات هائلة ولعل ذلك يبين لنا الأبعاد الخرافية لهذا الكون.

ومن المعجزات العلمية الواضحة، ذكر القرآن لتمدد الكون واتساعه ولم يكتف بذلك بل أشار إلى أن هذا الاتساع سوف يستمر ويتزايد قال تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾(٤).

ولم يكتشف العلماء هذا الاتساع إلا في بداية القرن العشرين وذلك حين لاحظ «أدوين هابل» وهو من علماء الفلك البارزين أن الضوء القادم من المجرات ينزاح نحو اللون الأحمر، وهذا يعني أن المجرات القريبة تتباعد عنا بسرعات أقل من السرعات التي تتباعد بها المجرات الأكثر بعداً، وهذه هي الخطوة الأولى نحو فهم تعدد الكون واتساعه، في أحدث ثورة في علم الفيزياء.

وعند وصف المسافة بين المجرات، نجد أن القرآن الكريم قد تجنب استخدام كلمة الفراغ، بل أشار إلى وجود بعض المكونات المادية في ذلك الوسط قال تعالى: ﴿ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير﴾(٥).

وفي القرآن آيات عديدة تتكلم عن ظواهر الكون، كقوله تعالى: ﴿والسماء والطارق. وما أدراك ما الطارق. النجم الثاقب﴾(٧).

قد يكون المقصود بالنجم الثاقب هو كوكب الزهرة الذي يسمى أحياناً «نجمة الفجر» وقد يكون المراد بذلك هو النجم الذي يثقب السماء، فهو عندما يتحرك في الفضاء الكوني تترسب عليه الغازات بفعل جاذبيته، وهناك تفسير مختلف. هو أن المقصود بالنجم الثاقب هو النجم المضيء الذي يرسل الضوء الساطع.

يقول د. محمد جمال الدين الفندي: «إن من آيات كتاب الله العزيز، آيات تشير إلى كثير من قضايا العلم وتدخل بنا في جانب من

الكون الذي يحيط بنا عظيم جداً ولا يستطيع العقل البشري أن يتصور حدوده

تفاصيلها بطريقة موجزة ومعجزة في نفس الوقت.

ويعتبر هذا الأسلوب القرآني في تناول قضايا العلم أحد دلائل الإعجاز لأن القرآن وإن لم يكن كتاباً يشرح قوانين العلم ويوضح معادلاتها من فلك وفيزياء وكيمياء ورياضيات وبيولوجيا وغيرها، إلا أن له أسلوباً معيناً يشير إلى قضية من قضايا العلم ويقدمها بإيماءة خاطفة ولمحة سريعة ويلقي بها كومضة مشعلة قد لا يأبه لها المخاطبون بها، المعاصرون لها أو يفوتهم فهمها وتفسيرها ولكنها تلفت انتباه من أوتي حظاً من علم وعقل منير(٨).

ومن الأمور العجيبة والغريبة في نفس الوقت، أن بعض المجتمعات الإسلامية تضع العلم أحياناً في مواجهة الدين كأنهما خصمان لا يجتمعان، مع أن الدين قد دعا إلى العلم وذلك في أولى آيات القرآن قال تعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم﴾(٩).

ومن الأشياء المهمة التي يجب أن ندركها بوضوح: أن حقائق العلم هي نفسها حقائق الدين، وهي آلاء الله الذي خلق هذا الكون العجيب ولكن فهمنا لها يتطور بتطور الزمان»(١٠).

ومن ناحية أخرى، فإن آيات القرآن لا تتغير بمرور الزمن، ولكن مقدرة الإنسان على فهمها واستيعابها تتطور بالعلم، والعلم ينمو ويثمر ويقارب الحقيقة بحرية الفكر، وحرية البحث، ويهزل ويخبو إذا حجر على الفكر والبحث وإبداء الرأي.(١١)

وستبقى هذه الآيات إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، تهدي العقول الحائرة وتضيء في نفوس العلماء الطريق كي يروا إبداع الله، ويعرفوا أن هذا الكون قد خلق على مبدأ التوازن وذلك من أجل هدف نبيل، وغاية أسمى وهي استمرار الوجود.

ازدهار الحضارة الإسلامية

ونستطيع أن ندرك السبب الحقيقي الكامن وراء ازدهار الحضارة الإسلامية وهو دعوة القرآن إلى التأمل في ملكوت السموات والأرض ورفع قدر العلماء وتشجيع العقول المفكرة لكي تبحث في أسرار الطبيعة وتدرس قوانين الكون.

وكذلك دعوة الرسول الكريم إلى طلب العلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وان العالم ليستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وأن العلماء ورثة الأنبياء، وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»(١٢)

كما يحذر من يكتمونه وتوعدهم بسوء المصير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»(١٣).

وعلى ذلك ليس من المستغرب أن يتعمق المسلمون في جميع العلوم وبشتى اللغات حتى تتحقق فيهم صفة الموسوعية بمعنى اتقان العالم لعدة لغات أجنبية بالإضافة إلى لغته الأصلية.

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك ابن سينا عبقري الفلسفة ونابغة الطب ها هو يكرس حياته من أجل العلم والاطلاع وذلك بالرغم من التنقلات المفاجئة والظروف القاسية التي مر بها وهو لا يرى للحياة معنى بغير المعرفة يقول:

هذب النفس بالعلوم لترقي
وذر الكل فهي للكل بيت

تجده إلى جانب الفلسفة والطب يعشق علوم الطبيعة ويقول:

أشكو إلى الله الزمان فصرفه
أبلى جديد قواي وهو حديد
محن إليَّ توجهت فكأنني
قد صرت مغناطيساً وهو حديد

كما يحب أيضاً علم الفلك ورصد النجوم فيقول:

عطارد والله طال ترددي
مساء وصبحا كي أراك فاغنما
فها أنت فامددني قوى أدرك المنى
بها والعلوم الغامضات تكرما
وقني المحذور والشي كله
بأمر مليك خالق الأرض والسماء

ويوجد غير ابن سينا مئات العلماء ممن ساهموا في بناء الحضارة الإسلامية حتى أصبحت في يوم من الأيام منبعاً صافياً يسقي العقول الباحثة عن الحقيقة وشعاعاً ينير طريق الحائرين. ■

المصادر: القرآن الكريم.

ـ الله والكون، د. محمد جمال الدين الفندي.

الهوامش:

١ ـ رسالة اليونسكو، ص١، مايو ١٩٩٠.
٢ ـ سورة الأنبياء (٣٠)
٣ ـ سورة الواقعة ـ (٧٥ ـ ٧٦).
٤ ـ سورة الذاريات ـ (٤٧).
٥ ـ سورة المائدة ـ (١٧).
٦ ـ ص ـ (٦٦).
٧ ـ سورة الطارق ـ (١ـ٢ـ٣).
٨ ـ كتاب «عقيدتنا» ـ الشيخ عبدالله نعمة ـ ص ٩٩.
٩ ـ سورة العلق ـ (١ـ٢ـ٣ـ٤).
١٠ ـ كتاب (مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام) د. أحمد سليم سعيدان، ص ١٧٠.
١١ ـ المرجع السابق، ص ١٧١.
١٢ ـ رواه أبو داود وابن ماجة.
١٣ ـ رواه أبو داود والترمذي.

الكون ينقسم إلى عدد هائل من عناقيد النجوم تدخل ضمن المجموعة الشمسية تسمى المجرات

حفل تاريخنا الإسلامي ـ على امتداده ـ بمواقف العلماء المخلصين، الذين آثروا الحق على ما سواه، وجهروا بالحكمة والصواب، ولم يخشوا أحد إلا الله. فكانوا لا يرون بدعة إلا قمعوها، ولا فتنة إلا أخمدوها، ولا منكرا إلا ودفعوه بما يستطيعون.

صانوا وجوههم عن الذلة لغير خالقهم، قبضوا أيديهم، فلم يمدوها إلا بالضراعة إليه سبحانه وتعالى. فأبدل الله ذلهم عزا، وفقرهم غنى، وألقى عليهم المهابة، وجعل كلامهم ونصحهم موضع التقدير والقبول.

تربية العارفين
عالم وخليفة

بقلم: محمد الجاهوش

من هؤلاء الرجال الأعلام: الفضيل بن عياض، المتوفى عام ١٨٧هـ في خلافة هارون الرشيد.

ومن سير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٤٢٨ وما بعدها، ننقل ما جرى بينه وبين الخليفة هارون الرشيد ـ بتصرف يسير ـ ثم نستخلص من موقفه بعض الدروس والعبر، لعل أن يجد علماؤنا فيها نفعا، وحكامنا موعظة.

روى الإمام الذهبي بسنده عن الفضل بن الربيع، قال: حج أمير المؤمنين ـ يعني هارون الرشيد ـ فقال لي: ويحك، قد حك في نفسي شيء، فانظر لي رجلا أسأله. فقلت: ها هنا سفيان بن عينيه، فقال: امض بنا إليه، فأتيناه، فقرعت الباب، فقال: من ذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعا، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أرسلت إلي أتيتك. فقال الرشيد: خذ لما جئتك به، فحدثه ساعة، ثم قال له: عليك دين؟ قال: نعم. فقال لي: اقض دينه، فلما خرجنا قال: ما أغنى صاحبك شيئا. قلت: ها هنا عبد الرزاق. قال: امض بنا إليه، فأتيناه، فقرعت الباب فخرج، وحادثه ساعة، ثم قال: عليك دين؟ قال: نعم. قال: اقض دينه. فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئا، فانظر لي رجلا أسأله، قلت: ها هنا الفضيل بن عياض، قال: امض بنا إليه، فأتيناه، فإذا هو قائم يصلي، يتلو آية يرددها، قال الرشيد: اقرع الباب، فقرعت، فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين. قال: مالي ولأمير المؤمنين؟! قلت: سبحان الله! أما عليك طاعة؟ فنزل ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة، فأطفأ السراج، ثم التجأ إلى زاوية، فدخلنا فجلعنا نجول بأيدينا، فسبقت كف أمير المؤمنين قبلي إليه، فقال " يالها من كف! ما ألينها إن نجت غدا من عذاب الله. فقلت في نفسي: ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي، وجرى بينهما الحوار التالي:

الرشيد: خذ لما جئناك له، رحمك الله.

الفضيل: يا أمير المؤمنين: إن عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ لما ولي الخلافة، دعا سالم بن عبدالله، ومحمد بن كعب، ورجاء بن حيوة، فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء، فأشيروا علي ـ فعد الخلافة بلاء، وعددتها أنت وأصحابك نعمة ـ فماذا كان موقف من استشارهم؟

قال له سالم: إن أردت النجاة فصم عن الدنيا، وليكن إفطارك منها الموت.

وقال له ابن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله، فليكن كبير المسلمين عندك أبا، وأوسطهم أخا، وأصغرهم ولدا. فوقر أباك، وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك.

وقال له رجاء: إن أردت النجاة من عذاب الله، فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إذا شئت.

يا أمير المؤمنين، وإني أقول لك هذا، وإني أخاف عليك أشد الخوف. يوما تزل فيه الأقدام، فهل معك ـ رحمك الله ـ من يشير عليك بمثل هذا؟

الرشيد: صمت، ثم ينفجر باكيا حتى يغشى عليه.

ابن الربيع: أيها الشيخ، ارفق بأمير المؤمنين.

الفضيل: يا بن أم الربيع، تقتله أنت وأصحابك، وأرفق به أنا؟

الرشيد: ـ وقد أفاق ـ زدني رحمك الله.

الفضيل: بلغني أن عاملا لعمر بن عبدالعزيز شكى إليه،

فجدير بمن وضعه الله ـ تعالى ـ في موضع المسؤولية، أن يختار في بطانته من يبصره دربه ويجلي له الحقائق على هدي كتاب الله

فكتب إليه عمر: يا أخي، أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك من عند الله، فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم عليه، فسأله: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك، لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله.

الرشيد: ـ بكاء ونشيج ـ زدني أيها الشيخ، فقد طال لنا العهد عن مثل هذا الكلام!

الفضيل: يا أمير المؤمنين، إن العباس ـ عم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جاء إليه فقال: أمرني، فقال له: «إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميرا فافعل».

الرشيد: ـ وقد كفكف دموعه ـ زدني رحمك الله ـ.

الفضيل: يا حسن الوجه، أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: من أصبح لهم غاشا، لم يرح رائحة الجنة.

الرشيد: ـ وقد غالب فضل دموعه ـ هل عليك دين أيها الشيخ المبارك؟

الفضيل: نعم، دين لربي، لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن سألني، والويل لي أن ناقشني، والويل لي أن لم ألهم حجتي.

الرشيد: إنما أعني من دين العباد.الفضيل: ان ربي لم يأمرني بهذا، أمرني أن أصدق وعده، وأطيع أمره، فقال عز وجل: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذرايات ـ ٥٦].

الرشيد: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك، وتقوى بها على عبادة ربك.

الفضيل: سبحان الله! أنا أدلك على طريق النجاة، وأنت تكافئني بمثل هذا ؟! سلمك الله ووفقك.

الفضل بن الربيع. فلما صمت الشيخ خرجنا، فقال الرشيد: يا أبا عباس، إن دللتني فدلني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين. وقبل أن نغادر عتبة الدار سمعنا صوت امرأة تخاطب الشيخ وتعاتبه، كيف يرفض المال وهم في ضيق وكرب. فطمعنا أن يستجيب، ويأخذ العطاء، فتريثنا، ننظر ما يصنع.

فما راعنا إلا صوته ـ وقد زادت حدته، وعلت نبرته وهو يرد عليها قائلا: إنما مثلي ومثلكم كمثل قوم لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه، فأكلوا لحمه. فعرفنا أن لا سبيل إليه.

دروس وعبر:

كرم الأصل، وشفافية الإيمان، يقوي أثر النفس اللوامة في أعماق الإنسان، فما تنفعك تلومة على التقصير والتفريط، وعدم الاستزادة من الخيرات.

وهذا ما كان من ـ الرشيد ـ حيث لم يستطع الصبر على ما يحك في نفسه. لقد تدثر الخليون من حوله لحف السلام، وألقوا بتبعات الهموم على تصرفات الأيام. أما عين الرشيد فباتت تدافع لذيذ الكرى، وتساهر النجم مع مر السهاد.

إنه الهم يهد جبابرة الرجال، ولا يزيح وطأته عن الصدور إلا التعلق بحبال الرجاء، واطمئنان القلب بذكر الله عز وجل.

لقد أدرك الرشيد هذا، فذهب يلتمس شفاء ما به عند أهل الورع والتقى الذين ينظرون بنور الله. فهم أساة النفس، وأطباء القلوب، وهم مصابيح الهداية في داجيات الخطوب، ومدلهمات الأحداث.

فجدير بمن وضعه الله ـ تعالى ـ في موضع المسؤولية، أن يختار في بطانته من يبصره دربه ويجلي له الحقائق على هدي كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم.

وحري بأهل العلم والورع أن يحافظوا على إرث النبوة، ويتحلوا بأخلاق أسلافهم من أهل الخير والتقى، ويستعلوا على حطام هذه الدنيا الفانية، ويقدموا تعاليم الإسلام صافية نقية، مذكرين بوعد الله ووعيده. كل ذلك بأسلوب الناصح الشفيق، المترفع عن الجري وراء مصالحه الشخصية، الصائن لدينه وعرضه.

إن في موقف الرشيد هذا ما يدحض افتراءات المغرضين والحاقدين على الإسلام وأهله، ممن يتهمون الخليفة العابد المجاهد بتهم لا يسعفها دليل، ولا تثبت أمام النقد والتمحيص.

فلو أنه كان كما يزعمون، لذهب ينشد راحته في مجالس اللهو والشراب، وسماع المعازف والقينات. شأن غير ذوي الصلاح من أرباب المناصب في كل زمان ومكان.

فهل يأتي اليوم الذي نرى فيه روايات تاريخنا منقحة ـ سندا ومتنا ـ على طريقة أهل الحديث، لنفيد من تاريخنا، وننصف أسلافنا، ونتابع المسيرة على نور وبصيرة؟

سيبقى الأمل معقودا على جيل الصحوة.

سدد الله الخطى، ووفق الجميع ■

وحري بأهل العلم والورع أن يحافظوا على إرث النبوة، ويتحلوا بأخلاق أسلافهم من أهل الخير

النعمة بين الشكر والكفر

بقلم/ د.محمود محمد عمارة

يأخذ الشكر في الاسلام معناه المتراحب.. حين يتجاوز الأقوال إلى الأعمال.. ليتم معناه كمالا فحقيقة الشكر: الثناء على المنعم. ومحبته. ثم العمل بطاعته.

والأصل في ذلك القرآن الكريم والسنة المطهرة يقول تعالى: ﴿اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور﴾(١).

دلت الآية الكريمة كيف بدأ الشكر في صورته الحركية عملا دائبا..

وفي سورة الاحقاف يقول تعالى: ﴿... رب اوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين. أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾(٢).

بعد أن تحدثت الآية الأولى عن دعاء المؤمن ربه التوفيق إلى الشكر.. جاءت الآية الثانية استجابة لهذا الدعاء بتسمية الشكر «احسن ما عملوا» ليأخذ معناه المتراحب: قولا باللسان وعملا بالاركان..

ولما قيل ﷺ: «أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا؟»(٣).

ويلاحظ أنه ﷺ سمى الأعمال شكرا. وأخبر أن شكره عليها هو: قيامه بها ومحافظته عليها.

وقد فهم المسلمون ذلك المعنى. وهذا شاعرهم يصور هذه الابعاد المترامية لحقيقة الشكر في قوله:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة
يدي ولساني والضمير المحجبا

(فاليد: الطاعة.
واللسان: الثناء.
والضمير: للحب والتعظيم)(٤).

الشكر يساوي الإيمان

ويعني ذلك أن الشكر هو عين الإيمان الذي هو في مفهومه: قول وعمل..

فالتوفيق إلى فضيلة الشكر تعبير عن هذا الإيمان..

ومتى أخل المرء بواجبات الشكر فقد أخل بواجبات الايمان.

وفقدان الشكر معناه: فقدان الإيمان.. وذلك قوله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾(٥)

فالحق سبحانه وتعالى يعلم الناس أن الشكر سبب لزيادة النعم.. ووفرة النتاج. بقدر ما يكون نكرانها كفرا يعاقبون عليه بالعذاب.. والعذاب الشديد.

ومن صور هذا العذاب:

فرار النعم من بين أيديهم: فيغيض الماء. ويكون الجفاف.. ويقل الغذاء.. فيضمر الجسم.. ويكون المرض..

ولا حياة هناك بين شقي الرحى: مرض الطبيعة.. ومرض الانسان.

واذن.. فما أصعب مهمة شكر النعمة.. مادامت هكذا: قولا.. وعملا.. وهذا بعض ما يفهم من قول ابن عوف رضي الله عنه:

(ابتلينا بالضراء فصبرنا. وابتلينا بالسراء فلم نصبر) يعني: (لم نشكر).

وهو درس للأمة التي تحاول الخروج من مشكلاتها.. راغبة في استعادة ما زايلها من نعم.. أن تحسن الشكر..

يقول ابن الجوزي:

(من أحب تصفية الأحوال فليجتهد في تصفية الأعمال.. ومتى رأيت تكديرا في حال. فاذكر نعمة ما شكرت.. أو زلة قد وقعت. فاحذر من نفار النعم. ومفاجأة النقم)(٦).

تأملات في الآية الكريمة

إن الآية الكريمة بيان للناس.. وهدى وموعظة للمتقين منهم.

بيان وإعلام بسنة من سنن الله تعالى في الاجتماع البشري:

يجليها للناس «ربهم» الذي تعهدهم بعنايته فانشأهم ابتداء.. ثم هاهو ذا سبحانه يبصرهم بمضلات الطريق.. حتى يصلوا إلى غاياتهم سالمين:

نعمة الغني وقوفه إلى جانب المحتاجين ونعمة العلم تعليم الجاهل وهما قيم ترفع الأمة ويبنيان الخلود

لئن.. شكرتم..
وفي إن معنى التشكيك في نهوضهم بتكاليف الشكر..
وهو ليس تعجيزا.. وإنما هو:
تحريض عليه.. وإلهاب للمشاعر.. ودعوة إلى مراجعة النفس والوعي بحجم النعم التي يتقلب فيها الإنسان.. حتى إذا تصورها من جديد على ضوء هذه الاشارة.. هب من رقاده شاكرا ذاكرا.
إلا وإن الاحساس بهذه النعم سبيل إلى نمائها..
وذلك قوله تعالى ﴿لأزيدنكم..﴾ والنعمة ضيف.. فلنكرمه.. ليستدعى غيره.. ولعل التأكيد باللام هنا.. لفت للعقول كي تحسن قراءة النعم.. التي قد لا ندركها فإذا شكرتم.. فبها..
وإلا.. فإن الجحود.. سيكون كفرا..
والكفر بغيض في حس المسلم.. وإذن فالتعبير به: تنفير منه.. ومن تبعاته..
ولا تقول الآية الكريمة ﴿ولئن كفرتم.. لأعذبنكم﴾
وإنما تقول: ﴿إن عذابي لشديد﴾.. ترهيبا.. ومن بعيد.. ليتوقى المسلم كل بادرة تقربه من دائرة الكافرين.. وليتخلق بفضائل المسلم الذي من شيمته:
أن يشكر نعمة الصحة والقوة بمساعدة الضعيف..
ونعمة الغنى.. بالوقوف إلى جانب المحتاجين.. ونعمة العلم.. بتعليم الجاهل.. وانها لقيم ترفع بها الأمة للحضارة بنودا.. وتبني فوق الخلود خلودا.

شواهد من القرآن الكريم

من الأدلة القرآنية على أهمية الشكر: أن الله تعالى استثنى في أمور كثيرة ما عدا الشكر. فانه تعالى حسم الحكم فيه بلا استثناء.
لقد استثنى تعالى في الرزق:
﴿يرزق من يشاء وهو القوى العزيز﴾(٧)
وفي الدعاء:
﴿بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه إن شاء﴾(٨)
وفي المغفرة:
﴿فيغفر لمن يشاء﴾(٩)
وفي الرحمة:
﴿يختص برحمته من يشاء﴾(١٠)
وفي التوبة:
﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم﴾(١١)
أما في الشكر فقد قال سبحانه:
﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد﴾(١٢).
ذلك بأن الانسان يتقلب في نعم الله.. ثم هو يعرض هذه النعم للزوال بمعاصيه..
ومن ثم يرشده الله تعالى إلى ما يستديم به هذه النعم وهو الشكر.

فالنعم إذا شكرت.. قرت.. وإذا كفرت. فرت.

الشكر أعلى درجات العبادة

وعلى هذا الأساس يجوز لنا أن نقول: إن الشكر أعلى مستويات العبادة.. لماذا؟
أولا: هو يقين بأن النعمة من الله وحده.. وهذا توحيد.
وثانيا: الاحساس بفضل النعمة على الشاكر.. وهذا معرفة بقدر الله تعالى.
وثالثا: ثم إن الشاكر يصرف نعمته تعالى فيما خلقت له..
وهذا يعني أن الشاكر: خائف.. وجل.. منقاد للحق تعالى.. خاضع له سبحانه.. إنه شاعر بأنه عبد الله منتفع بعطاء ربوبيته.. فكيف لا يعطي حق وحدانيته؟
وينشأ عن هذا كله: حب العبد ربه.. والثناء عليه..
وبهذا يستجمع الشاكر خصائص العبودية.. المحتسبة.. المعترفة بالجميل.. لواهب الجميل سبحانه.

أبعاد النعمة

وإذا كان للشكر معناه الكامل الشامل للقول والعمل.. فمذا عن مفهوم النعمة في حياة العابدين؟
إن للنعمة مفهومها المتراحب:
فهناك نعمة النفع.. ونعمة الدفع.. بل هناك نعمة البلاء أيضا!

نعمة النفع

وهي ذلك اللون من النعم التي يتنافس فيها المتنافسون.. ومن أجلها يتحاسدون: فصاحب الألف يرجو أن تكون ألفين.. وصاحب العش يرجوه قصرا.. والمرءوس يسعده أن يكون رئيسا.. والوالد المعنّى.. والذي يتحرق شوقا إلى ولد.. فإذا جاء أنثى حزن..
وإذا رزق من الولد الاناث والذكور جمحت به آماله عبر مستقبل وردي يرى فيه واحدا طبيبا.. والآخر مهندسا.. والثالث على الأقل مدرسا!
وهيهات أن تكون الاقدار على هوانا.. وتمضي بناحياتنا.. هكذا فلا نكاد نتوقف عبر الرحلة الطويلة كي نلتقط أنفاسنا. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب..

نعمة الدفع

ويمكن أن نقف بهذا الركب الراكض اللاهث وراء الآماني البعيدة.. ليحس بما يتقلب فيه من نعمة الدفع التي هي أعظم من سابقتها أثرا:
ولنتأمل واقع الناس من حولنا.. فماذا نرى؟
إنهم يتنافسون في بناء القصور.. والأرض.. والخيل

من الممكن أن نقف وراء الأماني البعيدة لهذا الركب الراكض اللاهث للاحساس بالنعمة

المسومة والانعام.. والحرث.. فإذا حصلوها.. شكروا واهبها سبحانه.. ربما.. وإذا لم تواتهم أقدارهم.. رجعوا إلى نفوسهم.. باللوم.. وإلى حظوظهم بالخيبة.. ثم نكسوا على رءوسهم.. فتسمع الرجل.. الصحيح الجسم.. الحصيف الرأي.. تقف من ورائه زوجة وفية.. وأبناء بررة.. تسمعه يلعن الظروف التي مكنت غيره من الدار الواسعة.. والسيارة الفارهة.. والراتب الضخم.. بينما هو من كل أولئك صفر اليدين (وعاجز الرأي مضياع لفرصته)..

ونحن باسم الحق نقطع عليه وعلى أمثاله الطريق لنقول له:

أنت معذور.. لأنك ابن عصرك الذي حصر النعمة فيما يقتني الناس من صور المتاع.. ولكن.. أين أنت من نعمة الدفع التي هي أجل خطرا وأعظم أثرا؟ أين وعيك بآلاف البلايا التي أصاب الله تعالى بها غيرك.. ثم عافاك منها؟ هل قرأت في الصحف اليومية نبأ الابن الذي قتل والده.. والزوجة التي غدرت برفيق العمر.. وهل سمعت خبر ذلك الغني الذي يملك ما لذ وطاب.. من متع الدنيا.. ثم هو محروم من كنز مدفون في كيانك لا يشترى بماله ومثله معه..

إنه المعدة التي تهضم بها الحجر.. بينما يذيبه الأسى حين يراك من شرفته العالية وأنت سائر في الطريق.. تأكل عبر الطريق.. لا تشكو عسرا في الهضم.. ولا غصة في الحلق!! ثم تعود إلى زوجة وفية.. مطيعة.. عفيفة.. وولد بار.. يمتد به عمرك..

حاول أن تراجع نفسك بهذا المقياس لترى كم أذهب الله عنك من مصائب.. واحمد الله واشكره شكرا لن يكافئ مزيده سبحانه.. واذكر ذلك الذي دخل المسجد بلا حذاء آسفا.. فوجد آخر بلا قدم.. فحمد الله كثيرا..

رحلة اللقمة

وما أكثر النعم التي تحتوينا.. ولكن الغفلة تنسينا..

ولنتأمل واحدة من نعم لا يحصيها العادون.. وهي المتمثلة في رحلة اللقمة التي تتم بها نعمة الأكل..

جاء في مختصر منهاج القاصدين:

الاسباب التي تتم بها نعمة الأكل هي:

حاسة اللمس.. للملاصق.

وحاسة الشم.. للبعيد.

وحاسة البصر.. لتدرك ما تعثر عليه بالشم.. وما غاب عنك.

وحاسة السمع لتدرك ما وراء الجدار فرارا من ضرره مثلا..

وحاسة الذوق لتدرك النافع.. لا كالشجرة التي يصب في أصلها المائع.. فتجذبه..

ـ ولا ذوق لها ـ فيكون جفافها.

ثم العقل.. لتدرك به النافع من الأطعمة..

ثم خلق الله تعالى لك القدرة والارادة والحركة.. والشوق الممدود إلى الأكل.. وإلا هلكت.

ولا يعرف الانسان الذاهل من هذه النعمة الا أنه يجوع فيأكل ولكن البهيمة أيضا تعرف ذلك!

والاطعمة أنواع:

أغذية.. وأدوية.. وفواكه:

ولو كان عندك حنطة لم تزرعها.. لاكلتها.. وفنيت..

فعلمك الزراعة..

وهناك الأرض.. والجو..

وخزن لك الماء في الجبال.. حتى لا يندفع مرة واحدة..

والشمس.. تسخن.. والرياح لواقح.. تسوق السحب..

ولما كان الغذاء مفرقا.. سلط على التجار حبه.. وإن كان فيه هلاكهم لينقلوه إليك.

ومعنى ذلك أنك أيها الانسان: كلك نعمة!

فلو لم يرد الله تعالى سمعك.. ما سمعت..

ولو لم يرد بصرك.. ما ابصرت..

ولو لم يرد علمك.. ما علمت.

فعليك أن تذكر المنعم سبحانه وتعالى أبدا.. لأن نعمه عليك دائمة أبدا.

إن شكر المنعم واجب أبدا.. لأن معنى النعمة أنه تعالى:

أجاب سؤلك.. فحقق أملك.

وصد ق ظنك.. وأضحك سنك.

وأتحفك بكرمه.. وأطلع في أفقك شموس نعمه..

رعى جانبك.. وبلغك مأربك..

وأسكنك من العلياء قببا.. وفتح لك إلى دار السعادة أبوابا..

أقسام النعمة

من بيان ما ترسب في وجداني من دروس شيوخنا:

أن النعمة قسمان:

دينية.. تخدم المطلوب الشرعي..

ودنيوية.. تخدم الدنيا.

والنعمة الدينية أجل النعمتين.. لماذا؟

لأنها تعني: معرفة الحق لذاته.. ومعرفة الخير للعمل به.. وتلك أكبر نعمة..

إن الحق أسمى شيء.. فغير معقول أن يتخذ وسيلة لما هو أعلى منه.. فلا أسمى منه هناك.. وكل الأهداف دونه..

وطلب الحق لغير ذاته:

يبعد طالبه عن الوصول إليه.

ثم يمنع النعمة الحاصلة بمعرفته.

وحتى يظل المسلم راغبا في نعمة الوصول إلى الحق دائما.. شاكرا الحق تعالى عليها.. فلابد له من: ثقافة عالية.. وارادة عصية على الأهواء مستعلية.. يتخلص بها من حظوظ النفس المعارضة للحق..

ولذلك.. كانت ارادة الحق.. وادراكه أجل نعمة في حياة

المسلم يظل راغبا في نعمة الوصول إلى الحق دائما والشكر له دوما

الأمة.. ولا يتم ذلك إلا بلـون من التربية الصـارمة.. لتظل الأمة ماضية على طريق التقدم.. ولن يكون ذلك التقدم إلا بأمرين:

أ- تحمل مشقات إرادة الحق.

ب- والقدرة على معرفة الحق.

معرفة الخير

ومعرفة الخير مشروطة بالعمل به.. لأن معرفة الخير دون العمل به لغو.. لأنه مجهود ضائع:

لأن مقصود معرفته: تحقيقه في النفس.. ثم في اليأس..

واذن.. فـالاكتفـاء بمعـرفتـه دون العمل بـه حجـة على صاحبه. يستحق بها الذم.

أساس نعمة الدنيا

وأساس نعمة الدنيا: الأمن.. والصحة..

فالخوف والمرض مانعان من الاستمتاع بها..

ولكن الاستمتاع محكوم بضوابطه الاسلامية:

فينبغي أن يكـون الاستمتاع بـالنعمة على وفق مـا رسم الشـارع الحكيم.. إلى جـانب تـوسيع دائرة الاستمتـاع.. بايصال أكبر قدر من الخير إلى الناس..

وذلك أيضا مشروط بضابطه وهو:

عدم التصادم مع مقصود الشرع:

مثل الربا: فإن له منفعة لـلآخرين.. لكنه يصطدم بأصل شرعي.. ومن ثم كان حراما.

من مسوغات شكر النعم

مما يعين الانسان على شكر نعمه تعالى:

احساسه بهذه الحقائق

فالعطـاء من الله تعـالى وحده. لا لمخلوق مهما كـان غنيا قويا.

فاللـه تعالى وحده هـو مالك: الـرزق.. والخير.. والقلوب مسخرة لـه.. والأسباب والمسببـات في قبضته: إن شـاء أعدمها فرجع طالب المنفعة خائبا وهو حسير.

ومعنى هذا:

أن النعمـة ابتداء.. منـه سبحانـه.. ودوامهـا إليه تعـالى بـاستمرار عطـائه.. فما قـدر لك.. لن يمنعه أحـد.. مهما استغنيت ومهما زين لك الشيطـان.. ومهما أرقت من ماء وجهك..

وإذا كـان الحق تعـالى ينعـم عليك على قـدره.. فعليك أن تشكره سبحانـه على قدرك كبشر.. ولا يتم ذلك الشكر الا بتجاوز نقطة الضعف في كيانك كإنسان وهي:

أن النعمة إذا مستك.. نسيت المنعـم.. وذكرتها.. بل ربما نسبتها إلى غيره سبحـانه.. وكثير من الناس يستغـرقون في النعمة خوفا عليها.. وقد يشغلهم الخوف على افلاتها.. عن شكرها..

وسـوف يجيئهم العقـاب رادعا.. متمثـلا في الابتـلاء بما ينغصها.. فلا تدوم.

نعم الله تعالى في الآفاق

ومن مسوغات الشكر ما بثه الله تعالى في الكون من آيات شاهدة بعظمته موجبة لشكره والثناء عليه:

فالكـون قائم: على نظـام ثابـت.. بقدر معلـوم.. وهدف مرسوم والشرائع كذلك على أوفى معاني العدل..

فالكون في ناحيته: المادية.. والفكرية حق متناسق..

ومن شكر هـذه النعمة إقامـة الحياة على الحق.. من أجل أن تنسجموا مع الكـون.. والا فبكفر النعمة تتصـادمون مع: فطـرتكم.. من الـداخـل.. ومع فطرة الكـون من الخارج.. وتفاديـا لهذا المصير المرعب.. علكيم أن تفتحوا الابصار والبصائر.. ليتنامى الاحساس بما في الكون من نعم.. وواجب الانسـان أن يـؤهـل نفسـه دائما لـرحلة الاعتبار الواسعة:

إنه يسير بنفسه في مناكب الأرض..

وان يسير بفكـره في دروب التـاريخ.. ليعود من الـرحلـة الطويلة خلقا جديدا.

لقد كثـرت في الناس اشارات الحمـد والشكر.. ولكن قلت فيهم حقيقتـه وروحه.. وهي محاولـة لتفريغ الفضـائل العملية من مضمونها..

ومن وراء ذلك أعداؤهم الـذين يريـدون تخدير المسلمين بتصدير سلبياتهم اليهم.. فليحذر المسلمون.

نعمة فوات النعمة

لقد كان إحساس أسلافنا بالمنعم سبحانه وبفضله قويا راسخا.. من أجل ذلك دار هواهم حيث كان رضاه تعالى..

وحتى في الـوقت الذي يحجب اللـه تعالى النعمة فيـه عن أحدهم.. ومع شدة غرامه بحصـولها.. فانه من فرط ثقته بقضاء ربه تعالى فانـه يجد في فوات النعمة نعما أخرى لا يحسها الا الشاكرون!

قال العلماء: لا تندم على نعمة حجبها عنك.. لماذا؟

١- فقد حماك الله تعالى من هم تحصيلها.

٢- ثم حماك من هم حفظها بعد تحصيلها.

٣- ثم نجاك من الغم على فواتها.

٤- وأعفاك من هم الحساب عليها.

وقـد ترتـب على هذا الفهم الـواعي انبسـاط النفس حتى لحظة الفقـدان.. وفي الوقت الذي يبكي فيه الـوالهون ما فاتهم من آمال لم تتحقق.. يتجاوز المؤمنون هذه المحنة.. ليجعلوها منحة بهذا الادراك السليم.

الاستمتاع بالنعمة يكون على وفق ما رسم الشارع الحكم

كان إحساس أسلافنا بالمنعم سبحانه وبفضله قويا راسخا.. من أجل ذلك دار هواهم حيث كان رضاه تعالى..

ومنهم تلك المرأة التي قيل لها:
نلاحظ أنك في حالة اليسر والرخاء.. مضطربة وجلة.. بينما الأمر بالعكس لحظة وقوع المصائب.. فاننا نراك مستبشرة راضية..
ولقد فسرت المرأة المؤمنة الواعية هذه المعادلة بقولها:
إنني في حالة النعمة.. أتوقع الحساب بعدها.. ولهذا فأنا قلقة.. حذر هذا الحساب الوشيك..
أما في حالة المصيبة.. فانني أتوقع من بعدها الفرج.. وهذا سر استبشاري!
ولقد كان التذكير بنعمة الله مما تواصى به الصالحون:
قال الخليفة لمن مدحه يوما: أما علمت بالنهي عن المدح في الوجه.. فقال المادح:
أنا لا أمدحك.. وانما اذكرك بنعمة الله عليك لتشكرها:
فقال الخليفة: هذه أحسن من المدح.. ثم أمر له بجائزة!
وقد صار ذلك المسلك منهج المؤمنين.. الذين أحسنوا فلسفة الواقع مهما كان قاسيا.. حتى تتجلى نعمة الله تعالى.. ومن خلال الغيوم الداكنة:
شكا رجل إلى عالم أن لصا دخل بيته فسرق كل متاعه.. فقال له العالم.
احمد الله تعالى أن دخل بيتك لص من البشر سرق متاعك.. ولم يدخل قلبك شيطان ليسرق إيمانك.
ثم اشكر الله تعالى ثانيا: على هذه العقوبة الدنيوية العاجلة.. لأنها كفارة لعقوبة الآخرة..
ومتى ربح الانسان ايمانه.. فما فاته من الدنيا شيء يبكي عليه.. وما أكثر الذين ازدحمت بيوتهم بما لذ وطاب من نعم الدنيا.. ولكن الشيطان سلب قلوبهم نعمة الرضا.. فمات فيهم الاحساس بما في بيوتهم من نعيم..
ومنهم ذلك الفنان الذي استهوته لحظة غروب الشمس.. فسجلها لوحة رائعة.. ثم استغرق فيها حتى فاتته صلاة المغرب.. واين هو من ذلك العابد التقى النقي.. والذي جاءه الناس يهرعون يعزونه في وفاة ولده.. فقال لهم:
كان جديرا بكم أن تعزوني لأن صلاة العشاء قد فاتني أن أصليها جماعة!!

نعمة البلاء

ولقد كان سلفنا الصالح.. ومن خلال المصائب التي تحل بهم.. كانوا يحسون بمجموعة من النعم.. لا بنعمة واحدة..
وبينما عشاق الدنيا يلطمون الخدود ويشقون الجيوب.. كان المؤمن التقي يعتبر المصيبة مدخلا إلى نعم كثيرة:
قال عمر رضي الله عنه: ما ابتلاني الله تعالى إلا شكرته على أربع نعم:
أولا: أن المصيبة كانت في دنياي.. ولم تكن في ديني.
ثانيا: وانها لم تكن أعظم من ذلك.
ثالثا: وأنه تعالى رزقني الصبر عليها.
رابعا: وإني لأرجو الثواب عليها.
إن متاعب الحياة انما تنبعث أساسا من نفوسنا.. من داخلنا.. ولقد أذهب هذا الفكر المستنير هذا الحزن.. بصدق النظرة وسداد الرأي:
مر رجل على قبيلة فيها ابل وبقر وغنم زحم الوادي الواسع.. فتغير الرجل لما رأى..
فقيل له:
أتحسد الآخرين على النعمة؟ قال: لا..
ولكني رأيت مع النعمة التحاسد والتخاذل.. ومع القلة التحاشد والتناصر، وقد قيل: ما أثرى قوم قط.. إلا تحاسدو وتجاذبوا.
ومن معاني ذلك الفهم العميق أن المؤمن حين يرتقي ايمانه بالله تعالى إلى حد أن يجعل المصيبة نعمة يشكرها.. فإنه في نفس الوقت يغيظ أعداءه الشامتين الذين يتربصون به الدوائر!

منهج في حمل النفس على الشكر

كانت حياة ابن الجوزي رحمه الله منهجا في هذا الباب يهدي السالكين: وذلك في قوله: كلما نظرت في تواصل النعم على.. تحيرت في شكرها.. وأعلم أن الشكر من النعم.. فكيف أشكر؟
لكني معترف بالتقصير. وأرجو أن يكون اعترافي قائما ببعض الحقوق.
وعندي خلة أرجو بها كل خير وهي:
ان من يصوم أو يصلي يرى أنه تعبد.. ويخدم كأنه يقضي حق المخدوم.
وأنا أرى: أني إذا صليت ركعتين فإنما قمت أعمل لنفسي، إذ المخدوم غني عن طاعتي.
فالعجب ممن يقف للخدمة يسأل حظ نفسه.. كيف يرى أنه قد فعل شيئا؟

مستويات العبادة

إنما أنت في حاجتك.. ومنة من أيقظك لا تقاومها خدمتك. فأنا أقول كما قال الأول:

يامنتهى الآمال انـ ... ـت كفلتني وحفظتني
وعدا الزمان على كي ... يجتاحني فمنعتني
فانقاد لي متخشعا ... لما رآك نصرتني
وكسوتني ثوب الغنى ... ومن المعاطب صنتني
فإذا شكرتك زدتني ... فمنحتني وبهرتني
أو إن أجُدْ بالمال فا ... لاموال أنت أفدتني

درس بليغ

ولقد كانت حياة ابن الجوزي رحمه الله تعالى: مقاومة للنفس الامارة. النزاعة إلى رفاهة العيش.. ووقف بها على جادة الشكر. ولقد نجح في الانتصار عليها بتذكيرها بنعم الله التي لا تحصى.. والتي هي في نفس الوقت تذكير لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا.

نازعتني نفسي إلى مكروه في الشرع. وجعلت تنصب لي التأويلات. وتدفع الكراهة. وكانت تأويلاتها فاسدة. والحجة ظاهرة على الكراهة. فلجأت إلى الله تعالى في دفع ذلك عن قلبي. واقبلت على القراءة،. وكان درسي قد بلغ إلى سورة يوسف فافتتحتها. وذلك الخاطر قد شغل قلبي. حتى لا أدري ما أقرأ.

فلما بلغت إلى قوله تعالى: ﴿قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي﴾ انتبهت لها. وكأني خوطبت بها:

فأفقت من السكرة. فقلت يا نفس.. أفهمت؟

هذا حر.. بيع ظلما.. فراعى حق من أحسن إليه. وسماه مالكا وان لم يكن له عليه ملك فقال: ﴿إنه ربي﴾. ثم زاد في موجب كفه عما يؤذيه فقال: ﴿أحسن مثواي﴾ فكيف بك وأنت عبد على الحقيقة. لمولى مازال يحسن اليك من ساعة وجودك. وان ستره عليك الزلل أكثر من عدد الحصى. أفما تذكرين كيف رباك. وعلمك. ورزقك ودافع عنك. وساق الخير اليك. وهداك أقوم طريق. ونجاك من كل كيد. وضم إلى حسن الصورة الظاهرة جودة الذهن الباطن. وسهل لك مدارك العلوم حتى نلت في قصير الزمان ما لم ينله غيرك في طويله.

وجلى في عرصة لسانك عرائس العلوم في حلل الفصاحة بعد أن ستر عن الخلق مقابحك. فتلقوها عنك بحسن الظن. وساق رزقك بلا كلفة تكلف. ولا كدر من. رغدا غير نزر؟ فوالله ما أدري أي نعمة عليك أشرح لك:

حسن الصورة وصحة الآلات؟

أم سلامة المزاج واعتدال التركيب؟

أم لطف الطبع الخالي عن خساسة؟

أم إلهام الرشد منذ الصغر؟

أم الحفظ بحسن الوقاية عن الفواحش والزلل؟

أم تحبيب طريق النقل واتباع الأثر من غير جمود على تقليد.. ولا انخراط في سلك مبتدع ﴿وان تعدو نعمة الله لا تحصوها﴾.

كم كائد نصب لك المكائد.. فوقاك؟

كم عدو حط منك بالذم.. فرقاك؟

كم أعطش من شراب الاماني خلقا.. وسقاك؟

كم أمات من لم يبلغ بعض مرادك.. وأبقاك؟

فأنت تصبحين وتمسين سليمة البدن. محروسة الدين. في تزيد من العلم وبلوغ الأمل. فإن منعت مرادا فرزقت الصبر عنه بعد أن تبين وجه الحكمة في المنع. فسلمي.. حتى يقع اليقين بأن المنع أصلح.

ولو ذهبت أعد من هذه النعم ما سنح امتلأت الطروس ولم تنقطع الكتابة.

وأنت تعلمين أن ما لم اذكره أكثر.

وان ما أومأت إلى ذكره لم يشرح.

فكيف يحسن بك التعرض لما يكرهه؟

﴿معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون﴾(١٣)

لازم الفائدة

وإذا كان لهذا الدرس من فائدة كاشفة عن قدوة في محاسبة النفس. وإلزامها كلمة التقوى.. فان من لوازم هذه الفائدة أن نتعلم.. وألا نبحث عن أسباب عللنا خارج نفوسنا.. ان موطن الداء مستقر في أعماقنا.

فإذا نقصت سلعة.. أو اختفت.. وإذا تضاءل النتاج.. وقل المحصول في يوم الحصاد.. فلنعلم أن ذلك لنعمة لم نشكرها شكرا يتحول إلى عمل وسلوك.. إن في أعماقنا قوى إيمانية القت سلاحها ضعفا واستخذاء.. فهجمت علينا جراثيم العلل من خارج نفوسنا.. فاحتلتها دون مقاومة تذكر.. ونحن مطالبون بتنشيط هذه القوى.. لتكون قادرة على الدفاع.. بل على الهجوم! ولا يتم ذلك إلا بمراجعة حسابنا مع أنفسنا التي غشاها من الهوى ما غشي.. فحجبتنا عن رؤية آلاء الله علينا.. فانسربت من بين أيدينا.. لأننا لم نقيدها بالشكر.. إن الرخاء لا يأتي ابدا ضربة لازب.. وانما هو نتيجة طبعية.. لمقدمات طبعية.. وكما أن لله تعالى شريعة اسلامية تأمرنا بالصلاة وتنهانا عن الفحشاء.. لنفوز بالجنة.. فان له تعالى شريعة كونية من قواعدها:

شكر النعمة.. يزيدها..

وكفرانها.. يذهب بها..

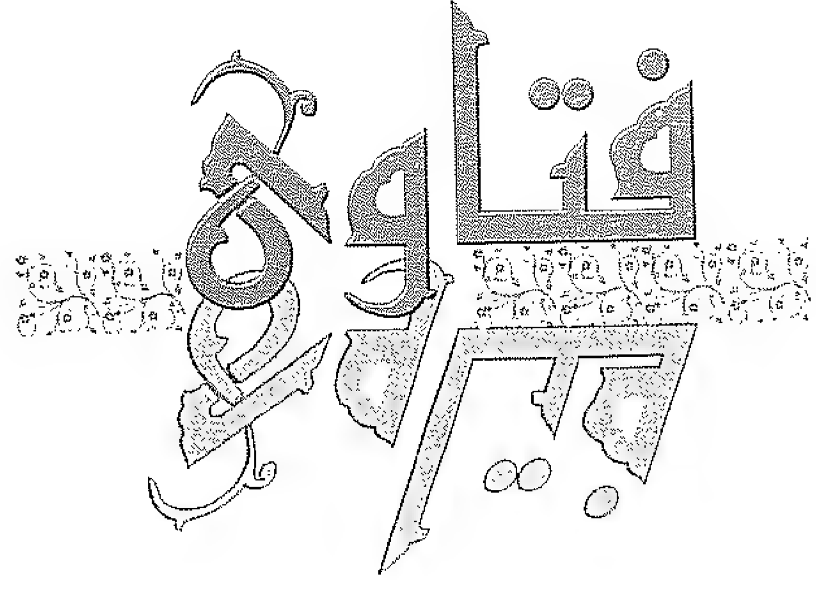
فاذا لم تنفذ شرعة الله الكونية كما نفذنا شرعته النظرية.. فلا نلومن إلا أنفسنا. ■

إن الرخاء لا يأتي ابدا ضربة لازب.. وانما هو نتيجة طبعية.. لمقدمات طبعية..

الهوامش

١- [سبا/١٣].
٢- [الاحقاف/١٥و١٦].
٣- (رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها).
٤- طريق الهجرتين/ ٤٩٢.
٥- [ابراهيم/٧].
٦- صيد الخاطر١٠.
٧- [الشوري/١٩].
٨- [الانعام/٤١].
٩- [البقرة/٢٨٤].
١٠- [آل عمران/٧٤].
١١- [التوبة/٢٧].
١٢- [ابراهيم/٧].

منتقاة مما تصدره إدارة الأفتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..



حكم الاستفادة من اموال الربا

- ارجو التكرم بالافادة بما يلي:

١- امرأة ورثت عن ابيها بعض الاموال الربوية، هل يجوز لها ان تسد بها دينها لبعض اقاربها؟

٢- هل يجوز استخدام هذه الاموال في مساعدة الغير لتحسين مستواهم المعيشي كالمساعدة في البناء او شراء ماهو ضروري، او تسديد دين الغير؟

٣- هل يجوز لها ان تنتظر لحين تحسن سعر تلك السندات الحكومية «بما فيها فوائدها» وذلك بناء على طلب باقي الورثة، او انها يجب ان تفك حصتها من تلك السندات وعدم قبول فائدتها؟

وقد اجابت اللجنة بالتالي:

(١-٢) نص فقهاؤنا على ان الإنسان اذا ورث مالاً حراماً او مالا اختلط فيه الحلال بالحرام كالسرقة والغصب والربا.. فإن كان يعلم صاحب هذا المال كالمغصوب منه والمسروق منه ومن اخذ منه الربا، وجب عليه رده الى صاحبه، وان كان لايعلم صاحبه، فإن كان يعلم عين المال الحرام، كالمال المسروق والمغصوب أو المأخوذ ربا، اذا عرف مقداره وجب عليه التصدق به في وجوه البر والخير، اما المال الذي اختلط به الحلال والحرام لم يعرف مالك المال الحرام، ولاعين المال الحرام، فلاشيء على وارثه وهوله حلال، الا ان التصدق منه بمقدار مايظن انه حرام اولى: قال ابن عابدين بعد بحث هذا الموضوع: والحاصل انه إن علم «اي الوارث» ارباب الاموال وجب عليه رده عليهم، وإلا فان علم عين الحرام لايحل له ويتصدق به بنية صاحبه، وان كان مالا مختلطاً مجتمعاً من الحرام ولايعلم اربابه ولاشيئا منه بعينه حل له حكماً، والاحسن ديانة التنزه عنه. ابن عابدين ٤/ ١٣٠.

وعلى ذلك فإن اللجنة ترى ان على السائلة تقدير مادخل من مال مورثها من الربا بحسب ظنها، ثم التصدق بمقداره على الفقراء والمساكين دون صرفه في دينها وحاجاتها الخاصة بها، ولابأس باستخدامه في مساعدة الغير من الفقراء كتحسين مستواهم المعيشي وكالمساعدة في البناء او شراء ماهو ضروري او تسديد ديون الغير من الفقراء.

اما سندات الدين ذات الفوائد، فان عليها ان تصفيها فوراً دون انتظار لئلا تكون مشاركة في الربا، واذا لم يطاوعها باقي الورثة على ذلك فإن عليها ان تفصل حصتها عنهم، وتصفيها ولا تأخذ عليها فوائد.

حكم الاستغاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم

- نرجو التكرم بالاجابة على السؤال الاتي:

ماحكم التغني أو ترديد الاتي:

يارسول الله خذ بيدي...

هل فيه استغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم من دون الله أم لا؟

وهل هذه الاستغاثة شرك بالله أم لا؟

وهل في هذه الكلمات اطراء بالنبي صلى الله عليه وسلم الإطراء المذموم الذي جاء في الحديث: لاتطروني كما اطرت النصارى المسيح ابن مريم؟ أفتونا ماجورين.

وقد اجابت اللجنة بالتالي:

قال جمهور الفقهاء على انه لابأس بالاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته ليشفع للمستغيث عند الله تعالى، وعليه فلا مانع من الدعاء والاستغاثة باللفظ المسؤول عنه لانه لايخرج عن هذا الحد المشروع، وليس في ذلك اطراء مذموم لان الشفاعة ثابتة للنبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة. والله اعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

صحة إمامة المنتفل بالمفترض

ورد إلى اللجنة السؤال التالي: صليت المغرب والعشاء جمع تقديم إماما، وحينما أذن لصلاة العشاء صليت بالناس إماماً مرة أخرى. فما الحكم؟ جزاكم الله خيراً

واجابت اللجنة بمايلي:
للإمام الذي صلى بالناس جماعة وجمع المغرب والعشاء جمع تقديم لعذر المطر ان يصلي في الوقت إماماً لغيرهم من الناس، وإمامته صحيحة عند من يجيز ائتمام المفترض بالمتنفل.

حكم الصلاة على سجادة تحدد عدد الركعات والسجدات

- لقد توصلت لعمل سجادة للصلاة يمكن من خلالها تحديد عدد الركعات والسجدات، للتغلب على النسيان في عدد ركعات الصلاة آملاً منكم بيان الحكم في استخدام وتصنيع وبيع وشراء هذه السجادة. وجزاكم الله خيراً.

وبعد ان اطلعت اللجنة على السجادة المشار اليها اجابت بالتالي:
تكره الصلاة على السجادة وامثالها لان فيها مايصرف المصلي عن الاهتمام بصلاته متكلاً على العداد الذي فيها، وهو امر يقلل الخشوع الذي هو مناط الثواب في الصلاة لقول النبي صلى الله عليه وسلم « ليس لك من صلاتك إلا ماعقلت منها» ولان فيها تكلفاً غير مستساغ، والله تعالى يقول:«وما أنا من المتكلفين» الآية ٨٦ -ص ولاحتمال تعطل الجهاز اثناء الصلاة وعلى ذلك فيكره استخدام وتصنيع وبيع وشراء السجادة المشار اليها لان مأادى الى الشيء اعطى حكمه.

نظام المشاركة في الوقت

ارغب في الاستفسار عن نظام المشاركة في الوقت، وهو باختصار: امتلاك منفعة شقة في أي منتجع من منتجعات العالم ،ومدة تملك هذه المنفعة عبارة عن اسبوع بقيمة معينة، يتم الاتفاق عليها بموجب عقد« بين المالك او وكيله والمستفيد» مرفق مع الاستفتاء، والمستفيد يستحق هذا الاسبوع سنوياً وذلك لمدة « ٩٤ سنة» فإن لم يعزم المستفيد على السفر في سنة معينة، فإنه يستطيع ان يؤجل هذا الاسبوع الى سنة قادمة، او ان يستأجره لمن شاء عن طريقه، او عن طريق المكتب الوسيط بين المالك والمستفيد، ارجو الاستعجال بالاجابة وذلك للحاجة الماسة، ولكم جزيل الشكر.

وقد خاطبت الادارة شركة الباز وطلبت مندوباً لتوضيح الموضوع. فحضر السيد/ المندوب عن الشركة.. ووضح للجنة طبيعة هذا المشروع، والعلاقة بين الطرفين حيث افاد بان هذا العقد هو عبارة عن اقتصادي، يتيح للمواطن شراء مدة محددة من السنة للعمر كله او لتسع واربعين سنة فقط في منتجع محدد.

وان الشركة المالكة تقوم باجراء الصيانة اللازمة وتأخذ من المستأجر بدلا عن الصيانة واستهلاك الماء والكهرباء مبلغاً محدداً سنوياً لايزيد ولاينقص.

وبعد ان استمعت اللجنة إلى الافادة اجابت بالتالي:
العقد المسؤول عنه هو عقد ايجار مستوف لشروطه الشرعية، وما لاحظته اللجنة من جهالة في مقدار ما يستهلكه المستأجر من ماء وكهرباء وحاجة الى الصيانة حسب ماورد في البند الثاني من التزامات الطرف الثاني هو جهالة قليلة مغتفرة غير مؤثرة، كذلك طول مدة الايجار فإنه لامانع منها، وعليه فلا مانع من الاشتراك في هذا النظام بهذه الشروط.

حكم اداء فريضة الحج بأموال مسقطة

تقوم بعض حملات الحج بعمل دعاية واسعة لدعوة الناس الى اداء فريضة الحج بالاقساط وذلك لجذب اكبر عدد من الراغبين في اداء هذه الفريضة.

فهل هذا العمل جائز شرعاً؟ وهل الحج بهذه الطريقة جائز شرعاً/

علما بأن الله تعالى فرض الحج على المستطيع؟

وقد اجابت اللجنة بالتالي:

ماتقوم به بعض حملات الحج من دعوة الناس لاداء فريضة الحج بالاقساط عمل جائز شرعاً اذا كانت جملة المبالغ محددة سلفاً، وخالية من الفوائد الربوية، والحج بهذه الطريقة جائز شرعاً ويسقط الفرض به، ولا شيء فيه، وان كان الحج ليس واجباً في هذه الحالة لعدم امتلاك مايستطيع به من أراد الحج.

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقى الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية : ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ .. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □

اقتصاديات البيت المسلم في ضوء الشريعة الإسلامية

يعتبر البيت المسلم دعامة أساسية في بناء المجتمع وبالتالي بناء الأمة الإسلامية، وهذا البيت يختلف عن غيره من البيوت التي لا تلتزم بشريعة الإسلام، حيث يقوم على قيم إيمانية ومُثل سامية وأخلاق طيبة وسلوكيات إسلامية وقواعد شرعية تحكم حياة أفراده وتتفاعل جميعها لتحقق لهم الأمن والسكينة والمودة والحياة الطيبة.

وتؤثر هذه القيم والمثل والأخلاق والسلوكيات والقواعد على اقتصاد البيت المسلم فتجعله يختلف اختلافاً جذرياً عن اقتصاد البيت الغربي الرأسمالي أو الشرقي الاشتراكي الشيوعي.

وحول اقتصاد البيت المسلم وذاتيته والأسس الاقتصادية التي يقوم عليها يأتي هذا الكتاب الذي صدر حديثاً بالقاهرة تحت عنوان «اقتصاد البيت المسلم في ضوء الشريعة الإسلامية» للدكتور حسن شحاته الأستاذ بكلية التجارة جامعة الأزهر ومدير جمعية الاقتصاد الإسلامي، والذي يتناول من خلاله المبادىء التي تحكم اقتصاد البيت المسلم من بداية تأسيسه إلى مرحلة الحياة الكريمة وإنجاب الذرية الصالحة.

بقلم: أحمد أبو زيد

الشريعة الإسلامية ذاخرة بالقواعد الاقتصادية

خصائص اقتصاد البيت المسلم

يتحدث المؤلف في بداية كتابه عن خصائص اقتصاد البيت المسلم فيقول: - إنه يقوم على مجموعة من القواعد.

أولها: أنه اقتصاد يقوم على الإيمان بالله - سبحانه - وأنه هو المالك والخالق والباسط والرازق ومقدر الأرزاق وعلى الإنسان أن يسعى ويأخذ بالأسباب وأن الله سوف يرزقه.

وثانيها: أنه اقتصاد يقوم على الأخلاق مثل الأمانة والصدق والطاعة والقناعة والصبر والتقشف عند الأزمات، وعلى الإخاء والإحسان إلى الغير وهذه القيم الأخلاقية تحقق الاستقرار في ميزانية البيت المسلم.

وثالثها: أنه اقتصاد يلتزم بالحلال والطيبات في الكسب والإنفاق لأن ذلك جزء من العبادات.

ورابعها: أنه اقتصاد يقوم على التوازن بين الحصول على المادة وبين عبادة الله عز وجل فلا يطغى طلب الرزق على العبادات ولا تطغى العبادات على طلب الرزق، وكذلك التوازن بين متطلبات الحياة الدنيا ومتطلبات الوالدين ومتطلبات الدعوة الإسلامية، والتوازن بين الكسب والإنفاق.

وخامسها: أنه اقتصاد يلتزم بالأولويات الإسلامية عند الانفاق وهي الضرورات فالحوائج فالتحسينات، ويبتعد عن الإنفاق على الترفيهيات، ويحفظ حقوق الأجيال القادمة، ومنها الحقوق المالية فلا يجب أن تطغى حاجيات الحاضر على متطلبات المستقبل.

الدستور الاقتصادي للبيت المسلم

ويتناول المؤلف الدستور الذي وضعه الإسلام لتنظيم اقتصاد البيت المسلم فيوضح أن هذا الدستور يتمثل في مجموعة القواعد الكلية المستنبطة من مصادر الشريعة الإسلامية والتي تحكم معاملاته الكلية المستنبطة من مصادر الشريعة لتحقيق المقاصد العامة للشريعة وهي حفظ العقل والدين والنسل والمال والعرض، ولتحقيق الإشباع المادي والروحي، وهو دستور يتسم بالثبات في القواعد الكلية والمرونة في الأساليب

الإسلام حرَّم التبرج لما فيه من إسراف خُلقي وإسراف مادي

والأدوات والإجراءات التي تتكيف حسب ظروف الزمان والمكان.

العمل والكسب مسؤولية الرجل

من أهم قواعد هذا الدستور قاعدة العمل والكسب في البيت المسلم حيث يشير المؤلف إلى أن العمل واجب شرعي وضرورة بشرية في الإسلام يقول الله تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ الملك/ ١٥ وأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ على من يأكل من عمل يده فقال: «ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده وأن نبي الله داوود كان يأكل من عمل يده» رواه البخاري.

فعلى رب الأسرة العمل الجاد الشريف الطيب للحصول على الكسب الطيب الحلال حيث يعتبر هذا من بين أسباب قوامة الرجل على المرأة، فقوامة الرجل تحمله مسؤولية أن يكفي الزوجة والأولاد مؤنة الحياة في ضوء ما أعطاه الله من إمكانات وقدرات. وعلى الرجل أن يستشعر أن هذا العمل عبادة وطاعة لله وليس فقط مهنة أو وظيفة أو منصباً. ويؤكد المؤلف في هذا الصدد على ضرورة تدريب الأولاد وتنشئتهم على العمل والخشونة والرجولة وتهيئة فرص العمل في سن مبكرة ليتدربوا على العمل والكسب ويبتعدوا عن الميوعة والانحلال.

قواعد الإنفاق

ويتطرق الدكتور حسين شحاته إلى قواعد الإنفاق في البيت المسلم حيث يوضح أن التطور المقصود بالإنفاق هو صرف المال الحلال للحصول على منافع مادية أو معنوية مشروعة تساعد أفراد الأسرة في تحقيق الإشباع المادي والروحي، وعلى الرجل يقع عبء الإنفاق على زوجه



وأولاده باعتدال حسب العادة والبيئة وفي حدود الطاقات المالية قال تعالى: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدِر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يُكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ الطلاق/ ٧. فالإنفاق على البيت مسؤولية الرجل وعلى المرأة حسن التدبير، كما ألزم الإسلام الرجل بأن ينفق على زوجه السابقة المطلقة الحامل حتى تضع حملها وأن ينفق على والديه.

ويجب على الزوجة وهي تدبر شؤون المنزل أن توازن بين الكسب والانفاق وأن يكون الانفاق في مجال الطيبات وطبقاً للأولويات الإسلامية مع تجنب نفقات الترفيه المظهرية وغير المشروعة وأن تكون مقتصدة. كما يحث الإسلام أفراد البيت المسلم على الإدخار فيما يزيد عن الحاجات الأساسية وذلك لوقت الحاجة والعوز والفقر، واهتم بالمحافظة على الملكية الخاصة وفصل الذمة المالية للزوجة عن ذمة الزوج، وتكفل الله سبحانه بتحديد أنصبة الورثة حتى لا يطغى أحد على أحد، وهذه الأسس تؤكد أن الشريعة الإسلامية غنية بالقواعد التي تنظم اقتصاد البيت المسلم وأنه لو التزم كل بيت بهذه القواعد لتحققت له الحياة الطيبة الرغدة في الدنيا، وفاز برضا الله في الآخرة.

ميزانية البيت المسلم

وفي فصل من فصول الكتاب يتناول المؤلف أسس إعداد ميزانية البيت المسلم والمقصود بالميزانية هي المقابلة بين إيرادات البيت ونفقاته خلال فترة معينة لمعرفة الفائض أو العجز ودراسة البدائل لاستثمار الفائض وتغطية العجز.

ويوضح المؤلف أن فكرة ميزانية البيت المسلم ليست جديدة ولكنها ذكرت في القرآن الكريم في قصة سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ حيث طبقت للموازنة بين إنتاج القمح في السنوات السبع للرخاء وبين استهلاكه في السنوات السبع العجاف، كما يظهر من دراسة السيرة النبوية الشريفة نماذج من حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تشير إلى تطبيق مفهوم الموازنة منها الموازنة بين نفقات الغزوات وما يتطلبه من إيرادات وسبل تدبير العجز إن وجد، كما طبق نظام الموازنة في بيت مال المسلمين وقد تبين من المخطوطات التي تم الإطلاع عليها ما يؤكد ذلك.

وعن الفوائد والمزايا التي يحققها وضع ميزانية للبيت المسلم يؤكد المؤلف أن الميزانية تساعد مديرة البيت المسلم في تقدير إيرادات البيت وكذلك النفقات المتوقعة خلال فترة معينة ولذلك تعرف مقدار الفائض أو

تدرس الفائض أو العجز المتوقع في ميزانية البيت والتي تحاول تدبيره من أي سبيل حسب البدائل المتاحة كأن تعيد النظر في بنود النفقات وتحاول ترشيدها. وتساعد الميزانية أيضاً في تحقيق التشاور بين أفراد البيت المسلم فيما يتعلق بتقدير الإيرادات والنفقات ودور كل منهم في ضبط وترشيد النفقات وفي تنمية الإيرادات. لذلك تساعد ميزانية البيت المسلم في محاسبة أفراد البيت عن النفقات والإيرادات حيث تحدد دور كل فرد من الأفراد في تنمية الإيرادات وفي ضغط وترشيد النفقات، ومحاسبة المسرف والمبذر والمترف ومساءلته. ويساهم تطبيق فكرة ونظام الميزانية في تدريب الأولاد على كيفية إدارة البيت مالياً واقتصادياً قبل زواجهم وذلك تحت إشراف وتوجيه الوالدين وهذا يساهم في نقل الخبرات واكتسابها ويجتنب الشباب والفتيات كثيراً من المشاكل التي قد تظهر في المراحل الأولى من تأسيس البيوت الإسلامية.

إعداد الميزانية

وعن كيفية إعداد الميزانية يقول المؤلف: يحكم إعداد ميزانية البيت المسلم مجموعة من القواعد المستنبطة من مصادر الشريعة الإسلامية من أهمها التوازن والواقعية والاستطاعة والأجل المحدد والشورى والمرونة وتصحيح المخالفات أولاً بأول واتخاذ القرارات الصحيحة. وتتكون ميزانية البيت المسلم من ثلاثة عناصر أساسية هي: بند الإيرادات وبند النفقات والعجز أو الفائض النقدي.

وهناك أمور هامة يلزم أن تحذرها مديرة البيت من أهمها عدم الاقتراض بالربا أو الإنفاق في المجالات التي فيها معصية لله وأن تحاول دائماً الموازنة بين النفقات والإيرادات.

عمل المرأة في الإسلام

وفي فصل آخر من فصول الكتاب يتناول المؤلف عمل المرأة من المنظور الإسلامي فيوضح أن المكان الطبيعي لعمل المرأة هو البيت أن تكون زوجة وأماً ومربية ومعلمة ومديرة ومنظمة فهي راعية ومسؤولة عن رعيتها، وقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تقرر ذلك منها قوله تعالى: ﴿وقرن في بيوتكن﴾ ولقد ورد في تفسير هذه الآية إن المقر الأصلي للمرأة هو البيت وما عداه يكون استثناء طارئاً ولا يجوز بحال من الأحوال أن يتحول الاستثناء إلى أصل. ولا يجب أن يفهم من هذه الآية أن تظل المرأة حبيسة البيت لا تبرحه لأن قوله تعالى بعد هذا التوجيه مباشرة ذكر ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ الأحزاب/٣٣ وهذا يفيد جواز الخروج من المنزل. وقد حدد فقهاء المسلمين الحالات التي يجوز للمرأة أن تخرج فيها للعمل وهي:

١ – حاجة البيت للإنفاق منه على الضرورات والحاجات ففي حالة موت الزوج أو مرضه أو عجزه وليس هناك موارد مالية للبيت وتقاعس ولي الأمر عن مساعدة مثل هذه الأسر يجوز للمرأة أن تخرج للعمل للحصول على الكسب الطيب من العمل المشروع لها.

٢ – حاجة المجتمع إلى عمل المرأة في بعض المجالات التي تناسب طبيعتها فالمجتمع الإسلامي في حاجة إلى المدرِّسة التي تعلم أولادنا الصغار وبناتنا في المدارس، وهو في حاجة إلى المدرسة التي تدرِّس بناتنا في المعاهد والجامعات، وفي حاجة إلى الطبيبة التي تعالج نساءنا، وإلى المرضة التي تضمد نساءنا، وإلى المشرفة الاجتماعية التي تراعى النواحي الاجتماعية للنساء. وإذا توافرت إحدى الحالات السابقة التي تجيز خروج المرأة للعمل يلزم توافر مجموعة أخرى من الشروط حتى لا يترتب على خروجها ضرر سواء عليها أو على أولادها أو زوجها أو بيتها أو مجتمعها ومن الشروط التي وضعها فقهاء المسلمين: شرط موافقة الزوج والتوازن بين متطلبات البيت ومتطلبات العمل وتجنب الأعمال التي يحدث منها اختلاط، وتجنب كل مصادر الفتنة، وألا تسافر المرأة إلا مع محرم لها.

اقتصاديات التحجب

وفي نهاية الكتاب يتحدث المؤلف عن الحجاب وغض البصر والتحشم وأثر ذلك على اقتصاديات البيت المسلم فيوضح أن للمرأة في الإسلام ذاتيتها المميزة لها حيث حرص الإسلام على تكريمها ورعايتها وشرع لها من القواعد والأحكام ما يحقق لها حياة كريمة طاهرة في الدنيا، فالحجاب وغض البصر مما فرضه الله على المرأة المسلمة وأصل ذلك قوله تعالى:﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾. الأحزاب/٥٩، وقوله تعالى: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ النور/٣١.

فيجب على كل مسلم أن يأمر أهله ومن يعولهم بالحجاب لأنهم بذلك يصونون أنفسهم وكرامتهم. وعن الفوائد الاقتصادية للتحجب يقول المؤلف: لو درسنا بشيء من التفصيل نفقات التبرج لتبين لنا أن التحجب يحقق وفراً في المال للمرأة المسلمة الملتزمة المحجبة فهي لا تحتاج إلى أموال لشراء فساتين السهرات والخروج إلى المصممة وفقاً لأحدث ما توصلت إليه ما يسمى ببيوت الأزياء، كما لا تحتاج لشراء أدوات ومستلزمات التجميل والمظهر والزينة مما تضعه على وجهها ويديها أو لشراء أجهزة ومعدات تصفيف الشعر وصبغه. وبدراسة حسابية بسيطة يتضح أن المرأة المتبرجة تنفق ما لا يقل عن ٢٠ في المئة من دخل الأسرة السنوي في المتوسط على ملابسها وزينتها وفي ذلك تبديد وإنفاق للمال في غير ما شرعه الله بل في معصيته.

يوم الاستقبال

وصلت أم طارق إلى بيت صديقتها «سعاد» فرحبت بها ترحيباً حاراً، غير انه لم يكن يخلو من بعض كلمات العتاب، وبادرت ام خالد فقالت: أنت هكذا دائماً ياأم طارق تتأخرين من غير سبب!! انظري إلى المدعوات إنهن حضرن قبلك كلهن، وقد كن يذكرنك قبل ثوان معدودات ردت أم طارق. ماذا أقول لكن؟ إنه أبو طارق كالعادة لم يسمح لي بالحضور إلابعد سؤال وجواب، وأخذ ورد، وحديث مكرر معاد، غير ان صاحبتكن واشارت الى نفسها استطاعت اقناعه في نهاية المطاف، هأنذا قد حضرت، وليس هذا فقط، بل قررت أن اخصص يوما من كل شهر لاستقبال الصاحبات والصديقات في بيتي مثلكن، واخذت منه إقراراً بالموافقة على ذلك.

قالت أم منذر: وهل يحتاج الأمر الى قرار؟ لم يفعل أبو طارق كل هذا؟ إنني اخرج من بيتي واعود، ولم يسألني زوجي في يوم من الايام اين كنت ولا متى خرجت؟

اجابت أم طارق يظهر انك استطعت ترويض زوجك منذ ليلة الزفاف أما أبو طارق فإنه صنف آخر من الرجال.. قالت سعاد تقصدين انه يصعب ترويضه أليس كذلك؟ وضحكت، فضحكت النسوة جميعهن وتابعت ام طارق حديثها قائلة: إنه يظن ان مجالس النساء إنما هي مجالس للغيبة والنميمة، والتباهي والتفاخر، والثرثرة واضاعة الوقت فقاطعتها أم سعيد، وقالت هكذا الرجال دائماً يريدوننا ان نظل حبيسات في البيوت متفرغات للاولاد انهم

بقلم: محمد عصام علوش

يريدون دفننا في الحياة قبل الممات.. وتسلمت راية الحديث أم منذر وقالت لقد نسي امثال هؤلاء الرجال ان العصر عصر المرأة، وان للنساء ماللرجال من حقوق وعليهن ماعلى الرجال من واجبات ان المرأة الغربية تحررت منذ زمن طويل ولابد للمرأة العربية الآن من ان تتحرر فردت ام خالد وقالت والحمل والانجاب والارضاع.. هل نجعل الرجال يشاطروننا هذه الامور ايضاً؟ فضحكت النسوة، وتابعت أم خالد: صحيح أن المرأة الغربية تحررت من كل قيد، ولم يعد يقف في وجهها شيء، ولكن هل كان ذلك في مصلحتها؟ أين الشرف والعزة؟ وأين العفة والطهارة؟ وأين مااختص الله به النساء من شرف الحمل والولادة والرضاع وتربية الاولاد؟ إن المرأة صانعة الرجال، ومربية الاجيال، وهي ملكة في بيتها، ويكفيها فخراً وشرفاً ان الله جعل الجنة تحت اقدام الامهات.. صفقت ام منذر وقالت: هاأنت صرت خطيبة مفوهة ياأم خالد، واقترح ان نرشحك نائبة عنا في احد المجالس النيابية، فضحكت النسوة، واختلطت احاديثهن وصارت متشابكة متداخلة، تبدأ إحداهن بحديث، وتجيب عن سؤال آخر قبل ان تكمل حديثها، وتصغي سمعها الى حديث ثالثة تخشى ان تنالها بهمز أو لمز، وتشارك رابعة في الضحك على نكتة القتها عرضاً، وكان اكثر

مايلفت النظر، ويجذب السمع، ويشد الانتباه احاديث الازياء، وصيحات «الموضة» واجمل «الموديلات» واسعار الذهب والمصوغات، واخبار الحبالى والوالدات، والمرضعات شهرين كاملين لاحولين حفاظاً على جمال الجسم، وتناسق الاعضاء، ولم يكن يقطع هذه الاحاديث سوى اطباق الضيافة واصناف الحلويات التي كانت تقدم بين الفينة والاخرى وقبل ان تغادر النسوة المجلس ذكرتهن ام طارق بموعد استقبالها الذي سيكون بدءاً من الاسبوع القادم.

وفي اليوم المخصص حضرت النساء جميعاً فاستقبلتهن أم طارق هاشة باشة، ورحبت بهن اجمل ترحيب، فبادرت ام منذر إلى الحديث قائلة: هاقد تحقق لك ياأم طارق ماأردت، ودخلنا بيتك في استقبال رسمي فاتحات على الرجال منتصرات، فتبسمت ام طارق، وقالت: ليس هذا فقط، بل ان ابا طارق هو الذي اعد لكن الضيافة بنفسه، ونظرت ام طارق الى أم خالد نظرة ذات مغزى، فتعجبت الحاضرات، وقالت سعاد: اعد لنا الضيافة بنفسه!! ماذا تقصدين؟ فأشارت ام طارق الى عدد من المصاحف كانت منضودة على طاولة في الغرفة والى كتاب فيه مجموعة من الاحاديث النبوية الشريفة والى كتيب في الفقه مبسط يعلم المرأة ان يكون لها في مجالسنا نصيب فمارأيكن؟ تبسمت النسوة، وقرأت ام طارق علامات الرضا على وجوهن، واستمر بعد ذلك في بيوت الأخريات «يوم الاستقبال» مجلس تقوى وهداية وصلاح. ■

مجالس الناس تغلب فيها النميمة والغيبة والتباهي والتفاخر والثرثرة واضاعة الوقت

غضبة الثأر في ذرا الشيشان

شعر:
عبدالرحمن البجاوي

غضبة الثأر، أم حميم آن | أم دويّ الرعود في بركان؟
أم رجوم السماء ترمي شُواظا | وتدك الإلحاد في عنفوان؟
لا، فهذي بداية الطوفان | فجرته منابع الإيمان
في قلوب تفيض نوراً، وتسري | ظامئات إلى ورود الجنان
تحمل الروح في يديها، وتمضي | لتنير الطريق بالشيشان؟
في روابي (القفقاس) شب أوار | يصفع اليأس في دجى الأحزان
شب كالمارد الأبي، يروي | بسناه فجاج شعبٍ يعاني
بعد سبعين ذاقت الأرض فيها | من صنوف العذاب كل هوان
إذ تمادى رفاق (لينين) بغياً | واستباحوا العرين كالقطعان
وأذاقوا الأطفال ذلا، ويتماً، | وأبادوا النساء كالعيدان
ومضوا يحرقون شم الروابي | بعد أن هدهم ليوث (الزان) (١)
فاستحالت كل البلاد سجونا | كالحاتٍ تموج في غليان
أين (نيرون)، أين (إيفان) مما | قد جناهُ طغاة هذا الزمان؟(٢)
أين ما أهرقت قياصر (روما) | منذ هامت بالتاج والصولجان؟!
قد أبوا أن تلوح أنوار حق | تتحدى طاغوتها الأرجواني

واشتهـوا أن يـؤلهوا بين عصر   صـار فيـه الـولاء لـلأوثـان

فإذا الحق قـد سما كـوكبيـا   يتجلى في طلعـة الفتيـان

وإذا النـار تستحيل رجـومـاً   وتـذوب القيـود مثل الـدخـان

وإذا الـدب والخنـازيـر تعـوي   في صقيع الأكفـان كـالجرذان

قـد قضى اللـه أمـره فتهـاوى   عـالم الشرك صـاغـراً في ثـوان

يـا زمـان التجـويع والسنـدان   أين مـاشـدت من قـلاع أمـان؟!

سل (جرزوني) و(جوهراً) تلق أسداً   تكتب النصر بالنجيـع القاني (٣)

قف مليـا لـزمـرة الفـرسـان   كيف طـاروا في مشهـد نـوراني؟

في (بـلال) الأذان كبر فجـرا   فتخـرّ الجبـال للـديـان

واستمع للنـداء أحيـاه حـراً   (شامل) النصر عبقري الجنان (٤)

وأعـد للبـلاد صـولـة (منصـور،   ومـولا وحمزة) الميـدان

في كماة طـاروا إلى اللـه حتى   ينهلـوا فيض كـوثـر ربـاني

هكـذا شقـت الليـوث طـريقـا   مشرق الـوجـه، مثمـر الأغصـان

عـاد فيـه الإسـلام نهجـا جـديـداً   صـادعـاً بـالحقـوق في بـرهـان

إنما يعـرف الجهـاد شبـاب   أطلعـوا الفجـر في ذرا الشيشـان

١ـ شجر البلوط ـ الذي كان حصناً للشيشان
٢ـ نيرون ـ ايفان: من طغاة الرومان قديماً
٣ـ جروزني عاصمة الشيشان ـ جوهر: رئيس الجمهورية
٤ـ شامل، منصور، مولا، حمزة، رموز المد الإسلامي بالقوقاز (القفقاس)
ولمزيد من التفصيل انظر الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين ـ الأزهر ١٤١٥هـ

القوة الاقتصادية في آسيا تبرز مخالب نمورها القومية

الازدهار الاقتصادي الذي تشهده منطقة شرق أسيا أظهر الى حيز الوجود مجموعة من الدول القوية عسكريا والتي يفتخر كل منها بانتمائه العرقي والوطني والسؤال المطروح الآن هو:

هل تتمخض عن هذا الازدهار الاقتصادي صراعات عسكرية تغذيها قوميات عدائية دفينة في اكثر من عشر دول من دول المنطقة حول هذا التساؤل كتبت صحيفةالغارديان مقالاً بقلم اندرو غينينز يقول:

اسفل طريق سريع محلق في وسط تايبي تدور حرب ضارية بين تايوان والصين انه صراع العمالقة الذي ستقرر نتيجته ليس فقط شكل القارة الآسيوية في المستقبل بل ايضا توازن القوى العالمي خلال القرن المقبل.

الخسائر في الارواح مرتفعة بينما يقاوم جيش تايوان المسلح بالتكنولوجيا العالية ضربات مطرقة جيش التحرير الشعبي الصيني البالغ تعداده ثلاثة ملايين.

وهكذا يوما بعد يوم في مبنى سوق غوانغهوا للكمبيوتر المؤلف من دورين تبرق شاشات الكمبيوتر بمعلومات عن الدمار الهائل والطائرات التي اسقطت والسفن الحربية التي اغرقت والمدن التي ازيلت من الوجود.

انها حرب لايرغب معظم التايوانيين في التفكير بها كثيرا،

إعداد: قسم التحرير

ولكنها بدأت تظهر فجاءة علامات مقلقة على تحولها الى حقيقة في يوم من الايام.

والحقيقة انه عندما صمم خبراء الكمبيوتر لاول مرة «معركة في مضيق تايوان» كلعبة تحاكي غزوا بحريا صينيا، كانت تبدو ابعد ماتكون عن الواقع، وكانت جاذبية اللعبة تكمن في الاثارة التي تتولد عما لايمكن تصوره.

واذا ماصدقنا الزعماء في تايبي وواشنطن فإن هذه المتع الرهيبة التي تقدمها اللعبة لن تتأثر بأي تهديد بأن الحرب الاهلية الصينية المعلقة منذ زمن طويل ستندلع مرة اخرى، ويقول رئيس تايوان الذي يتصدر المرشحين لانتخابات الرئاسة في الشهر المقبل« لاتقلقوا» ويبعث الرئيس كلينتون برسائل مهدئة مفادها ان قيام تحرك عسكري من جانب الصين امر بعيد الاحتمال للغاية:« هناك الكثير من الامور الطيبة التي تجري في آسيا من حيث النمو والفرص الاقتصادية، ولا اعتقد ان ايا من الزعماء هناك سيسمح لذلك الاتجاه بالتوقف».

ومن حيث لايدري كان كلينتون يسلط الضوء على المسألة الاساسية فالتوتر في مضيق تايوان ليس مجرد خلاف بين الصين وتايوان، بل هو جزء من ازمة امنية اوسع تواجه أسيا ككل، وبدلا من أن يؤدي النمو الاقتصادي المذهل لآسيا الى عصر ذهبي من التجارة والانسجام، نجد انه في افضل الاحوال حجب، ولم يضع نهاية، للصراعات القديمة بشأن العرق والارض، وفي حالة الصين التي كانت العملاق التاريخي للمنطقة، والتي ستكون بصورة شبه مؤكدة عملاقها في المستقبل، فإن ازدهارها المتزايد يوفر لها الوسيلة للحصول على القوة العسكرية واستعراضها بطريقة لم نعرفها منذ هزيمتها على يد السفن الحربية البريطانية قبل قرن ونصف من الزمان.

ولكن كلاوزفيتز يلتف حول كونفوشيوس في جميع ارجاء المنطقة. فالاتفاق الذي يحظى بالتهليل باعتباره مرتكز القيم الآسيوية وامنها يتراجع امام المواجهة نتيجة استخدام الثقة التي ولدتها الانجازات الاقتصادية في اضرام جذوة احساس متنام بالكبرياء القومي.

فالانفعالات التي اجتاحت أسيا بعد الحرب العالمية الثانية ارغمت بريطانيا وفرنسا على التخلي عن امبراطوريتهما، باستثناء هونغ كونغ، عاودت الانطلاق، وفي هذا الصدد يقول جيمس تانغ من جامعة هونغ كونغ:«اننا نشهد موجة ثانية من النزعة القومية. فالبلدان الآسيوية تشعر بانها مدرجة في جدول نوادي الدرجة الثانية ولاتحظى بالاعتراف اللائق بها كلاعبات رئيسيات

والازدهـار الاقتصـادي يوفـر ثقـة اعظم وهذا يؤدي الى مزيد من فرص الوجود في الشؤون الدولية».

ومـا من بلـد في المنطقـة يمتلك حسابات معلقة مثلما تمتلك الصين، حيث غدت القومية العدائية بديلا من الايـديولـوجية، فهي تمتلك مطـالب اقليميـة، وان كان اغلبهـا هاجعـا او متنازلا عنـه رسميا، ضـد عشر دول في المنطقـــة تتراوح بين جــــزر سبراتليس في بحـر الصين الجنوبي الى اجـزاء من اقصى شرق روسيـا، ولكن مطلبهـا الاكثـر تفجـرا هـو تـايوان، وقـد يكـون حدوث هجـوم وشيـك مستبعـــدا، ولكـن خبيرا عسكريا عاد مـؤخرا من زيارة لبكين يقول ان المواقف اصبحت متشددة الى درجـة ان العمل العسكـري ليس ممكنا فحسب بل هو محتمل بعد ان تنسحب بريطانيـا من هونغ كونغ في العـــام المقبل، وبعـــد ان تنسحب البرتغـال من مكـاو عـــام ١٩٩٩، ويستعــــد الجيش الصينـي الآن لاجراء اضخم منـاورات عسكرية في تـاريخه قبالـة سـواحل «فوجيـان» حيث يحتمل ان يشترك فيهـا ٣٠٠ الف جنـدي. وعندما التقى الـرئيس الصيني جيانغ زيمين مؤخراً بالقادة العسكريين استبدل سترتـه الغربية الطراز بسترة مـن الطراز الـذي كان يرتـديه ماوتسي تونغ، وبعـد بضعة ايـام عـاد الى السترة الغربيـة، هـذه التقلبات في الزي كـانت احدى معالم زعـامـة جينـانغ منـذ وصـولـه من شنغهـاي الى بيكن عـام١٩٨٩ في ذروة حـركـة احتجـاجـات ميـدان تيانـانمن متنكرا بـزي سائق عـربة اسعـــاف،ولا يتمثـل الخطـر في ان جيانغ يسعى الى احيـاء الماوية بل في انـه لا يعرف تمامـا مالـذي يريـده بينما تنتظـــر الصين وفـــاة دينغ زيـاوبنغ، ووسط اجواء القلق هـذه، فان الارض الثابتة الـوحيدة المتبقية في السياسـة الصينية هي المشـاعر الوطنية.

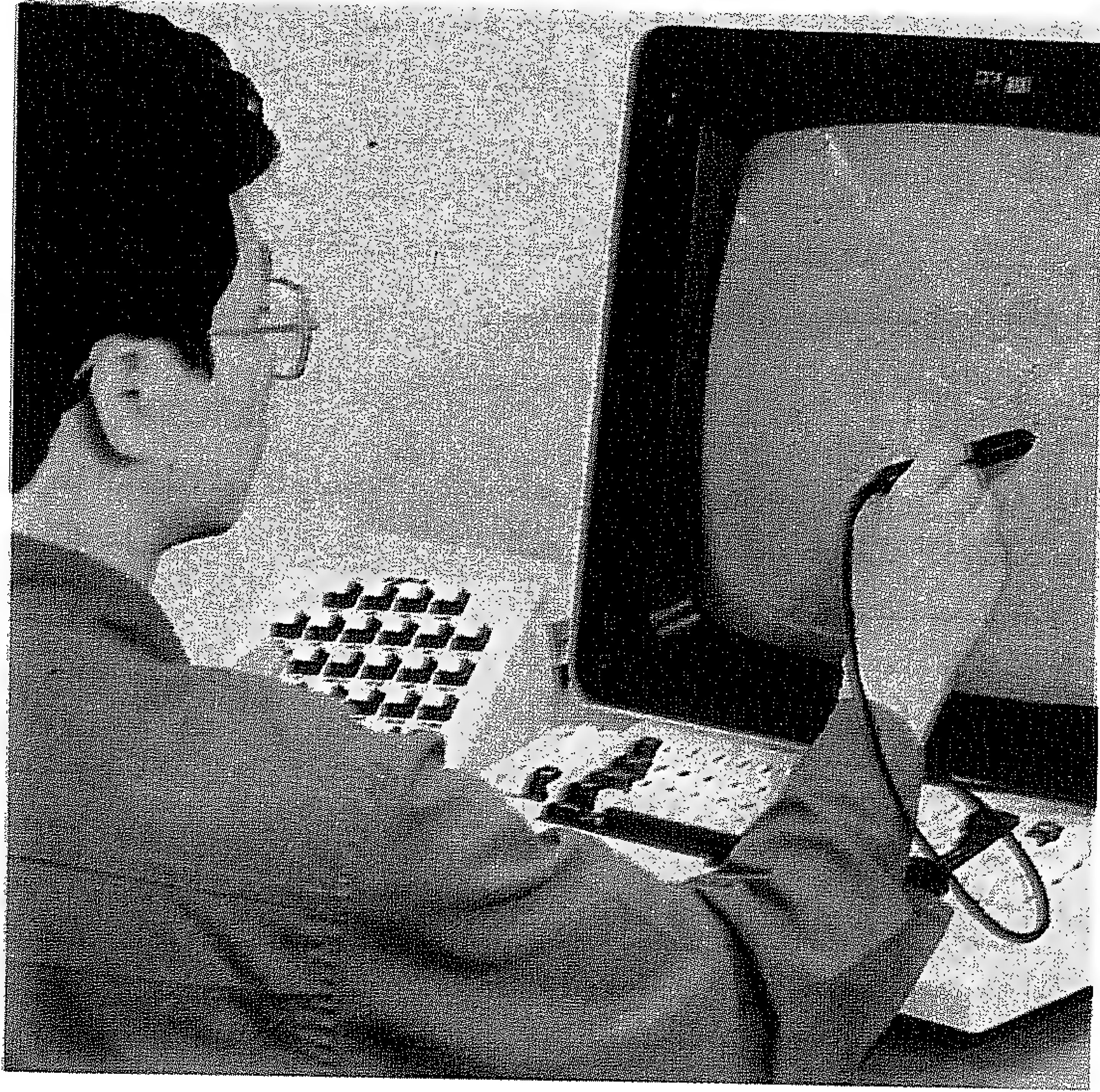
ومن نـواح عديـدة تواجـه الصين وبقية آسيـا مشكلة كـانت عـاملا في تدمير يوغسلافيـا السابقة، وتفتيت الاتحاد السـوفييتي السـابق، وهي النزاعـات التي بقيت مجمـدة طوال عقـــود من الــــزمن بسبب الحرب الباردة والتي تهدد بالاندلاع مجددا بعد ان انتهى صراع القـوى العظمى على السيطرة.

ولـدينـا دليل واضح على مـــدى فجاجة الخلافات القديمة على الرغم من انها كـــانت خـــامـــدة بفعل السياسات الجيوبـوليتيكية للحرب الباردة، ففي الاسبـوع الماضي بدأت مواجهة متوترة بين كوريا الجنوبية واليابان« افضل صديقتين لواشنطن في المنطقـة» حــول مجمـوعـــة من الصخور الجرداء في بحـر اليابـان، وتطـالب كـوريـا الجنوبيـة بجـزر تـوكدو التي كـانت تزعم السيطـرة عليهـا منـذ القـرن السـادس والتي استولت عليهـا اليابـان في اوائل هذا القرن، ولتأكيد هذه المطـالب قامت سيئول بـارسال مدمـرات وطائرات استطـلاع مضـادة للغـواصـــات ومقـــاتـلات لكي تطلق النـــار على «اهداف وهمية» كما قالت سيئول.

وتقف الـولايات المتحـدة مـوقف المتفـرج بينما تـواجــه حليفتـاهـا الآسيـويتـان الواحـدة الاخـرى عبر المحيط فالولايـات المتحدة تحتفظ بـ ٤٥,٠٠٠ جنـــدي في اليـــابـــان و٣٧,٠٠٠ جندي في كوريا الجنوبية، ولكن دورهـا كمتفـرج يلقى الضـوء على تحول كبير.

صحيح ان واشنطن تحتفظ بقـوة عسكـريـة هـائلـة، ولكن نفـوذهـا يتناقص بـاطراد وهي لاتـزال قادرة على امتـلاك الـوســائل والاعصــاب لارسـال حـاملة طـائراتها النـوويـة «نيميتز» الى مضيق تايـوان، ولكن ما من احـــد وخصـوصــا في واشنطن يعـرف كيف سترد اميركا على حـرب حقيقية بدلا من حرب مفترضة.

وفي العـــام الماضي حـاول وزيـــر الخـارجيـة الصيني ،في معـرض رده على سؤال حول طمـوحات بيكين، ان يطمئن جيران الصين مستشهــــدا بـاحدى قصـائد ماوتسي تـونغ التي تقول:« امال عديدة تنـادينا لانجازها وبشكل ملح دائما، العــالم يتــابع مسيرتـه والـوقت ضيق، عشرة آلاف سنة فترة طويلـة جدا، فلنغتنم اليوم ولنغتنم الساعة» والخشيـة المتزايدة الآن هي ان يكـون الامر التـالي الذي يجب اعتنامه هو الاراضي. ■



حديقة الوعي

إعداد/ التحرير

نعم البديهة

دخل المأمون ذات يوم الديوان، فرأى غلاما جميلا على أذنه قلم. فقال: من أنت؟ قال: أنا الناشىء في دولتك، المتقلب في نعمتك، المؤهل لخدمتك، الحسن بن رجاء. فقال المأمون: بالاحسان في البديهة تتفاضل العقول، يرفع عن مرتبة الديوان إلى مرتبة الخاصة، ويعطى مائة ألف درهم تقوية له.

من جوامع كلمه ﷺ

- الإثم: ما حاك في نفسك وكرهت أن يعلمه الناس.
- لا وجع إلا وجع العين، ولا هم إلا هم الدين.
- خير الأمور عواقبها، وملاك الأمر خواتمه.
- من يغفر يغفر الله له، ومن يعف يعف الله عنه.

دعاء

﴿ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير﴾

عثرات

يموت الفتى من عثرة بلسانه.
وليس يموت المرء من عثرة الرِّجْل.
فعثرة من فيه ترمي برأسه.
وعثرة بالرجل تبرأ على مهل.

فطنة

ظفر الرشيد برجل من الخارجين عليه فقال له: ما تريد أن أصنع بك؟ قال الرجل الذي تريد أن يصنع بك الاله إذا وقفت بين يديه. ولا أجد الآن أذل مني بين يديك. فأطرق الرشيد ثم قال: اذهب حيث شئت. فأغراه جلساؤه به وحذروه منه فأمر برده فلما حضر قال: يا إمام الأئمة لا تطعهم فيَّ فلو أطاع الله فيك خلقه ما استخلفك عليهم فعجب من قوله وكمال فطنته وخلى سبيله لقوة حجته وتمام ذكائه.

لا تعينوا أحدا على الظلم

سئل رسول الله ﷺ: أمن العصبية أن يحب الانسان قومه؟ قال ﷺ: «لا، ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم».

الظلم.. ظلمات يوم القيامة

قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، وحملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» (رواه البخاري في الأدب).

اغتنم خمسا قبل خمس

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك».

المؤمن إلف مألوف

قال رسول الله ﷺ: «المؤمن إلف مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف».

أحب الكلام إلى الله

قال رسول الله ﷺ: «أحب الكلام إلى الله اربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بايهن بدأت».

قيل في العقل

قال حكيم:

العقل لايقبل الزيادة والنقصان: اعلم أن العقل ينقسم الى قسمين قسم لايقبل الزيادة والنقصان وقسم يقبلهما. فأما الأول فهو العقل الغريزي المشترك بين العقلاء واما الثاني فهو العقل التجريبي وهو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع وباعتبار هذه الحالة يقال: إن الشيخ أكمل عقلاً وأتم دراية وان صاحب التجارب اكثر فهماً وأرجح معرفة.

ولهذا قيل من بيضت الحوادث سواد لمته واخلقت التجارب لباس جدته وأراه الله تعالى لكثرة تصاريف اقداره وأخصيته.. كان جدير برزانة العقل ورجاحة الدراية. وقد يخص الله تعالى بألطافة الخفية من شاء من عباده، فيفيض عليه من خزائن مواهبه رزانة عقل وزيادة معرفة تخرجه عن حد الاكتساب ويصير بها راجحاً على ذوي التجارب والآداب كما ذكر الله في قصة يحيى عليه السلام فيما اخبر عنه في محكم آياته فقال: ﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾.

من هدي رسول الله

قال ﷺ: «أكثروا من الصلاة علي في كل يوم جمعة، فإن صلاة أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة، فمن كان أكثرهم علي صلاة كان أقربهم مني منزلة».

آيات الشفاء

* آيات الشفاء الست في القرآن الكريم قد وردت في ست سور وهي:

١- ﴿ويشفي صدور قوم مؤمنين﴾ [التوبة/١٤].

٢- ﴿وشفاء لما في الصدور﴾ [يونس: ٥٧].

٣- ﴿فيه شفاء للناس﴾ [النحل/٦٩].

٤- ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ [الإسراء/٨٢].

٥- ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [الشعراء/٨٠].

٦- ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾ [فصلت/٤٤].

كلمات ومعنى

- القَطْر: المطر
- الهَال: السراب
- البخيع: النافع
- القِرْقِس: البعوض
- القِشْب: اليابس
- العَرْف: الرائحة
- المِبْرَد: اللسان
- الشَّكيَّة: البقية
- المِطْحَنَة: الرحى
- الفَطْرَة: الاختراع
- القَرْهَب: الثور المسن
- العَجْعَاج: الصياح
- الصَّريخ: المستغيث

العلم والأدب

قال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾
وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال: رسول الله ﷺ:
«تعلموا العلم فإن تعلمه لله حسنة ودراسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه عباده، وتعليمه صدقه، وبذله لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام، وبيان سبيل الجنة، والمؤنس في الوحشة، والمحدث في الخلوة، والجليس في الوحدة، والصاحب في الغربة، والدليل على السراء، والمعين على الضراء، والزين عند الأخلاء، والسلاح على الاعداء، وبالعلم يبلغ العبد منازل الأخيار في الدرجات العلى ومجالسة الملوك في الدنيا، ومرافقة الأبرار في الآخرة.

حقيقة الإحسان

يقول المنفلوطي: ليس الاحسان هو العطاء كما يظن عامة الناس، فالعطاء قد يكون نفاقا ورياء، وقد يكون أحبولة ينصبها المعطي لاصطياد النفوس والاعناق وقد يكون رأس مال يتجر فيه صاحبه ليبذل قليلا ويربح كثيرا. انما الاحسان عاطفة كريمة من عواطف النفس تتألم لمناظر البؤس ومصارع الشقاء، فلو أن جميع ما يبذله الناس من المال ويسمونه احسانا - صادر عن تلك العاطفة الشريفة - لما تجاوز محله، ولا فارق موضعه.

أفضل المعروف

هل تعلم ان افضل المعرف إغاثة الملهوف، ومن تمام المروءة ان تذكر الحق لك. وتذكر الحق عليك. وتستكبر الإساءة منك وتستصغرها من غيرك، ومن أحسن المكارم عفو المقتدر.

الحذر من الكذب

الكذوب متهم وان صدقت لهجته ووضحت حجته.

عند اختلال الموازين

قال الشاعر:

الناس اتباع من دامت له نعمُ ... والويل للمرء إن زلت به القدم

المال زين ومن قلت دراهمه ... حي كمن مات إلا أنه صنم

امتحان ذكاء

سأل الحجاج الغضبان بن القبعثري عن مسائل يمتحنه بها، فقال من اكرم الناس. قال: افقههم في الدين، واصدقهم لليمين، وابذلهم للمسلمين واكرمهم للمهانين، واطعمهم للمساكين. قال: فمن ألأم الناس: قال: المعطي على الهوان، والمقتر على الاخوان، الكثير الألوان قال فمن شر الناس قال أطولهم جفوة، وأدومهم صبوة، واكثرهم خلوة، واشدهم قسوة قال فمن أثقل الناس: قال: المتفنن في الملام، الضنين بالسلام، المهذار في الكلام المقبقب على الطعام. قال فما العاقل والجاهل: قال العاقل: الذي لايتكلم هدراً، ولاينظر شذراً، ولايضمر غدراً ولايطلب عذراً.

قال فما الجاهل: قال: الجاهل المهذار في كلامه، المنان بطعامه، الضنين بسلامه، المتطاول على إمامه، الفاحش في اقواله وافعاله.

قال فما الحازم الكيس؟ قال: المقبل على شأنه التارك لما لايعنيه.

قال فما العاجز؟ قال المعجب بآرائه، المتلفت الى ورائه.

ثمرات المطابع

إعداد/ مصطفى مرسي
مركز المعلومات بالوزارة

النص، السلطة، الحقيقة، الفكر الديني بين إرادة المعرفة وارادة الهيمنة

المؤلف: د. نصر حامد أبو زيد

بيروت/ الدار البيضاء - المركز الثقافي العربي

قضية الدكتور «نصر حامد أبو زيد» التي تناقلتها الصحافة العربية مؤخراً بتطليقه من زوجه شغلت الرأي العام والمفكرين لفترة طويلة ومازالت وانقسم فيها الرأي الى مؤيد و معارض.. فما هي حقيقة كتابات الدكتور نصر حامد ابو زيد... والى أي مدى تستقطب رأيا دون آخر؟..
هذا الكتاب من أحد مؤلفاته وهو عبارة عن مجموعة من الدراسات التي كتبت ونشرت في الفترة من عام ١٩٩٠ حتى الآن باستثناء فصل في الكتاب ينشر لاول مرة وهو فصل « اللغة الدينية : العالم بوصفه علامه».
في التمهيد يقول د. أبو زيد ويتساءل؟
لماذا حين يذكر «التراث» يتبادر إلى الذهن «الدين» أو الفكر الديني بصفة عامة والاسلامي منه بصفة خاصة؟.. هذا السؤال يمثل طرفا من المشكلة التي نحن بصدد مناقشتها اما السؤال الذي يمثل الطرف الثاني منها فهو: لماذا يلح علينا هاجس «التراث» هذا الإلحاح المؤرق، والذي يجعلنا أمة فريدة في تعلقها بحبال الماضي قلما ضرَّ بها أمر من الامور او مرت بأزمة من الازمات وماأكثرها؟ فإذا كان التقدم يشير الى المستقبل ويدل على الحركة فان «التراث» يشير الى الماضي ويدل على السكون والخمود، وكأن العربي قد كتب عليه دون البشر ان تسير قدماه الى الامام بينما يلتفت رأسه الى الخلف، فلا يحقق التقدم ولايقنع بالحياة التي ورثها عن الاسلاف ويظل المشكل ماثلا: كيف نحقق التقدم دون ان نتخلى عن «التراث»
الكتاب دراسة عميقة تتطلب تركيزاً كبيراً عند القراءة حتى يمكن ان ننحاز إلى آرائه أو ان نعارضها.

أربعون عاما في الكويت «١٩٣٩-١٩٦٩»

المؤلف: فيوليت ديكسون «أم سعود»

تقديم وتعليق ومراجعة: سيف مرزوق الشملان آل سيف

الكويت - دار قرطاس

عدد الصفحات: ٤١١ ص بالاضافة الى خمسة ملاحق في نهاية الكتاب يتحدث عن: المعتمدين السياسين في الكويت، زيارة لاطلال مدينة الدرعية عام ١٩٦٢ جزيرة فيلكا، معلومات للمسافرين الى السعودية بالسيارة، المعدل السنوي لسقوط الامطار في الكويت با لمليمتر في الفترة من ١٩٥٢ - ١٩٦٧.
ماأجمل ان يتذكر الاصدقاء ذكريات الماضي.. وعلى الاخص أولئك الذين احبوا تراب هذا الوطن وآثروا ان يعيشوا فيه صباهم وشبابهم وكهولتهم.. وذكرياتهم مع الاحداث ومع التاريخ.. «وام سعود» واحدة من اللواتي تركت في اصدقائها ذكريات لاتنسى.. فكان الوفاء من الاستاذ: سيف مرزوق الشملان مؤرخ الكويت الذي تولى طباعة الكتاب باللغة العربية ومراجعته تاريخيا بعد صدوره باللغة الانجليزية لاول مرة عام ١٩٧٠ مزوداً بالهوامش الشارحه لعدد من الحوادث والاعلام والمواقع.. والكتاب بحق صورة حية نابضة بالتاريخ والحوادث والملاحظات القيّمة عن كويت الماضي التي عاشتها المؤلفة بكل احاسيسها وآثرت ان تظل في بيتها حتى بعد وفاة زوجها ورحيل ابنائها ولولا يوم الغزو الاسود للكويت لماتت على ترابها ودفنت في ارضها الى جوار زوجهاكما تمنت دائما.
الا انه تحت وطأة المرض وقلة الامكانات في اثناء الغزو نقلت الى بريطانيا في ٢٢/ ٩/ ١٩٩٠ وتوفيت في الرابع من يناير من عام ١٩٩١ وهذا الكتاب يسهم الى حد كبير في تخليد ذكراها.

الاسرة والمتغيرات التنموية في المملكة العربية السعودية

المؤلف:

ا.د ابراهيم بن مبارك الجوير

الرياض - مكتبة العبيقان

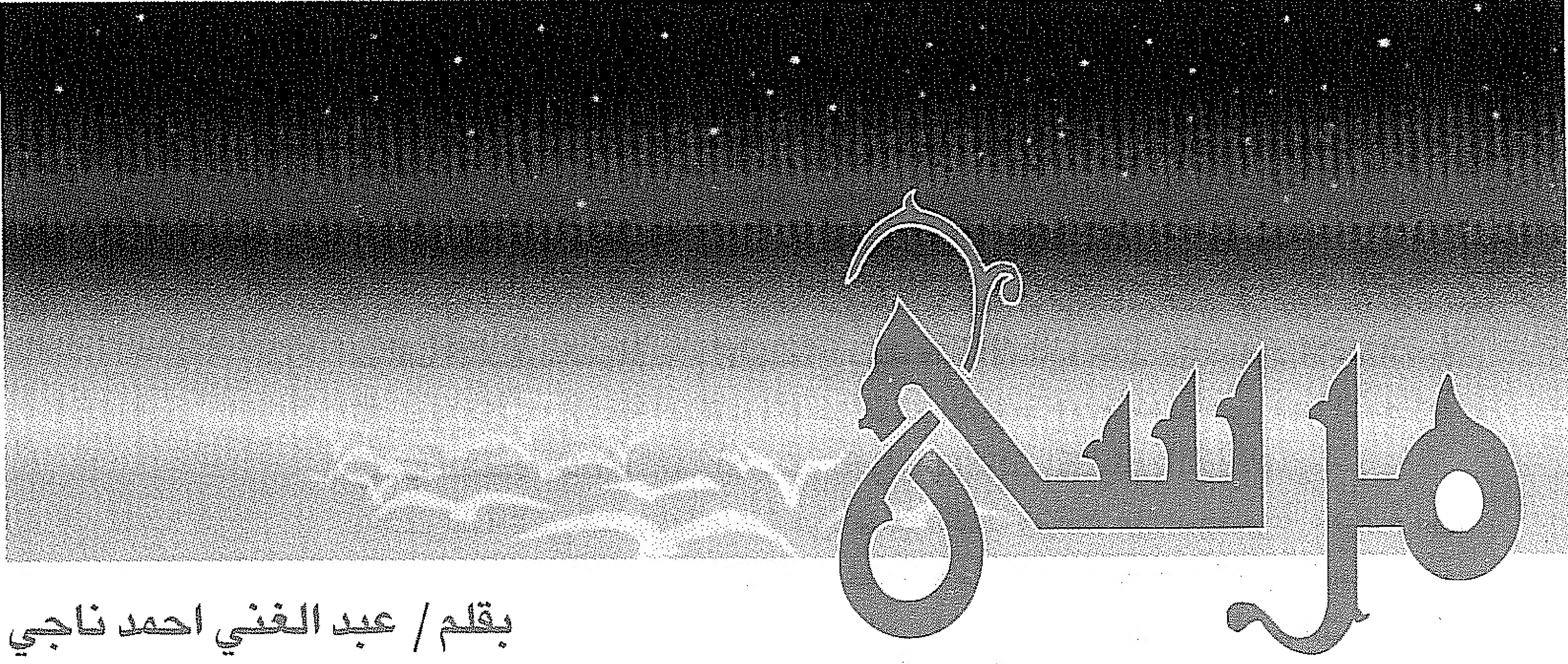
مؤلف الكتاب استاذ علم الاجتماع بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية نال به مؤلفه درجة الدكتوراه من قسم الاجتماع بجامعة فلوريدا الاميركية وكتب البحث اصلا باللغة الانجليزية واعاد المؤلف كتابته باللغة العربية.
والدراسة التي قام بها عبارة عن استبيانات وزعت على مجموعة معينة من الطلاب الجامعيين السعوديين والخاصة بأثر التنمية على الاسرة السعودية بهدف كشف وجهات النظر والتوقعات والمعتقدات والميول والقيم التي تنطلق فيها هذه الشريحة متأثرة في ذلك كله بخطط التنمية الجبارة التي تقوم بها المملكة من ايجاد قوة اقتصادية مالية حديثة دون ان ينتقص ذلك من القيم الدينية وقيم المجتمع الاسلامي.
ويشير المؤلف في مقدمته إلى سبب اختيار هذه الشريحة بقوله: ان طلاب الجامعة هم اكثر الفئات افتتانا في الاتجاه السائد في عملية التنمية وذلك لأنهم يحظون بدرجة عالية من التعليم واكثرهم التصاقا بالوسائل الاجنبية كما انه بمقدورهم السفر للخارج وتظهر الدراسة تضارباً كبيراً وجادا بين الافكار والمعتقدات والقيم الحديثة والتقليدية الا ان التعليم وهو اساس المستقبل الناجح كفيل بتجاوز هذه المعضلة التي تتعرض لها المجتمعات على اختلاف عصورها واماكن تواجدها والموضوعات التي يناقشها الكتاب لاشك انها تمس المتغيرات الاجتماعية في ظروف التنمية التي تعيشها المملكة حاليا... وهو كتاب مغرٍ لقراءته ومناقشته.

مسؤولية التطبيق الاسلامي قبل الظهور

المؤلف: علي الرضا الجزائري

الناشر: شركة شمس المشرق للخدمات الثقافية - بيروت ١٩٩٣

يعتبر الكتاب الاول ضمن سلسلة من الكتب تحت عنوان «نحو حضارة روحية لعالمنا».
يبدأ الكتاب بتمهيد استغرق حوالي ١٨ صفحة رسم فيه المؤلف الاطار العام لخطة البحث شارحا ما المقصود من الحضارة الروحية؟ التي تحيط بالانسان الذي قسمه الى الروح البشرية التي هي من شؤون عوالم الوجود العليا، والبدن بكل ماله من اجهزة واعضاء هو نافذة الروح التي تطل منها الروح على اشباه الحياة المادية.
العقل دعامة الروح الانسانية لفهم آيات الهدى ومعالم التوحيد في كتاب الطبيعة والتكوين، ومعرفة دلائل الوحي واحكام التنزيل في كتاب التشريع والتبيين.
واما النفس بكل مالها من نوازع وميول فهي قابلة وفاعلة في اتجاهين متخالفين باستقطاب: قابل وفاعل للباطل في احد القطبين وقابل وفاعل للحق في اتجاه القطب الآخر.. وهكذا.. طبقا لهذا التقسيم يحدث التوازن او الانحراف للنفس البشرية المنبثقة عن الذات البشرية التي يمتلكها سلطانان: سلطان الروح الذي يضع هذه الذات على طريق التكامل الانساني ليحقق السلام والاستقرار والتوازن الاجتماعي للحياة البشرية. وسلطان النفس الجانحة التي تمسك بزمام العقل وتستخدم ذكاءه في تهيئة فرص الاستجابة لتعلقاتها الارضية بأهواء ليس لها حدود ولا ارتواء لتجلب القلق والاضطراب والتمزق الاجتماعي للحياة البشرية.. وبذلك يعتبر الكتاب من الكتب التي تضع الاطار المنهجي للعاملين في مجال تطبيق الشريعة الاسلامية.



بقلم/ عبد الغني احمد ناجي

حَتَّامَ لاتُغني النُّذُرُ؟!!

هنا يرسو القلم، ينفض عن كاهله وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القاريء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

لامراء في ان الله تعالى لطيف بعبادة وانه كتب على نفسه الرحمة، ولكن العباد يستمرئون لطف الله تعالى ورحمته فيظلون سادرين في النأي عن منهج الله، وفي اقتراف ماحرم الله، وهنا تأتي النذر من الله ممثلة في صنوف من الظواهر الطبيعية الخالعة للقلوب كالزلازل، والاعاصير، والجفاف لعل الناس ترجع عن حمأة الفساد، وترعوى إلى طاعة الله اللطيف بالعباد، ولكن الرجوع والارعواء لايعدوان لحظات الخطر الداهم، حتى إذا لطف الله بعباده، وكشف عنهم بلاءه عادت النفوس الشرهة للفساد الى الفساد، ولم يخش احد يوم التناد!! يقول تعالى في سورة المؤمنون:﴿ ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون﴾ المؤمنون/ ٧٥ وأن اخوف مايخاف ان يتحقق وعيد الله تعالى بعد ذلك، والذي تحمله الأيتان التاليتان للآية السابقة من سورة المؤمنون- وهما:﴿..ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم ومايتضرعون. حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون» (المؤمنون/ ٧٦و٧٧). ولايظلم ربك احداً.

فالظواهر الطبيعية المخيفة تنبيه ونذير لعلنا نفيق، واذا لم نفق فماذا ننتظر؟!!، لقد أوحى الى هذا الموقف العنادي من بعض العباد بهذه الابيات:

نذير من الله بعد الفساد ... يصحح في الكون سير العباد
لكي يتقوه بسر وجهر ... ويخشوا حساباً بيوم التناد
فتصفوا النفوس، وتصفو القلوب ... فإن القلوب غدت كالجماد
واضحى القوي كذئب الفلاة ... وأضحى الضعاف كحملان واد
فأين الزكاة، وأين الإخاء ... وأين، وأين ظلال الرشاد؟!
وأين الأمانة في كل أمر ... ضمير العباد أطال الرقاد!!
تعاليم دين تردد وعظا ... وتحفظ حفظاً، ودوماً تعاد
وفعل العباد مجاف لها ... تجافي العباد دليل العناد
إلام العناد وجند الإله ... زلازل يخلع منها الفؤاد
تجيء إلى الناس دون نذير ... فأين الطغاة، وأين الشداد؟!
وأين حفاظ من «التكنلوجيا» ... وغزو الفضاء بسفن تشاد؟!
كأن الإله يفيق العباد ... بغير هلاك ثمود وعاد
بجرعة خوف تعانق لطفا ... وتعدل سيراً تجاه السداد
فياربنا الطف فأنت اللطيف ... وأنت الملاذ، وأنت المراد
نفّر اليك بتقوى القلوب ... فتقوى القلوب لنا خير زاد



مشروع التواصل الحضاري مع أحفاد الإمام البخاري مشروع خيري فكري رائد

برامج الحفاظ على هوية الأمة في جمهوريات آسيا الوسطى

رقم الحساب
6 / 18057
بيت التمويل



15451 هاتف: ... فاكس: ٤٧٣٩٧٣٥ - ٠٠٩٦٥

